

رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب

العدد 136

السنة الثانية عشرة
تمـوز 2014

منتدى إقرأ الثقافي
WWW.IQRA.AHLAMONTADA.COM

لمزيد من الكتب وفي جميع المجالات

زوروا

منتدى إقرأ الثقافي

الموقع: HTTP://IQRA.AHLAMONTADA.COM/

فيسبوك:

HTTPS://WWW.FACEBOOK.COM/IQRA.AHLAMONTADA/



مجلة سياسية ثقافية عامة يصدرها شهرياً مكتب الإعلام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

Issued, A political Cultural General Monthly Magazine

السنة الثانية عشرة العدد(١٣٦) تموز ٢٠١٤

صاحب الامتياز: صلاح الدين بابكر

رئيس التحرير: سالم الحاج

salimalhaj83@yahoo.com

07504499179

هيئة التحرير

سعد الزيباري saadz76@yahoo.com

نبيل فتحي حسين nabil_fathi72@yahoo.com

سرهد أحمد علي Sarhad_ahmad72@yahoo.com

الإخراج الفني

قوباد ياسين طه tqubadyasen@yahoo.com

الموقع الإلكتروني: http://alhiwarmagazine.blogspot.com

البريد الإلكتروني: Alhiwar2003@yahoo.com

العنوان: أربيل ـ محلة طيراوه / مقابل نقليات الشمال / قرب المركز الثاني للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

٠٧٥٠٤٦٥٣٥٤٢

محتويات العدد

كلمة العدد

ثمن الوحدة!

✍ عانى العراقيون من ويلات السياسة، وتبعات المصالح الدولية المتضاربة.. وإذا كانت الدولة العراقية الحديثة قد ولدت في أوائل القران العشرين، فإن معاناة العراقيين بالتأكيد هي أقدم عمرا من ذلك بكثير.. ولكن العراقيين، وبعد ميلاد دولتهم الحديثة، لم تخف معاناتهم، ولم يجدوا في ظلها سوى المزيد من الآلام !

لقد بنيت دولة العراق الحديثة، كما هو حال جميع دول المنطقة، وفقا لتقسيمات ومصالح استعمارية، ولم تكن ولادة طبيعية، ولا من بناة أفكار أبناء هذه الدول، ولا استجابة لمصالح الناس فيها، أو مطالبهم.. ولكن تقادم العهد عليها، وتوارث الأجيال فيها، جعلها تحظى بنوع من العصبية، والولاء، الذي كثيرا ما يكون مرضيا وخطيرا.. ومع ذلك، ففي دولة مثل العراق، ولأن الأنظمة السياسية التي حكمت البلاد لم تستطع أن تحقق العدالة الاجتماعية المطلوبة، ولا المساواة أمام القانون، وظلت على الدوام مصدرا للقلق وعدم الاستقرار بالنسبة إلى شعوبها، ولذلك أصبح العراق مسرحا للاضطرابات والانتفاضات، وحتى الثورات الشعبية، ولم يذق العراقيون طعم الاستقرار!..

إن رفع شعار الوحدة، وفرضها على شعوب مختلفة، ومتمايزة، في ظل حكم لا يوفر الحد الأدنى من الحقوق، أمر من الصعوبة بمكان، ومن هنا كانت أزمات العراق المتكررة، التي لم تهدأ حتى في (العراق الجديد)، الذي يفترض فيه أن يكون ديمقراطيا، يحفظ للجميع حقوقهم!!

إن الأزمات المتتالية المتجسدة بين سنة العراق وشيعته، وبين عربه وكرده، وباقي طوائفه، لم تأت من فراغ، ولا هي من صنع أجندات خارجية، بل هي تعبير عن ذلك الاحتقان التاريخي الذي أشرنا إليه، والذي لا يبرح يزداد قوة واشتعالا يوما بعد يوم .. وما الأحداث الأخيرة، التي كانت تتويجا مأزوما لكل ذلك، إلا إشارة إلى أولي الألباب بأن المعالجة يجب أن تطال جذور الأزمة، لا قشورها، وأن مفردات هذه الأزمة، ومن يقودها، أو من يمولها، أو يقف وراءها، لا تهم، بقدر ما يهم أن نعي أن هذه الأزمة هي نتيجة لفعل طويل متراكم من الاحتقانات، والاحتجاجات، والتظلمات، التي لم تجد آذانا صاغية لها، فوجدت تعبيرها فيما حدث!

إن وحدة العراق ستظل شعارا يولد مزيدا من الأزمات والحروب، طالما بقي الأمر على ما كان.. فللوحدة ثمن، وعلى الداعين إليها أن يكونوا على استعداد للاستماع إلى عظة التاريخ، ونبض الشعوب، وإلا فإن المعالجات العسكرية وحدها لن تزيد النار إلا اشتعالا، ولن تدوم وحدة شيدت على دماء الناس وحقوقهم! ☐

رئيس التحرير

ملف العدد

صورة الإسلام في الغرب

بقلم: أ.د. محسن عبدالحميد

مع إشراقةِ نور الإسلام، الذي دعا إلى التوحيد الخالص، وكشف الحقيقة عن الانحرافات الخطيرة التي دخلت في الأديان السماوية، فضلاً عن الأرضيّة، ومع مجيء الشريعة السمحاء، التي تأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ومع الالتزام بالنظامِ القيميّ الأخلاقيّ المتوازِن لضبطِ سلُوك الفرد والمجتمع، تجمع طغاة الانحراف من رجال الدين، ومغتصبو حقوق الأُمم والشعوب من رجال الحكم، وطالبو اللذات والشهوات من دعاة الإباحية، لإطفاء هذا النور الإلهي، وحرمان الإنسان منه، أينما كان، ليتخلّص من عبوديّة العباد إلى عبوديّة ربِّ العباد، وينتقل من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، كما قال الصحابيّ الجليل (ربعيّ بن عامِر) أمام طاغية عسكر الفرس "رستم"، قبيل معركة القادسيّة.

تآمرَ اليهود في الداخِل على هذا الدين وأهله، وخطّطُوا لقتل رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، وإثارة الفتن بين المسلمين، وإضعافِ قوّة الوحدة الإسلاميّة، ونشر الشائعات والأكاذيب بين المسلمين، وتقوية جبهة النفاق والشرك، ونصرة الباطِل في سبيل إزهاق الحق. غير أن قوّة المسلمين في عقيدتهم ووحدتهم رَدَّتْ كيدَهُم، وقبرت مؤامراتهم، وهزمت جيوشهم، فخرجُوا من هذهِ المعركة الكيديّة خاسئين خاسرين.

وعندما أقامَ الرسُول الكريم، وخلفاؤهُ الراشِدون، دولةَ الإسلام العادلة، وحضارته الزاهرة، وأنظمته الأخلاقيّة المتكامِلة، المنبثقة، متوازنة، من أسماء الله الحسنى، ارتعشت دولة الفرس والرومان، فأحسّوا بالخطر، ولما هزم جيوشَهُم جيشُ الإيمان واليقين والحق، لجأوا إلى التآمُر الظّاهِر والخفي، بعد أن سحقَ المسلمون دولتهم. فظهرَ عند الفرس في الحركاتِ الهدّامة، التي زعزعت المجتمع الإسلاميّ في القرون التي تلت القرن الأوّل.

وأمّا دولةُ الروم، التي ألحقت الجيوش الإسلاميّة في بلادِ الشام ومصر بها الهزائِم المنكرة، فقد بقيت تراقِبُ أوضاعَ المجتمع الإسلاميّ، وتخطط لتآمُر مكشوف، لتشويهِ الإسلام وعقيدته وشريعته وأخلاقهِ وحياة نبيه وأركان حضارته، أمام شعوبها المقهورة المستلبة الجاهِلة، لمنع وصُول نور الإسلام إليها، كي لا تنتفِضَ على طغاتِها ومؤسساتِها الظّالمة.

خافُوا من التوحيد على التثليث، ومن النبوة على فرية الإله المتجسّد في الأرض، ومن العدل على الظلم والطغيان، فبدأوا يشنُّون حرباً قذرة على الإسلام ونبيّ الإسلام، أمّا أسبابُ هذا الحقد، فيكمُن في النرجسيّة الأوروبيّة، التي توارثتِ الفلسفة الماديّة من اليونان، والتشريعات المنحرفة من الرومان، التي قدّستِ القوّة، وفتحت سبلَ الشهوات، تحت غطاء رقيق من روحانيّة الكنيسة، وأخلاقياتها المهلهلة.

بدأ هذا الهجُوم من داخِل البيت الإسلاميّ، الذي فتحَ ذراعَيْهِ لأهلِ الأديان جميعاً. ومن هؤلاءِ الأفاقين، الذين تسنّموا مناصِبَ عالية في البلاط الأُموي: (يوحنا الدمشقيّ)، الذي ثبت أنه كان يؤلّف كتباً في ذمِّ الإسلام، والطعن فيه، وفي رسُولِهِ، باتهامِهِ باختلاق الوحي لإشباع رغباته الدنيويّة، فأصبح هذا الاتهام المحور التقليديّ لجميع كتابات القرون الوسطى(١).

والظّاهِر أن أمثالَ هؤلاءِ هم الذين اخترعُوا قصّة (بحيرا) الرّاهِب، حتّى يقولوا أنه هو الذي علّم محمَّداً لكي يثورَ على المسيحيّة(٢).

لقد بدأ عصرُ تسميم الفكر الأوروبيّ تجاه الإسلام، منذ القرون الأولى، فدفعتِ الكنيسة كثيراً من رجالاتِها لتأليف كتب مفتراة، لا تعتمِدُ على أيّ مصادِر إسلاميّة، أو علميّة، لمجرّد تشويهِ صورة الإسلام أمام أجيال الشعُوب الأوروبيّة. فالإسلامُ في نظرهم هرطقةٌ كافِرة، كان هدفُها الأساسُ القضاء على المسيحيّة بطرق سافلة، وهو مخرّب هدّام بدائيّ، يدعُو إلى إثارةِ الغرائز الجنسيّة، يستعبد المرأة،، ويقرّ تعدُد الزوجات، وتفوح منه رائحة الوثنيّة، وهو دين دمويّ عنيف(٣). والقرآن مجموعة من آيات خرافيّة متناقضة من عمل الشيطان،

يمزّق الجماعات، ويدمّر الأخلاق، ويدعُو إلى الرذائل، ويحوي كثيراً من الخرافات، ومحمّد كان كذاباً ومحتالاً وساحراً، يشرب الخمر، ويأكلُ لحم الخنزير، ويتمتع بالشهوات، وكان عدوّاً للمسيح، وكان كاردينالاً مُنشقّاً على البابوية، طمع في كرسيها، فلمّا خابت آماله ادّعى النبوّة، وكان لصّاً وقاتلاً وزير نساء وخائناً وفاجراً وشيطاناً وإرهابيّاً(٤). وأمّا المسلمون فقد صوّروهُم بأنهم أولاد الشياطين، وأهل لواط، ومشركون يعبدون الأوثان(٥). ووصل الأمرُ بهم إلى اختراع روايات خرافيّة عن المسلمين، منها أن رئيس أساقفة سالبوري، قتل في القاهرة على يد المسلمين عام ١١٠١م، لأنه أقدم على تدمير الصنم الذي كانوا يعبدونه.

زغريد هونكه

كان هذا التشويه الواسع يحدث في أوروبا، وكانت الكنيسة تتولّى كبرها، في الوقت الذي كان النصارى واليهود في البلاد الإسلاميّة يتمتّعون بحقوقهم كاملة.

يقول المؤرّخ المعروف (ديورانت): "لقد كان أهل الذمّة المسيحيّون والزرادشتيّون واليهود والصابئة يستمتعون، في عهدِ الخلافة الأموية، بدرجةٍ من التسامح، لا نجد لها في البلاد المسيحيّة مثله في هذه الأيّام. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظُوا بكنائسهم ومعابدهم"(٦).


آدم ميتز

وكثيرون من مؤرّخي الغرب، مثل: (بارتولد) في كتابه "تاريخ الحضارة الإسلاميّة"، و(آدم متز) في كتابه "الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجريّ"، و(فاسيلييف) في كتابه "تاريخ الامبراطوريّة البيزنطيّة"، و(زغريد هونكه) في كتابها "شمس الله تسطع على الغرب"، يعترفون بهذهِ الحقائق في احتضان المسلمين لأهلِ الأديان والطوائف، كما فصّل لهم دين الإسلام: كتاباً وسنة.

ولكن الغربيين لم يجابهوا هذه السماحة من المسلمين إلاّ بالتآمُر والنكران، فحاولوا هذه المرّة أن يُعمّقوا العداوة بخطط خبيثة، فأوجدُوا مؤسسات التبشير ثمّ الاستشراق.

ولم يكن التبشيرُ من أجل الدين في الحقيقة، وإنما من أجلِ التمكين لأوروبا من بلاد الإسلام. وبصددِ ذلك ألّفوا الكتب والأبحاث بمختلفِ اللغات، شنّت على المسلمين عداواتٍ لا نهايةَ لها، بأسلوبٍ يفتقرُ



إلى الحدِّ الأدنى من الإنصاف والخُلُق الإنسانيّ الكريم.

ولترسيخ هذه المفاهيم الباطلة، أمر البابا أن تدخل هذه الدراسات إلى المدارس والجامعات، وتلقى في المواعظ على النّاس في الكنائس والبيوت.

وبجانب ذلك، حرّفوا القرآن الكريم في ترجماتٍ هزيلة مُنحرفة، تحقّق أغراضهم الشيطانيّة. وبذلك استطاعتِ الكنيسةُ أن توصِّل في نفوسِ الشعوب الأوروبية كراهيَة الإسلام والمسلمين، والنفور منه، ومنهم(٧).

ولقدِ استمرّت هذهِ الحملةُ، ولم تتوقّف حتّى العصر الحديث، بلِ ازدادت ضراوةً، عبر استعمالها التقنيات المعاصرة.

ومن أعماق خطط التبشير ظهر الاستشراق، بحجّة البحث العلميّ، بقرار من مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م، وذلك لتأسيس عددٍ من كراسي الأستاذية في (العربيّة) و(العبريّة) و(اليونانيّة) و(السوريانيّة)، في جامعات (باريس) و(أكسفورد) و(بولونيا) و(أفينيون) و(سلامانكا)(٨).

إن زرع هذهِ الأفكار الكاذبة عن الإسلام والمسلمين في نفوس الأوروبيين، جيلاً بعد جيل، كان تمهيداً طبيعيّاً للاستجابةِ الشاملة إلى صرخة البابا (بطرس النّاسِك)، تدعُو المسيحيين للتوجُّه إلى الشرق الإسلاميّ، لإنقاذ قبرِ المسيح من المسلمين الكفرة، حسب تعبيره، فهُيِّئت الجُيوش، ووهبت صكوك الغفران للجميع، وصاحب القس والرهبان موجات هذا الغضب العارِم، ينفخون الحقد الأسود على المسلمين في نفوس القوم. فلمّا وصلُوا إلى أرضِ الإسلام، ارتكبُوا أفضعَ المجازِر في تلك الحرُوب، التي سمّوها بالحروب الصليبيّة، في موجات مُتلاحقة، استمرّت حوالي قرنين، وهي مِمّا أجمع عليهِ مؤرّخو الغرب والشرق، وغدت من التاريخ المتواتِر، الذي لم يستطع أحدٌ أن يشكّك فيه.

يقول المؤرّخ الأوروبي (ميشو): "ولما جاءوا معركة (معرّة النعمان) قتلوا جميعَ مَنْ كان فيها من المسلمين اللاجئين إلى الجوامع،

والمختبئين في السراديب، وأهلكوا صبراً ما يزيدُ على مائة ألف إنسان، في أكثر الروايات".

وعندما جاء إلى كارثة القدس الشريف قال: "تعصّب الصليبيُّون في القدس أنواع التعصّب الأعمى، الذي لم يسبق له نظير، حتى شكا منهم المنصفون من مؤرخيهم. فكانوا يُكرِهون العربَ على إلقاءِ أنفسهم من أعالي البروج والبيوت، ويجعلونهم طعاماً للنّار، ويُخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض، ويجرونهم في الساحات، ويقتلونهم فوق جثث الآدميين. ودام الذبح في المسلمين أسبوعاً، حتى قتلوا منهم –على ما اتفق على روايته مؤرّخو الغرب والشرق– سبعين ألفاً"(٩).

وظلّ الغرب، بعد اندحاره في بلاد الشام، يتعاملُ مع الإسلام بحذرٍ شديد، ولم يكن من الممكن النظرُ إلى المسلمين إلاّ باعتبارهم وحوشاً وبرابرة وأعداءَ المسيح(١٠).

لقد التقت في الحروب الصليبيّة مصالح الحكّام الطغاة من النبلاء، بمصالح التجّار، مع رجال الدين المتعصّبين الحاقدين، الذين خلت قلوبهم من الإنصاف والرحمة والتسامح والإنسانيّة، فأحدثوا هذهِ المآسي المروعة في بلاد الشام ومصر، ودقوا أسفين العداوة بين الشعوب المسيحية والإسلاميّة. ولم يكتفوا بذلك، بل خطّطوا لحربٍ جديدة منظمة على الإسلام والمسلمين، تقومُ على أساس فتح المراكز في الجامعات والوزارات المختصّة، فأوجدوا نظامَ الاستشراق، الذي كانتِ الكنيسةُ تسيطر عليهِ سيطرة كاملة. وكان الهدفُ الأساس: تزييف الحقائق عن الإسلام، تحت مظلّة البحث العلميّ والموضوعيّ. قدّمت هذهِ الدراسات الموجّهة، صورةً مُشوّهة عن الإسلام، استمدّت موادّها من كتابات المبشّرين الأوائِل، بحيث رسّخت في العقل الأوروبي شكلاً منهجيّاً، وإطاراً فكريّاً، عدّه الجميع مسلّماتٍ وحقائقَ، على الرّغم من الخلط والتحريف والنقائِص، التي كان يتّسمُ بها. كانوا دائماً يأخذون من الأمور شكلها، ولم يكونوا يدرسُون أسبابَها ونتائجها، لأن ذكر الأسباب والنتائِج كان يفضحهم ويرد أكاذيبهم(١١).

ولم ينجُ من ضغط الحقد التاريخيّ الصليبيّ الطويل حتّى الفلاسفة والأدباء والمفكّرون، فأديب مشهور، مثل: (دانتي الإيطالي) في كتابه (الكوميديا الإلهية) –على سبيل المثال– عندما قسّم الجحيم إلى طبقات، وضع الرسُول محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) في طبقة الشر المحيطة بإبليس، ومصيرُ هذهِ الطبقة يكون العقاب السرمديّ(١٢).

وإذا علمنا أن (الكوميديا الإلهية) لـ(دانتي)، طُبع عشرات المرّات، وبلغاتٍ مختلفة، في أنحاءِ أوروبا والغرب عامّة، عبر قرون عدّة، عرفنا مدى تأثيره على الأجيال،

وإدخال التشويه والكراهية في نفوس أبنائها، كابراً عن كابر. ويأتي بعده بقرنين الشاعر الإنجليزي "جون بوجيت"، فيؤلّف قصيدةً بعنوان "محمّد النبي المزيّف"، وكيف أن الخنازير أكلته وهو سكران. وفصّل، في أبيات كثيرة، كلّ الصفات التي أطلقها العقل الأوروبي الدينيّ الكنسيّ، عبر القرون، على الرسُول الأعظم (صلّى الله عليه وسلّم).


فولتير


مونتيسكيو

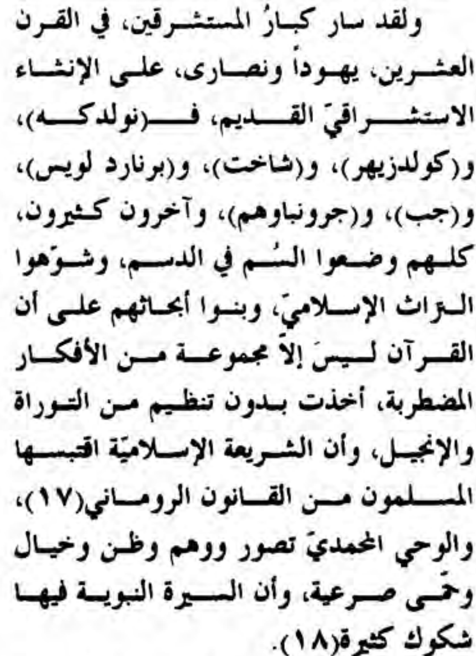
وبهذا تحوّلت آثار الحقد الأوروبي، قبل الحروب الصليبيّة، وبعدها، إلى ظاهرة تاريخيّة دينيّة وفكريّة، وثقافة اجتماعيّة، من الصعب جدّاً اختراقها، والخلاص منها. حتى أن أوروبا، بعد أن خرجت من التربية الدينيّة إلى التربية العَلمانيّة، لم يتخلّص كبار فلاسفتها ومفكّريها من الرواسب العميقة لعداوة الإسلام. فلقد اتهم (مونتسكيو) و(فولتير) و(فولني)، وغيرهم من مفكري عصر التنوير، الإسلام بأشنع أنواع التهم، وهاجموا الرسُول والقرآن، كأنهم رجال الكنيسة في العصور الوسطى، وسرت هذه العداوة إلى المبشرين والمستشرقين والسياسين، في العصُور الحديثة (١٣).

يقول المستشرق (موير): "إن سيف محمّد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحريّة"(١٤).

وصدر منهم كلامٌ لا يختلف - حول القرآن والرسول والمسلمين- عن كلِّ ما قالته أوروبا من سوء، في العصُور السابقة. وبذلك استجاب الاستشراق، والفكر الأوروبي العام، إلى الثقافة الأوروبية التاريخيّة الحاقدة المكدّسة حول الإسلام، أكثر من الاستجابة إلى موضوعه المزعوم(١٥).

بل جوهر الاستشراق هو التمييز الذي يستحيلُ اجتثاثه - كما يزعمون - بين الفوقيّة الغربية والدونية الشرقيّة، بل إنه عمّق هذا التمييز، بحيث إن السياسين المتأخرين مثل (بلفور)، و(كرومر)، بعد هذه القرون الطويلة في زرع الحقد في المجتمعات الأوروبية، انتهوا في تعاملهم مع المسلمين والشرقيين إلى مقولة: "فالشرقي لا عقلانيّ، فاسق طفوليّ متخلّف". و"الأوروبيّ عقلاني متحل بالفضائل، ناضج سوي"(١٦).



ولقد سار كبارُ المستشرقين، في القرن العشرين، يهوداً ونصارى، على الإنشاء الاستشراقيّ القديم، فـ(نولدكه)، و(كولدزيهر)، و(شاخت)، و(برنارد لويس)، و(جب)، و(جرونباوهم)، وآخرون كثيرون، كلهم وضعوا السُم في الدسم، وشوّهوا التراث الإسلاميّ، وبنوا أبحاثهم على أن القرآن ليسَ إلاّ مجموعة من الأفكار المضطربة، أخذت بدون تنظيم من التوراة والإنجيل، وأن الشريعة الإسلاميّة اقتبسها المسلمون من القانون الروماني(١٧)، والوحي المحمديّ تصور ووهم وظن وخيال وحتّى صرعية، وأن السيرة النبوية فيها شكوك كثيرة(١٨).

إن الجهود العدائية، التي قادتها الكنيسة عبر التاريخ الأوروبي، ما زالت تؤجج المشاعر المعادية ضد الإسلام والمسلمين، يمثل ذلك موقف "كلادستون"، عندما رفع القرآن بيده في مجلس العموم البريطاني، عام ١٨٨٢م، فقال: "ما دام هذا القرآن يُتلى، والكعبةُ تُزار، فنحنُ لا مكان لنا في بلاد الإسلام".

وموقف الجنرال (غورو) الفرنسي، عندما دخلَ (دمشق)، فقال، وهو أمام قبر صلاح الدين: "قم، الآن انتهت الحروب الصليبيّة". ومواقف أخرى كثيرة، صدرت فيما يُسمّى بعصر التسامح والحريّة والعَلمانيّة، تدلُّ دلالةً قاطعة أن زخم التربية الكنسية المتعصّبة ضِدّ الإسلام والمسلمين، ما زالت سارية في عروق القوم. توجّه سياستهم الظالمة في التعامُل مع العالم الإسلاميّ، ولا سيّما انحيازهم الكامِل إلى اليهود في اغتصاب أرض فلسطين، وتشريد شعبهم، وقتل أبنائهم. ولكن هل يعني ذلك أن الغرب برمّته استسلم إلى هذا التعصّب المقيت. أقول: لا، إن الفكر الإنسانيّ الحر بدأ يتحرّك ضِدّ هذا التيار في القرن الأخير، وظهر مؤرّخون ومفكّرون وباحثون يدعون إلى الإنصاف في التعامُل مع المنصفين، ويشيدون بدور الحضارة الإسلاميّة في تقدّم الحضارة الحديثة، ولكنّهم ما زالوا قليلين في خضمّ الطوفان الكبير المرتبط بقوّة الدفع التاريخي إلى رواسب الماضي. وهنا لا بُدّ من علاج، وهو بيد المسلمين، سواء في داخل العالم

الإسلامي، أم في خارجه، بين الأقليّات الإسلاميّة، التي تستطيع أن تعملَ الكثيرَ، إذا وقفت بجانبها قدرات العالم الإسلاميّ الفكريّة والتخطيطيّة والماليّة.



المسلمون في الغرب:

لا شكّ أن المسلمين عامّة، وأقليّاتهم في الغرب خاصّة، يُواجهون في تعاملهم مع شعوبِ الغرب، مشكلات متنوعة، منها الثقافيّة، يجب أن نتعرّف عليها، كي نحاول تجاوزها، ونعرف كيف نتعامل معها، بحيث ندخلُ في حوارٍ حقيقيّ، يؤدّي إلى تعاون حضاريّ مع تلك الشعوب، دون أن تفقد الأقليّات الإسلاميّة خصوصيتها وهُويتها الدينيّة والخُلقيّة والثقافيّة.

وفي رأيي أن تلك المشكلات تتولّد من القضايا الآتية:

أولاً: الثقافة الصليبيّة التاريخيّة، التي انتقلت من الأجيال المتلاحقة، وتركت أثرَها في وجدان المسيحيين في الغرب، والتي تشكّل حجاباً منظوراً، أو غير منظور، بينهم وبين تلك الأقليّات المسلمة.

ثانياً: النظرة الاستعلائيّة لمنظري الحضارة الغربيّة وأهلها، والتي انتهت إلى تجاهُل الحضارة الإسلاميّة، وإنكار تأثيرها وفضلها على الحضارة الغربيّة. علماً أن عدداً ممّن كتبُوا عن الحضارة الإسلاميّة، يعترفون بذلك التأثير، كما ذكرنا سابقاً.

ثالثاً: التنظير الجديد لتحديد العَلاقة بين الحضارات، والذي يقومُ في رأيهم على أساس الصراع، وليس الحوار. والكتاب الخطير لـ(صموئيل هينتنغتون): (صدام الحضارات)، شاهدٌ على ذلك.

والخطيرُ في ذلك الرأي، أن هذهِ النظريّة لم تبق في إطار التجريد الفلسفيّ، وإنما نزلت لتوجيه السياسة الأمريكيّة، التي يقودُها المحافظون الجدُد، المعروفون بالجماعة الإنجيلية الصهيونيّة.

رابعاً: إن العنفَ الاستعماريّ الغربيّ الطويل في البلاد الإسلاميّة، ووقوفه الحازم أمام قيام النهضة الإسلاميّة، والتأييد الشّامِل لاستيلاء اليهود على فلسطين، ومساعدة الأنظمة المستبدّة الظالمة، أدّى إلى ظهور عنف مقابل غير رشيد، انتهى إلى الصدام الدمويّ، ليس مع الإدارات الغربيّة فحسب، وإنما مع شعوبها، تجلّى في تفجير السفارتين الأمريكيتين في إفريقيا، ثم هدم البرجين

التجاريين، وقتل ألوف المدنيين الآمـنين فيهـا، وتفجـير القطـارات في (إسـبانيا) و(فرنسـا) و(إنكلترا)، مِمّـا أظهـر الإسـلام أمـام العـالم الغربيّ وكأنه إرهاب ديني بحت، أحرج تلكم الأقليّات الإسلاميّة إحراجاً كـبيراً، بالتضـييق على حريّتهم، ووضع القوانين المتعسِّفة لتقليم أظافرهم، والحد من انتشارِهم، فضلاً عن منع إعطائِهم الجنسيّات والإقامات.

ولعلّ هذهِ الأخيرة كانت الكارثة الكبرى التي حلّت بالأقليّات الإسلاميّة في حريّة أخـذ المبادرات، والتوسّع في النشاطات، والتقدّم في النمـو الاقتصـاديّ، والتمـدّد الاجتمـاعيّ، والتثقيف الإسلاميّ.

تلك المشكلات كلّهـا، لا بُـدَّ أن يقـفَ المسلمون في الغرب أمامها، والتفكير العلمـيّ الصحيح في كيفيّة اجتياز الأزمة، والتخفيـف من الآثار السيئة التي تركتها شيئاً فشيئاً.

وعلى الرغم مـن أن إخواننـا في الغـرب أدرى بشـؤونهم، وأكثـر إدراكـاً لترتيـب أوضاعهم، ومع ذلك فالواجبُ علينا أن نقدّم لهم النصح، ولا سيّما أننا في العـالم الإسـلاميّ مطّلعون على أوضاعهم، من خـلال القنـوات الإعلاميّة المتنوّعـة، الـتي جعلـت مـن الكـرة الأرضيّة كلها قرية واحدة، بل بيتاً واحداً.

لقـد مـرّ العـالم الإسـلاميّ تجـاه مظـالِم الغرب، واستعماره لبلادِ المسلمين، بمـرحلتين متميزتين:

مرحلة الدفاع: التي كانت تعبِّر عن الموقف الانهزامـيّ، أمـام الحضـارة الغربيّـة. فكـان المفكّـرون المسـلمون يريـدون أن يثبتـوا أن عقيـدَتنا لا تخـالفُ العلـم الغربـيّ، وشـريعتنا تحقّق ما تحققه أوروبا، ومصطلحاتهم التي تعبّر عـن تطـور حضـارتهم مُوافقـة لمصـطلحاتنا الإسـلاميّة. كالديمقراطيّـة مقابـل الشـورى، والاشـتراكيّة مقابـل العدالـة الاجتماعيّـة، والرأسمالية مقابـل إباحيـة الملكيـة الفرديّـة في الإسلام، وهكذا.

مرحلة الهجوم: عندما بدأ الفكر الإسـلامي يصطدم مع حضارة الغرب، رافضـاً مبادءهـا الإلحاديّة التي انتجت حضارة ماديّة، لا تـؤمن بغـير القـوّة، وأخلاقياتهـا الـتي لا تقـر إلاّ بالنسبيّة، التي فتحت المجال الواسعِ للإباحيّـة، ولا يمكن التعامُل معها إلاّ من خـلال العلُـوم الصـرفة، ولا الاطمئنـان إليهـا، ولا التعامُـل معها في تجديد حضارتنا المنشودة.

وأمـا اليـوم، وبعـد اليقظـة الإسـلاميّة الحاضرة، الـتي أظهـرت أمـام العـالم جوانـب مهمّة من مذهبيّة الإسلام الكونية والإنسـانيّة الشّـاملة، لم نعـد بحاجـةٍ إلى أن نقـف موقـفَ المتـوتّر الـرّافض لمبـادئ الغـرب، وثقافتـه، وحضارته، جملةً وتفصيلاً.

إن الحضـارة الغربيّـة ليسـت حضـارة عنصريّة ضـيّقة، وإنما هـي حضـارة إنسـانيّة عامّـة، تحـتفظُ بقَـدْرٍ كـبير مـن التـأثيراتِ الإسلاميّة عليهـا، ولـذلك فـلا بُـدَّ مـن بنـاءِ

جسُورٍ قويّة بينها وبين المنظومة الإسلاميّة، من أجلِ التواصُلِ الحضاريّ معها. فالنزعةُ الإنسانيّةُ، والاتجاهات العقلانيّة، ومناهج البحث العلميّ في الوصُول إلى الحقائق، وخطط التنظيم التنموي، على سبيل المثال، في هذهِ الحضارة الحديثة، ميادين خطيرة، يجب أن يتم فيها الحوارُ على أعمق وأوسع ما يكون، بسبب أن تلك الميادين من أخصب الإنجازات التي نفتخرُ بها في منظومتنا الحضاريّة المتفتّحة على الحضارات العالميّة جميعاً. بحيث إن المفكّر المسلم يكاد لا يرى جديداً في تلك المجالات، في المنظومة الغربيّة الحاضرة. ولعلّ هذا هو الذي يفسّر لنا دخُول المنظومة الإسلاميّة في هذا العصر إلى المجتمعات الغربيّة، من القمّة الفكريّة لا من قاعدتها الجاهلة، كُلّما درس أصحابُ تلك القمّة حقائق الإسلام في قاعدته الإنسانيّة العريضة.

إذن فالحوارُ البنّاءُ بكُلّ أبعاده مع المجتمع الغربيّ، يجب أن يكون هو القانون الأساس للأقليّاتِ الإسلاميّة في الغرب. أمّا الهجومُ، واتّباع منهج العنفِ، في التعامُل مع تلك المجتمعات، فلن يؤدّيَ إلاّ إلى مزيدٍ مِنَ التوتر، ومزيدٍ من مُحاصرة مراكز القوى لمجتمعِ الأقليّات الإسلاميّة، واصطناع مزيدٍ من المشكلات أمام تطور أوضاعهم وتنميتها.

إن هذا الحوار الجاد، لا بُدَّ أن يعتمِدَ – من وجهة نظري – على المقوّمات الآتية:

١- إن الأقليّات الإسلاميّة تعيشُ بين منظومتين حضاريتين، في الوقتِ نفسه، مذهبيّتهما الكونيّة مُختلفتان في الأصُول العقائديّة. فإيمان المسلمين بعقيدةِ التوحيد والنبوّة العامّة والخاصّة، وما يترتّب عليها، لا يمكن أن ينهارَ أمامَ الثالوث المسيحيّ، الذي ليسَ له تأثيرٌ مُباشِر وشامِل في المجتمعاتِ الغربيّة، بل هُنالِك ابتعادٌ عنها، وتمرّدٌ عليها، ولا سيّما أن تلك العقائِد الغامِضة، وغير العقلانيّة، لا تدخلُ في مجالاتِ التربية والتعليم مُباشرةً، حتى يتأثر بها الجيلُ المسلِم، وإنما هي محصورةٌ في الكنائِس والمدارِس والمؤسسات الثقافيّة الدينيّة.

ومن هُنا، فإن تلك العقائِد النصرانيّة لا تُشكّل خطراً على عقائِد المسلمين في المستقبل. ولا سيّما إذا تلقّتِ الأجيالُ القادِمة العقائِد الإسلاميّة بصورةٍ صحيحة، وبأسلوبِ التربية العصريّة.

٢- في الدعوة إلى الإسلام بين أجيال الأقليّات، وغيرهم، يؤكّد الدعاة والمربون على الكُليّات الشرعيّة ومقاصدها، والابتعاد عن المسائِل المذهبيّة والطائفيّة. على أن يتمّ ذلك بلغةٍ عصريّة هادئة، تُستبعد فيها المصطلحات الإسلاميّة الخاصّة، التي تثيرُ اللاشعور الغربيّ ابتداءً، كالخلافة الإسلاميّة، والصليبيّة، والجهاد، والشريعة، والكفر، وما إلى ذلك.

٣- لا شكَّ أن الفلسفاتِ الماديّةَ الغربيّةَ، أنتجتْ نظاماً تربويّاً مبنيّاً على نسبيّة القيم والأخلاق، بينما القيم والأخلاق الإسلاميّة العُليا خالدة، لأنها انبثقت من تجلّياتِ أسماءِ الله الحُسنى، مجتمعة، مُتوازنة، متكاملة. فالمسلمون لا بُدَّ أن يفكّروا في صياغةِ نظامٍ تربويّ، يُحاول أن يجمعَ بين القيم الإنسانيّة، التي يؤمن بها الإنسان الغربيّ كسلوكٍ اجتماعيّ، وتلك القيم الإسلاميّة المشابهة، في إطارِ منهجٍ مقاصديّ مصلحيّ، بعيد عن المنهج الظاهريّ، الذي لا يؤمن إلاّ بالقطعِ والحسم والمواجهة، ولا يجيب على أسئلةِ الأجيالِ في كيفيّة الملاءمة مع الأخلاق الاجتماعيّة، في المجتمعِ الذي يعيشُون فيه. دون فقدانِ الهُوية الذاتيّة الإسلاميّة، التي يُحافِظ عليها النظام التربويّ، الذي تقوده عقيدةُ التوحيد.

٤- إن المسلمين في الغرب، إذا استطاعُوا أن يكونوا مجتمعاً متميّزاً بقيمهِ الإسلاميّة الإنسانيّة الرفيعة، التي تُخاطِب الفطرة، ولا تلغي العقل أو العاطفة، فحينئذٍ يستطيعُون أن يشحنُوا الأخلاقيّات النسبيّة بقيمهم المتوازنة، فيخدمون حضارةَ الغرب خدمةً كبيرةً. فكما أننا، في العالم الإسلاميّ، نحتاجُ إلى علومهم وتنظيماتهم للحياة، فَهُمْ يحتاجُون إلينا في تقويمِ اعوجاجِ قيمهم المنحرفة، والتأكيد على المبادئ التي يُمجّدونها، كالأخوّة الإنسانيّة، والشورى، والحق، والتعاون، وحقوق الإنسان، وتوسيع دور المرأة في نواحي الحياة.

ولا شكَّ أنهم في تلك القضايا المهمّة، يحتاجون إلى إخوانهم في البلادِ الإسلاميّة، ليُقدِّموا لهم عوناً فكريّاً وعلميّاً وماليّاً مستمرّاً، يرفد تنفيذ مخططاتهم، ويعمّق فكرَهم ووعيهم، وينوّر عقلَهم، حتى يعطوا الإسلام في الغرب صورة إيمانيّة وإنسانيّة كريمة.

٥- لا بُدَّ، ونحنُ نحاول إيجادَ الحلُول المناسبة لمشكلاتِ الأقليّاتِ الإسلاميّة، استخلاصَ فقهٍ واقعيّ متوازن، يُناسب أوضاع مجتمع تلك الأقليّات، في إطارِ ضوابط الفهم الأصوليّ، والتحرُّك ضمن أوسع دائرة مقبُولة للتأويل الإسلاميّ. وأنا أدعُو هنا إلى عدم الاستعانة بحفظةِ النصوص المتعصّبين، وأنصاف الفقهاء المتشدّدين، للذهاب إلى تلك البلاد، لألقاءِ المحاضرات على المسلمين، وغير المسلمين. وقد لاحَظْتُ بنفسي، في عددٍ من البلادِ الغربيّة، التأثير السلبيّ بوجُود هؤلاء، والبلبلة الفكريّة التي يُحدِثونها من خلال آرائهم الشخصيّة، وفتاواهُهم الضيِّقة، التي تتبنّى مذهباً واحِداً، أو طائفة معيّنة، دون الاعتماد على المبادئ العامّة للإسلام، وسماحة شريعته، ومرونتها الفائقة، المناسبة لأوضاع الفطرة البشريّة.

ثم إنهم يتّبعون منهجاً استفزازيّاً في الهجُوم على قوانين الأقوام الغربيّة، وعاداتها،

وأعرافها، ولا يُساعِدون محاولة العقلاء بين الأقليّات الإسلاميّة، لهدم الجدار النفسيّ التاريخيّ، الذي صنعته الكنيسة والدراسات الاستشراقيّة، في العصُور الأخيرة، فحجبت عن الغربيين رؤية الحقيقة.

ومن جهةٍ أُخرى، فإنهم لا يأخذون الذين يدخلُون هناك في الإسلام، بالتدرّج، لإخراجهم من منظومة حياتهم، إلى المنظومةِ الإسلاميّة، بسهولةٍ ويُسر، ودون حرج، حتى يستشعِروا عظمة الإسلام، وواقعيّة شريعته السّمحة.

٦- إن الأخطاءَ القاتِلة، التي ارتكبها المتشدِّدون الإسلاميُّون في بلادِ الغرب، والولوغ في الدّماء البريئة، شوّهت وجه الإسلام في الغرب، كما ذكرنا سابقاً.

ومن هُنا، فلا بُدَّ للمسلمين في الغرب أن يبذلوا جهُودهم، ومعهم العالم الإسلاميّ كلّه، كي يُصحِّحوا صورةَ الإسلام الحنيف عند تلك الشعُوب. والملاحظات الآتية قد تفيدُ في هذا المجال:

١- عند مناقشة القضايا التي تخصُّ مواقِف العالم الغربيّ من العالم الإسلاميّ، لا بُدَّ من اتّباع منهجٍ علميّ هادئ، يعتمِدُ على المنطقيّة في الحِوار، والواقعيّة في تقديمِ الأدلّة.

٢- عقد مؤتمرات فكريّة، ذات مستوى عصريّ رفيع، لإلقاءِ المحاضرات عن الإسلام: عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، والاستعانة في ذلك بكبارِ الدعاة والمفكّرين والمثقفين، حتى تنجلي الحقيقةُ أمامَ النّاس هُناك، ليعلموا أن الإسلامَ هو دينُ الرّحمةِ والسّلام للعالمين جميعاً.

٣- عدم إعطاء المجال للتمزّق الإسلاميّ في بلادِ المسلمين، أن يدخُلَ المجتمعات الإسلاميّة الصغيرة في بلادِ الغرب، لأنه سيُعيقهم من تكوين كياناتِهم القويّة الموحّدة، ويحولُ بينهم وبين تقديمِ إسلامٍ حقيقيّ شامِل إلى الغربيين.

فالشعُوب هناك لا تحتاجُ إلى أن تقدِّمَ لها فكراً إسلاميّاً أُحاديّاً، بل تحتاجُ إلى الوحي الأهيّ الصّافي، من كتابِ الله، وسنّة رسولِهِ (صلّى الله عليه وسلّم)، ويتبعُ ذلك عدم السّماح للسياسات المختلفة للدُول الإسلاميّة، في التأثير على أوضاعِ المسلمين في الغرب. ولعلّ هذا مِنَ المسائِل التي تُواجه الصفَّ الإسلاميَّ الموحّد هُناك، وتقفُ أمامَ وحدةِ فكرهم وثقافتهم.

٤- من أجل الحفاظ على الهوية الإسلاميّة العقدية والأخلاقيّة والاجتماعيّة في الأجيالِ القادِمة، لا بُدَّ مِنَ الاهتمامِ الكبير بالمؤسّساتِ الإعلاميّة: المقروءة، والمسموعة، والمرئيّة، وإنشاء النوادي الاجتماعيّة، والأدبيّة، والفنيّة، والعلميّة، والترفيهيّة، والرياضيّة، تلك التي تُشعر المسلمينَ بوحدةِ كيانهم الدينيّ والاجتماعيّ، في خضمِّ الفلتان الاجتماعيّ والأخلاقيّ الذي يعيشُون فيه.

٥- لا بُدَّ من إشعارِ تلك الشعُوب الغربيّة أن المسلمين عامّة – سواء أكانوا من أهلِ البلادِ الأصليين، أم من المتجنِّسين، أم من

المقيمين - حريصُون كُلَّ الحِرْص على مصلحةِ البلاد، التي يعيشُون فيها، باحترامِ قوانينها وعوائِدها.

أقول هذا، لأننا نسمعُ ونرى كثيراً مِنَ المتشدِّدين، يريدون أن يعيشُوا هناك عيشة التوتّر الدائِم، والتحدّي المستمر. وهذا يضعُ عقبةً أمام المسلمين، وتطور حياتهم، ويسحبُ ثقة من يعيشُون بين ظهرانيهم منهم.

٦- إن المشكلة الكُبرى التي تُواجه مجتمعات الأقليّاتِ الإسلاميّة، هي مشكلة ذوبان الأجيال الصّاعِدة في أُتون أخلاقياتِ الأكثريّة، التي - كما ذكرنا - تعيشُ في عالم البُعد عن هِداية الدين، وسقوط الأخلاق، ومغريات العولمة الإباحيّة.

ومن هنا، إذا أرادتِ الأقليّاتُ الإسلاميّةُ، في المجتمعاتِ الغربيّة، أن تبقى في إطار عقيدتها، وخصوصياتِ شريعتها، وخلُود نظامِها الأخلاقيّ، فعليها أن تحرصَ على تربية الجيل القادِم تربيةً بيتيّة، ومسجديّة، واجتماعيّة، إسلاميّة، مُركّزة، حتى ينضبطَ أبناؤها بضوابطِ الأُسرة الإسلاميّة المتميّزة. وهذا ليس بدعاً في تواريخ الأُمم والشعُوب.

إن كثيراً من أبناءِ الأقليّاتِ، في البلادِ الإسلاميّة، وغير الإسلاميّة، حافظُوا على خصوصيتهم العقديّة والثقافيّة والاجتماعيّة. مثال ذلك: اليهود، والنصارى، والصّابئة، وأهل الأديان والطوائِف الأُخرى.

وفي ختامِ هذهِ الكلمات القصيرة، أقولُ: إن المسلمين في الغرب مُهدّدون أكثر من أيّ وقتٍ مضى، بنظامِ العولمة، التي تريدُ أن تُفرضَ نظاماً تربويّاً أخلاقيّاً ماديّاً إباحيّاً على البشريّة، تسلخ منهم عقائدهم، وتُنسيهم هُويتهم الحضاريّة، وذاكرتهم التاريخيّة. والأقليّات الإسلاميّة، وأجيالهم الجديدة، أكثر عُرضة لإعلاميّاتِ العولمة، ومكائدها. ولذلك فعليهم أن يلتفِتُوا بقوّة إلى أنفسِهم، وتنظيم تربية أولادِهم، وإحداث وعي إسلاميّ مُعتدِل وسطيّ رحيم بينهم. علماً أننا موقنون أن الطبقة الإسلاميّة المتنوِّرة مِنَ المسلمين، في تلك المجتمعاتِ الغربيّة، هم أقدرُ منّا -نحنُ الذين نعيشُ في البلادِ الإسلاميّة- على فهم طبيعةِ التعامُل مع منظومتها الحضاريّة، وأقرب إلى وصفِ العِلاج، وأدق في وضع الخطط الاجتماعيّة والتربويّة والإعلاميّة، لمعالجةِ الجوانِب السلبيّة في العولمةِ الجديدة(١٩). ولكنّهم، مع ذلك، يحتاجُون إلى المواقِف الحازمة من إخوانهم في العالم الإسلاميّ، لتقوية وجودهم، والدّفاع عن مصالحهم، ورفدهم بكُلِّ أسباب الحفاظ على الكيان والوجُود والهُوية.

لقد تعرّضت الأقليّات الإسلاميّة، في كثيرٍ من بلادِ الغرب، والشرق - ولا سيّما في ظِلِّ الأنظمةِ الشموليّة- إلى الاضطهادِ الدينيّ والثقافيّ. فقد حاولت تلك الأنظمة إمحاء هُويتها الدينيّة والثقافيّة والاجتماعيّة،

تارةً بتغيير أسمائهم الإسلاميّة، وأُخرى بإصدارِ القوانين التي تبيحُ زواجَ المسلمة من غير دينها، وفَرْضِ نظامِ العولمة الأُسريّ عليها، وعلى أهلِها. وثالثةً، بمنعها من بناءِ المساجِد والمؤسسات الثقافيّة والمدارِس التربويّة.

واليوم، لقد خرجت تلك البُلدان مِنْ قسوةِ الأنظمة الشموليّة، ولكن المسلمين إلى اليوم يُعانون مِمّا ترتّب على تلك السّياسات الظّالِمة من آثارٍ خطيرة، تنالُ - كما نالتْ من قبل - من عقيدة المسلمين، وهُوياتِهم الثقافيّة.

فمن هُنا، فالأقليّاتُ الإسلاميّةُ في تلك البُلدان يحتاجُون إلى مدِّ يدِ العون، عقدياً وثقافيّاً واجتماعيّاً، من إخوانهم في العالم الإسلاميّ من أجلِ الدّفاع عن مصالحهم، واستعادةِ هُويتهم الإسلاميّة، بإنشاءِ المساجِد والمدارِس والمؤسّسات الثقافيّة.

وهذا مِنْ أوجبِ واجباتِ الدُول الإسلاميّة، فهي تستطيعُ عن طريقِ علاقاتِها السياسيّة، والمصلحيّة، أن تضغطَ باتجاهِ الحقُوق الكّامِلة لتلكَ الأقليّات، وتقديم المساعدات الماليّة والمعنويّة إليها□

الهوامش:

١- الاستشراق بين الموضوعيّة والانفعاليّة، ط(١)، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٥٤.

٢- المصدر السابق، ص٥٥. راجع بحثنا: (تحقيق في قصّة بحيرا) الجامعة/ الموصل، ع١٨.

٣- الفكر العربي- الاستشراق - أوروبا والإسلام، د.هشام جعيط، ص٢٢٢.

٤- الاستشراق، د.عرفان عبدالحميد، م.الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩، ص٦.

٥- المصدر السابق، ص١٠.

٦- قصة الحضارة، م١٣.

٧- الفكر العربي - الاستشراق، ص١٢٢. المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام، للدكتور محمّد البهي. وراجع أيضاً: التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة للدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ.

٨- الاستشراق، للدكتور إدورد سعيد، ط(١)، ص٢.

٩- على هامش الصراع الأوروبي الإسلامي، تيسير شيخ الأرض، ص١١٣، ١١٤، من كتاب الفكر العربي جـ١.

١٠- المصدر السابق: ١/ ١٥٢.

١١- الاستشراق والإسلام، ص٥، ٦.

١٢- الحركة الصليبيّة وأثرها على الاستشراق الغربيّ، د.علي الشامي، ص١٦٥ وما بعدها، ضمن الفكر العربي حـ١.

١٣- أوروبا والإسلام، ص٢٢٢.

١٤- الاستشراق - أدورد سعيد، ص١٦٨.

١٥- المصدر السابق، ص٥٥.

١٦- المصدر السابق، ص٧١.

١٧- راجع الشريعة الإسلاميّة والقانون الرومانيّ للدكتور صوفي عبدالله.

١٨- المستشرقون والإسلام، المصدر السابق، ص١٤ وما بعدها.

١٩- العولمة من المنظور الإسلاميّ، للمؤلف، ط(١)، العراق، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

الحوار في الإسلام
ودوره في النهوض الحضاري

عقيل سعيد ملا زاده



يعتبر الحوار، هذه القيمة الحضارية والأخلاقية، من أهم مرتكزات الازدهار والنهوض، حيث يرقى بالمجتمعات إلى أرقى درجات الكمال والتقدم. وتزداد أهمية الموضوع في وقتنا الراهن في التقليل من شق الخلافات وتقريب الآراء، خاصة في البلدان التي تحتوي على قوميات ومذاهب متعددة مثل العراق. وفي ديننا الإسلامي يعتبر الحوار ركيزة أصلية من ركائزه، وأصل من أصول هذا الدين الحنيف، وهو مطلب إنساني لا غنى عنه، كما أنه أسلوب الأنبياء (عليهم السلام) في التبليغ والدعوة، فقد انتشر الإسلام بالدعوة والحوار والكلمة الطيبة، مما أوصله إلى أقاصي الدنيا. وكثير من الشعوب دخلت في الإسلام بالحوار، وبذلك يعتبر الإسلام (دين الحوار والإقناع). لكن سرعان ما تراجعت هذه القيمة المهمة في حياتنا وأدبياتنا وتعاملنا مع بعضنا البعض، أو مع الآخرين، لتخلق نوعاً من الاضطراب والخلل في كيان الأمة، وعلى كافة المستويات، حيث إن الكثير من مشكلاتنا الداخلية والخارجية، التي تعاني منها مجمعاتنا اليوم، يمكن الخروج منها باعتماد الحوار. وقد أثبتت تجارب الأمم والشعوب أن تقدم الأمم وازدهارها الحضاري يكمن في قوة إيمان هذه الأمم بمنطق الحوار، ومدى تهيئة السبل لانطلاقه في جميع مرافق الحياة. وتأتي أهمية الموضوع في إبرازه كمبدأ أساسي في السلم وازدهار المجتمعات، وكمنهج قرآني تبنّاه الرسول "صلى الله عليه وسلم" في عهده، والخلفاء من بعده، وهو مهم في معالجة القضايا الداخلية، حيث يمكن من خلاله تقليل شقة

الخلاف، وجمع القلوب وتضييق مساحات الخلاف بين الأطراف المختلفة.

أولاً: حول مفهوم الحوار:

الحوار (Dialogue) في اللغة، هو مراجعة الكلام بين طرفين متخاطبين. وأصل الكلمة من "الحَور" بفتح الحاء وسكون الواو، وهو الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء، حار إلى الشيء، وعنه حَوراً ومحاراً و مَحَارَةً وحُؤُوراً: رجع عنه وإليه. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة"(١). وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: الأول: في قصة أصحاب الكهف: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ الكهف/ ٣٤. الثاني: في السورة نفسها: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ الكهف/ ٣٧. الثالث: في صدر سورة المجادلة، في قصة المرأة التي جاءت إلى النبي تشتكي زوجها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة/ ١. وفي هذه المواضع الثلاثة جاءت كلمة الحوار بالمعنى المشار إليه، وهو مراجعة ومداولة الكلام بين طرفين. أما في السنة النبوية، فقد وردت مادة (الحوار) في أكثر من حديث شريف، وكلها جاءت مطابقة لمعناها اللغوي، منه قوله: "ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه.."(٢). قال النووي في شرح هذا الحديث: "حار عليه، وهو معنى: رجعت عليه، أي: رجع عليه بالكفر، فباء وحار ورجع بمعنى واحد"(٣). خلاصة القول: إن الحوار والمحاورة في اللغة يستعملان لمعنى واحد، وهو مراجعة الكلام بين طرفين، والتجاوب والمرادة بينهما بواسطة الكلام، وبهذا يستوعب المصطلح كل معاني التخاطب والسؤال والجواب.

أما الحوار اصطلاحاً، فهو تبادل الكلام بين طرفين، بهدف الوصول إلى نقاط الالتقاء، في أجواء يغلب عليها طابع الهدوء والاتزان. يقول الشيخ عبدالرحمن النحلاوي: الحوار "هو أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة، ويكون لنفسه موقفاً"(٤).

الجدل وعلاقته بالحوار:

الجدل أو الجدال، أصله من لفظ "جدل"، ويعني: "المفاوضة على سبيل

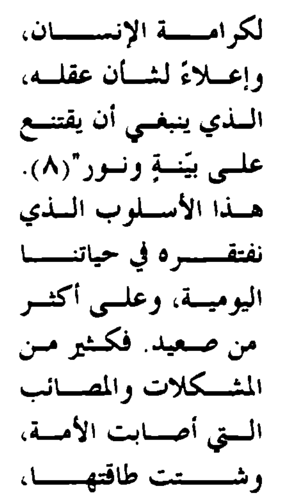
المنازعة والمغالبة، وأصله: جدلتُ الحبل، أي: أحكمت فتله، ومنه: الجديل"(٥). وعند علماء اللغة يطلق الجدل على معان عدة، أهمها: الصراع والغلبة، والخصومة، والاتقان والإحسان(٦). يقول الإمام الغزالي في (الإحياء): "المجادلة عبارة عن قصد إقحام الغير وتعجيزه وتنقيضه، بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه"(٧). وقد وردت مادة (الجدل) في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم، كلها جاءت بالمعنى المذموم، إلا في أربعة مواضع هي: ١- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٤. ٢- ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥. ٣- ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦. ٤- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١. أما بقية المواضع في القرآن، فجاءت كلمة الجدل في سياق عدم الذم، أو عدم جدواه. ويتضح من ذلك، أن القرآن الكريم يذكر الجدل في مواضع على أنه منهج عقيم، لا يصدر عنه حق وصواب، وفي مواضع أخرى يأمر به كضرورة لها ما يقتضيها، ولكن بشرط أن يكون منهجياً، خالياً من إثارة الأحقاد والفتن.

أما عن علاقة الجدل بالحوار فإن كلاهما يلتقيان في أنهما حديث بين طرفين، ولكنهما يفترقان في أن الجدل غالباً ما ينحو منحى الخصومة، والشدة في الكلام، والتمسك بالموقف، وينحو منحى الإملاء على الطرف الآخر. أما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين طرفين، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل على خصومة بالضرورة، ويغلب عليه عادة طابع الهدوء والاتزان. ولهذا نلاحظ أن الجدل في القرآن الكريم جاء غالباً بالمعنى المذموم، وفي المواضع التي جاءت بمعنى غير ذلك، جاءت قريبة من معنى الحوار، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١.

ثانياً: أهمية الحوار في القرآن الكريم:



كتابُ الله الذي لا تنقضي عجائبه، أنزله ليهدي البشرية إلى أفضل غاية، وأقوم طريق: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩، فهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المطلوب دراسته وتأمله بوعي وبصيرة، وكذلك الاحتكام إليه في كل القضايا التي تواجه المسلم في كل زمان ومكان. وأسلوب القرآن بكل تفاصيله ذو طابع خاص خالد، حيث لا يمكن أن يقاس عليه أنواع الكلام وأساليب التأليف، مما جعله فريداً وحافلاً بكنوز المعرفة من كل لون وفن، ومن هذه الأساليب أسلوب الحوار الذي أعتمد عليه القرآن الكريم في "توضيح المواقف، وجلاء الحقائق، وهداية العقل، وتحريك الوجدان، واستجاشة الضمير، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاستجابة، والتدرج بالحجة، احتراما


لكرامة الإنسان، وإعلاءً لشأن عقله، الذي ينبغي أن يقتنع على بيّنةٍ ونور"(٨). هذا الأسلوب الذي نفتقره في حياتنا اليومية، وعلى أكثر من صعيد. فكثير من المشكلات والمصائب التي أصابت الأمة، وشتت طاقتها، وأخرتها عن موقع الصدارة، كان من الممكن أن نتجنبها، أو على الأقل أن نقلل من آثارها، لو لجأنا إلى هذا الأسلوب والمبدأ القرآني المهمم، الذي نجد له مساحات واسعة في كتاب الله العزيز، حيث ترشدنا آيات كثيرة إلى هذه الحقيقة ... وقد قدم القرآن الكريم نماذج من الحوارات مع المخالفين، في مختلف العصور والبيئات، بطرق مختلفة، ومع أطراف مختلفة. وفي كل الأحوال كان الله قادراً على أن يسكت الأطراف، لكنه (سبحانه وتعالى) أراد أن يرسي هذا المبدأ الحضاري: أنه لا سبيل إلى حل قضايا الاختلاف، والتعامل مع المخالفين، إلا بالحوار والجدال بالتي هي أحسن، لأنه السبيل الوحيد لإيصال القناعات، وفتح قنوات الاتصال مع الآخرين، في سبيل هدايتهم وإرشادهم، لأن القوة هي عقوبة للمصرين على الباطل بعد سطوع

الحق، لتكون وسيلة لإعادتهم إلى الحق وإلى مائدة الحوار.

وهكذا كان أسلوب الأنبياء، في دعوة أقوامهم، كما يقصه القرآن الكريم، مثل حوارات إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه ومع قومه، وحوار نوح (عليه السلام) مع قومه، وشعيب (عليه السلام) مع قومه، وموسى وعيسى (عليهما السلام) مع أقوامهم، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين. فالنص القرآني نص حواري يعترف بالآخر، ويفسح المجال له لكي يختلف ويعبر عن نفسه، حيث سجل القرآن الكريم أقوال المعارضين وشبهاتهم الفاسدة من الأمم الخالية حول دعوة الله (عز وجل)، وعلى مختلف الأصعدة، سواء مواقفهم العقدية من إنكار الغيب وعبادة الأوثان، أو مواقفهم من الأنبياء (عليهم السلام). ودليل على حوارية النص القرآني هو ذلك الحضور الهائل لمادة (قل) ومشتقاتها، فمادة (ق ول) تتكرر في القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة، وتوزعت على أكثر من أربعين تصريفاً واشتقاقاً. وهذا يعني أن القرآن بأسلوبه المعجز قد احتوى أقوال المخالفين وشبهاتهم حول كافة القضايا والأمور، والتي تتوزع على كل أطراف المقام من متكلم ومخاطب، ومذكر ومؤنث، وحاضر وغائب. وعند تأمل ودراسة هذا الحضور الهائل لمادة (ق – و – ل)، ومشتقاتها، يتبين لنا أن القرآن الكريم كتاب ذو طبيعة حوارية عالية، حيث أن هذه المادة (ق – و – ل)، وكما يقول (محمد سيد طنطاوي): "أوضح الألفاظ الدالة على المحاورة والمراجعة".(٩).

ثالثاً: دور الحوار في النهوض الحضاري:

أولاً : حول مفهوم الحضارة.

الحضارة: جاءت هذه الكلمة في اللغة بمعنيين: الأول: بمعنى الحضور، وهو نقيض المغيب والغيبة، وجاء هذا اللفظ في القرآن مرادفاً للفظ (شهد)، قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة: ١٨٥، أي: حضر. الثاني: بمعنى الحَضَر، وهو خلاف البدو والبادية، فالحضارة بهذا المعنى هي: الإقامة في الحضر، والحاضرة والحاضر: الحي العظيم، وهذا المعنى يتوافق مع ما طرحه ابن خلدون في مقدمته(١٠). فإذا كانت الحضارة بالمعنى الأول، أي: الحضور، فهي تعطي الدلالات والمعاني التالية:

بمعنى: القدرة على الحضور، وهذه القدرة من شروطها التطور المستمر، والتجديد المتواصل، حتى تمكن الأمة من أن يكون لها حضورها في كل مرحلة وكل زمن وكل عصر. بمعنى: مواكبة المتغيرات والتحولات على الأصعدة

المختلفة، الداخلية والخارجية، وهذا يعني أن يكون الإنسان والأمة في مستوى العصر، وما وصل إليه من تطور وتقدم، الذي يعطي معنى الحضور دلالته الفعلية. بمعنى: الانفتاح والتفاعل والتواصل، فالحضارات لا تبنى في ظروف الانغلاق أو الجمود أو الانكماش. بمعنى: المسؤولية وتحملها على مستوى العصر ومقتضياته ومتطلباته، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤. بمعنى: المشاركة والتعاون في كل ما يرتبط بشؤون العصر في قضايا وأحداث ومواقف وتطورات(١١).



أما إذا أخذت الحضارة بالمعنى الثاني: أي: بمعنى خلاف البداوة، فهذا المعنى أيضاً قريب من المعنى الأول، لأن البدو ليس لهم حضور بالمعنى المعنوي، فهم في ترحال دائم بحثاً عن الماء والكلأ، إضافة إلى أن مجتمعات البدو من المجتمعات المغلقة والمقطوعة، فالصحراء تحيط بها كل الجهات، وهي بذلك ليس لها تواصل وتفاعل مع الآخرين (١٢). وعليه فإن الحضارة الإسلامية لديها مجموعة من القيم والمرتكزات التي تنبع من الإسلام، والتي تكون بمثابة مؤشرات وحوافز تضبط السلوك الإنساني للفرد المسلم والجماعة المسلمة، وفي مقدمة هذه القيم يأتي الحوار بوصفه قيمة حضارية مهمة في حياة الأمة، لأن مركب (الحضارة) هو (التعارف)، والذي يتجسد في الحوار والتواصل والتفاعل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣.

ثانياً: مقومات الحضارة ودور الحوار فيه:

١- الاستقرار السياسي:

تعرف السياسة: بأنها طرائق انتخاب السلطات الحاكمة وتغييرها، ونظام القيم للمجموعات المشاركة للحكم(١٣).

ويعد هذا البعد واحداً من أهم المهمات الأساسية للأمة الإسلامية وحضارتها، حيث من طبيعة الإسلام، أنه نظام شامل للحياة، وأنه دين ودولة، ولم يخرج عن هذا التصور أحد ممن اطلع على تعاليم هذا الدين، وتجربته التاريخية، فليس في الإسلام فصل للدين عن الدولة، كما هو في الغرب العلماني. فالسياسة، في مفهومها الحضاري، لها ضوابطها ومفهومها الخاص، الذي يختلف عن كل المفاهيم والخبرات الأخرى، فهي: رعاية وتدبير كل ما يتعلق بأمور الناس، وتدبير مصالحهم في أمور الدين والدنيا، وذلك بإرشادهم وتوجيههم إلى خيرهم ونفعهم (١٤). فالسياسة، في هذا التصور، وسيلة لرسم الطرق، التي ترشد الجميع، إلى ما فيه خير الدين والدنيا. ومن أهم مبادئ وأهداف الحكم الإسلامي وخصائصه: تفعيل دور الأمة في المشاركة، وإبداء الرأي، عن طريق مبدأ الشورى، الذي يعتبر من أعظم مبادئ الإسلام وقيمه التي تجعل (الحوار) وممارسته، بين الفرقاء والمختلفين، أمراً لا مناص منه، فعن طريقة يتم تجسيدها. والشورى كأساس في نظام الحكم الإسلامي واجبة شرعاً، لأنها حظيت بتأكيدات القرآن وتزكيته، حيث لم يخل كتاب من الكتب التي ألفها علماء المسلمين، من تلك التي تبحث في أمور الحكم والولاية، في أي عصر، من التحدث عن الشورى، والتنويه بفضائلها، ومحاولة إقامة الأدلة على وجوب اتباعها، والدعوة لأن تكون هي القاعدة في كل حكم إسلامي(١٥). هذه الأهمية للشورى في الإسلام تأتي من أنها سبيل لمعرفة الرأي الصواب، كما أن فيها تذكيراً للأمة بأنها صاحبة السلطان، وتذكيراً لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطان، وفي هذا عصمة من الطغيان، الذي هو من صفات الإنسان. إذن يظهر مما سبق، أنه لإقامة الحكم الإسلامي، الذي هو واجب الأمة، لا بد من تأصيل فقه الحوار والمشاورة بين جميع طبقات المجتمع، لأن أهل الشورى – بالمعنى العام – هم جمهور الأمة، رجالاً ونساء، فالخطاب القرآني في "سورة الشورى" عام، والضمير للجميع، وعلى هذا فالمبادرة بإقامة الشورى وتنظيمها يجب أن تأتي من أفراد الأمة وعامتها، ولا يكفي أن ينتظروا من الحكام أن يقوموا من جانبهم بذلك. فالشورى مسؤولية مشتركة لجميع أفراد المجتمع، وإثم تعطيلها يقع على الأمة كلها، وبذلك تؤدي الدولة مهمتها في الإصلاح والعمران، ولن يتحقق هذا إلاّ إذا كان الحوار قائماً بين أفراد المجتمع.

٢- التربية والتعليم: من المبادئ والمهمات الأخرى الأساسية للإسلام وحضارته هي مهمة التربية والتعليم، حيث بواسطتهما يمكن بناء بنيان راسخ

وقوي للأمة. فالتربية تنمية سلوك الفرد وترقيته نحو القيم العليا، حيث إن الإنسان كائن فذ، يتميز عن سائر المخلوقات الأخرى بما لديه من الميول والدوافع، لذا لا بد من توجيه طاقاته وميوله بما يخدم الحضارة الإنسانية وتقدمها. وللتربية أساليب وطرق يتم فيها مخاطبة الإنسان، وتوجيه ميوله ودوافعه نحو الأهداف والغايات الحميدة.

وقد أرشدنا الإسلام إلى عدة طرق لتربية الإنسان، منها: التربية بالحوار، ومداولة الأفكار بالأساليب الجميلة، حيث إن هذا الأسلوب للتربية كثيراً ما جسده القرآن الكريم، في حوارات الأنبياء مع أقوامهم، وذلك في طريق الهداية والإرشاد إلى مبادئ العدل والتوحيد، وذلك واضح في حوارات الأنبياء (عليهم السلام) مع أقوامهم. وهذا الأسلوب "يعتمد على مقابلة الرأي بالرأي، ومقارعة الحجة بالحجة، بقصد تغيير رأي المعارض، وجعله يقتنع بما يراه من الحقائق. ومع أنه قلما تخلو قصة في القرآن الكريم من عرض الحوار بين أشخاصها، حتى يخيل إلى القارئ أنه ينظر إلى أحداث قصة تقع أمام عَيَنيه ويستمع إلى أشخاص، وهم يتحاورون ويتجادلون، مما يعطيها صفة الحيوية، ويجعلها أكثر مُتعة، وأشدّ تأثيراً على النفس. مع ذلك، فإنّ الجدل والحوار يعتبر أسلوباً متميزاً من أساليب التربية، ونراه بارزاً في كثير من آي الذكر الحكيم"(١٦). ولا شك أن إحدى وسائل التعلم هو طرح الأسئلة والمعضلات، وهذا يؤدي بدوره إلى التذاكر والتواصل، بهدف الوصول إلى الإقناع والنتائج المرجوة، ومن هنا تأتي أهمية الحوار، باعتباره وسيلة مهمة من وسائل التعلّم والتعليم. وكان لهذا الأسلوب قديماً دوره في التقدم الحضاري والعلمي لدى المسلمين، حيث إن "أسلوب الحوار والمناقشة والمراجعة كان هو الأسلوب الأكثر انتشاراً في الحلقات العلمية، والفقه الحنفي بشكل خاص، شهدت بلورته الأولى محاورات واسعة جداً بين الإمام أبي حنيفة وباقي أصحابه، بل إن العودة إلى ما قبل ذلك، إلى عهد النبي، توقفنا على أن كثيراً من أحاديثه تفيض بمراجعة أصحابه، رجالاً ونساء، مستفسرين عن معنى كلمة، أو مستوضحين عن مسألة. وحين تراجعت جذوة المعرفة في نفوس المسلمين، ودخلوا في عصور التقهقر، ساد أسلوب التلقين، وصارت عملية الاتصال الدعوي تقوم على طرف واحد، هو: الداعية، أو الخطيب، أو المعلم"(١٧).

وفي عصرنا الحديث نجد أن الحوار يعتبر من أهم الوسائل، وأكثرها انتشاراً في مجال التعلّم، واكتساب الخبرات والمهارات□

صراع الحضارات في عصر العولمة

سالم الحاج

✍ هل الحضارات في حالة صراع وصدام؟!..

من يقرأ التاريخ لن يخطئ في قراءة حالات الصراع والصدام الدموي بين الشعوب والأقوام، والدول والامبراطوريات، المختلفة.. ولا شك أن الدوافع وراء هذه الصراعات والحروب، كانت تقف وراءها دائما عوامل الطمع، والرغبة في التوسع، وتحقيق الأمجاد، وغير ذلك.. ولكن هل يدخل ذلك ضمن صراع الحضارات؟!..

إن التنوع والاختلاف هو ضرورة حضارية، وحقيقة كونية أيضا، وكما نشاهد ذلك من حولنا في عالم الأفكار والتصورات، على مستوى الأفراد، فإنه أيضا لا يمكن إنكاره على مستوى الأقوام والشعوب والحضارات.. ولكن هذا التنوع والاختلاف، كان – في الغالب – سببا لنشأة النزاعات، والخلافات، بين البشر.. ولم تصل البشرية إلى مرحلة تقبل اختلافاتها، والاعتراف بها، إلا بتدرج وبطء، وبعد تاريخ دموي من النزاعات والحروب.. وإذا كانت تلك النزاعات والحروب تقف وراءها – كما ذكرنا– دوافع شتى من التعصب، والجشع، والأحقاد، وقلما كانت تتدخل فيها عوامل الاختلاف الحضاري والثقافي، فذلك ما يسمح لنا بالقول بأن الدوافع وراء ذلك لا يصلح تفسيرها بـ (الصدام أو الصراع بين الحضارات)، فهي في معظمها نوازع

وأحقاد فردية، ولم تكن تنطلق من منطلقات العرق والقوم والحضارة!!.. ولكن دون أن يعني ذلك أن هذه المعاني كانت غائبة بالكلية عن تلك النزاعات، فالإنسان في النهاية كائن معقد، والحضارات البشرية لم تكن بعيدة عن بعضها، ولا منفصلة في جزر معزولة، بل كانت في حالة تفاعل وتأثير متبادل فيما بينها..

إن صراع أو صدام الحضارات هو هاجس معاصر للبشرية، أو لنقل: لبعضها، نشأ في العصور الحديثة، بعد أن أخذت الشعوب تدرك الاختلاف في هوياتها، وانتماءاتها القومية والحضارية.. ويمكن القول إن نوعا من أنواع ما يمكن اعتباره صراعا للحضارات، قد بدأت ملامحه بالتبلور والظهور، مع بدايات ظهور الامبراطوريات الكبرى في التاريخ. ومع بزوغ فجر الحضارة الإسلامية، وخاصة بعد توسعها، واستيلائها على أراض وبلدان شاسعة كانت تحت سيطرة الامبراطورية البيزنطية، وغيرها، أصبح الطابع الحضاري للصراعات يأخذ شكلا أكثر تبلورا.. فمنذ أن برزت الحضارة الإسلامية، وبسطت سلطانها على مساحة واسعة من الأرض، ولأزمان مديدة، بدأت النزاعات والخلافات تأخذ أكثر فأكثر شكل تنافس ونزاع مؤسس على الانتماء الحضاري، والديني بالدرجة الأولى.. ولكن دون أن يعني ذلك أنها تحولت إلى صراعات حضارية صرفة، فتلك حالة لم تشهدها البشرية، حتى اليوم.!

فالصراعات والحروب في تاريخ البشرية، القديم والحديث، لم تخلو من نفس حضاري، ولكنها لم تك قط نزاعات حضارية صرفة، ولم تقم النزاعات بين الشعوب على هذا الأساس وحده أبدا، بل كثيرا ما كانت الاختلافات والتمايزات الحضارية بين الشعوب والأمم، تستغل من قبل الحكام والملوك والأباطرة، وتتخذ ذريعة وتكأة لتحقيق مصالحهم وطموحاتهم، باسم الدين أحيانا، وباسم العرق والقوم أحيانا أخرى..

إن مروجي هذه النظرية اليوم يدّعون قراءة التاريخ، ويرون أن البشرية، وبعد أن كانت نزاعاتها وحروبها تقوم في السابق على أساس رغبات وأطماع الملوك والحكام، تطورت لتكون صراعات بين الشعوب، ثم تحولت إلى صراعات آيديولوجية في العصر الحديث، وهي اليوم مرشحة لتكون صراعا بين الحضارات المختلفة..ذلك أن تمسك الشعوب والأمم، على مستوى العالم، بخصوصياتها الثقافية، هو مصدر خطر

على مستقبل البشرية، لأن الحضارات هي قبائل الإنسانية الكبرى، وصراعها هو صراع قبائلي على نطاق عالمي!! وهذه الرؤية للتاريخ تتناسى أن الصراعات داخل نطاق الحضارة الواحدة، قديما وحديثا، كانت دائما هي الأكثر والأوسع، والأشد عنفا، والصراع الذي تتنبأ به على مستوى الحضارات يظل فرضا نظريا، لا يؤيده التاريخ، ولا مسيرة التطور الإنساني المعاصر.

ومن هنا، يمكن القول إن نظرية صراع الحضارات هي نظرية آيديولوجية، ملوثة بنفس لا إنساني، وهي لا تعبر عن مستقبل البشرية، بل هي نظرية تعيش في التاريخ، وتريد أن تجعل من تلك المحطات السوداء فيه-المحطات التي تعبر عن الجانب المظلم من البشرية-مقياسا لتفاعل الحضارات فيما بينها..

إن البشرية، سواء على المستوى النظري، أم على المستوى الحضاري، قد تجاوزت هذه النظرية.. ولكن ذلك لا يعني أن الصدام بين الحضارات قد توقف أو انتهى، لأن الحضارات هي في حوار دائم فيما بينها، سواء بصورة صدامات، أم بأشكال التعاون والحوار.. نعم، إن الصراعات والصدامات بين الحضارات المختلفة كانت موجودة، ولا تزال، ولكن لا يجب أن نجعلها الأساس لرؤيتنا، بل يجب النظر إليها كأمراض أو أعراض مرضية، وحالات هبوط بشري.. إن حالات الصراع والنزاع بين الحضارات هي مراحل طارئة، وعابرة في حياة الشعوب، التي كانت تحاول من خلال ذلك الوصول إلى حالة الاستقرار والتفاهم..

ولذلك فإن الاعتراف بهذا الاختلاف والتنوع، بين الشعوب، وحضاراتها، واحترامه، وتعبيد الطريق أمام تعارف الشعوب، وتعاونها، هو ضرورة لا يمكن تجاهلها، أو الغفلة عنها، وأي تجاهل لها لن ينتج عنه سوى المزيد من الخراب والحروب والنزاعات..

إن البشرية، في عصرها المعولم، هي اليوم أبعد ما تكون عن نبوءة صراع الحضارات، بل هي بحكم العلاقات الاقتصادية المعقدة والمتداخلة، وبحكم الانفتاح الثقافي والفكري الواسع الذي تعيشه اليوم، في ظل الفضاءات المفتوحة، أقرب ما تكون إلى تحقيق مقولة القرية الكونية الواحدة!.. نعم، إن الصراعات ستبقى، والحروب لا تزال قائمة بين بني البشر، ولكنها صراعات على هامش المصالح والتناقضات السياسية والاقتصادية، ولم تبن على أساس حضاري، ولا ينبغي لها أن تكون!..□

دراسات

العلمانية المؤدلجة

ومخاطرها على الديمقراطية..

(مصر) نموذجاً

القسم الثاني



ابو بكر علي

ترجمها عن الكوردية/ ابو احمد

✍ عند التأمل في تصريحات سياسيين وكتاب علمانيين، كهاشم صالح، يتبين لنا أن لهم إشكالات كثيرة في فهم طبيعة التيار الإسلامي والأحزاب الإسلامية، فهم يعتبرون كل وجود إسلامي مناقضاً للديمقراطية، ويتجاهلون التغيرات التي حلت على الفكر والتفكير والاتجاه والسلوك السياسي والشعارات والطروحات التي تتبناها مدارس وقوى إسلامية مختلفة. يتعلق جزء من التغيرات بتبني قيم الدولة الحديثة، ومبادئ المواطنة والديمقراطية، ولم يعد قسم من الإسلاميين القوى التقليدية القديمة، بل أصبح جزءاً من التغيرات ذات البعد العالمي، والتي شملت المجتمعات المسلمة على أكثر من مستوى. بمعنى آخر، باتت القوى الإسلامية قوى عصرية، تعمل في إطار تشكيلات حزبية حديثة، وتعقد التحالفات مع القوى الأخرى، ويشكل خريجو الجامعات الحديثة، وذوو التخصصات، الجزء الأكبر من قياداتها، وجماهيرها، وقد اندمجت في الواقع السياسي، وهي تنافس بشكل مدني، مؤمنة بمبدأ التوافق على الدساتير الحديثة، وتخلت عما كانت تحمله سابقاً من شعارات أيديولوجية.

إن تجاهل مثل هذه التغيرات، رغم أنها



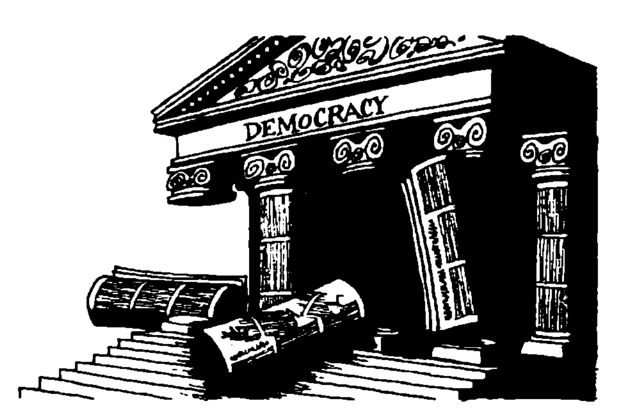
لم تصل بعد إلى نهاياتها، أصبح مصدر العديد من التحليلات الخاطئة، والإسقاطات التاريخية، والراهنة، غير الصحيحة، والفاقدة للأساس. إن سمة المحافظة الاجتماعية لحزب عصري، ذي خلفية إسلامية، لا يضع الجدية والتجديد في البعد السياسي لتفكير تلك القوى وتعاملها، تحت طائلة التشكيك، بل هي العلاج الذي يجب أن تبحث عنه المجتمعات الإسلامية من أجل الديمقراطية، والتنمية السياسية الحقيقية، ولجم التطرف العلماني والإسلامي. لذا فإن وجود شريحة من ذوي الرأسمال المتدينين، والسياسيين الديمقراطيين الملتزمين بالواجبات العبادية والأخلاقية والاجتماعية الإسلامية، يعتبر جزءاً من المشهد السياسي الجماهيري العام، ومؤشراً للتوجه نحو لحظة الالتقاء بالاستقرار والتوازن الجذري، والتوصل إلى المسار الطبيعي لتنمية المجتمعات. إن تبني الإسلاميين لقيم الديمقراطية، وبعض القيم الجديدة، ليس شعاراً أيديولوجياً، بل هو مؤشر على تقدم في البيت الإسلامي، وتجربة سياسية معنوية ومادية في أكثر من مجتمع، بحيث يصعب العثور على قوة علمانية، في طول العالم الإسلامي وعرضه، لها ما للإسلاميين من صدقية تجاه قيم الديمقراطية، وبعض المفاهيم الخاصة بالمجال السياسي والاقتصادي المعاصر.

قد تُثار هنا مسألة، ويقال إن فهم بعض الإسلاميين، والتيار الإسلامي بصورة عامة، للديمقراطية ومبادئ المواطنة المتساوية، والدولة الحديثة، لا يزال يعتريه الإشكال والنقص.

وهذا القول صحيح، ولا نرفضه، لكنه لا يؤدي إلى نقض ما وصلنا إليه من استنتاج، وذلك لأن الإشكال والنقص الموجودين لدى العلمانيين، ليسا بأقل، إن لم يكونا أكثر، فالغموض يعتري فهمهم للكثير من هذه المفاهيم، ومع أنهم يدعون أن لا إشكال لهم نظرياً، إلا أن الواقع التاريخي، والراهن، في أكثر من بلد إسلامي، يبرهن أنهم ليسوا فقط غير

ملتزمين بتلك المبادئ النظرية، بل أنهم ارتكبوا انتهاكات كبرى ضدها، ووصل الأمر عندهم إلى إنتاج الدكتاتورية، وتفريغ القوانين والمحاكم من محتواها، والوصول إلى مستويات خطيرة من الفساد والظلم. فالانقطاع بين العلمانية والديمقراطية، وصل حداً يجب فيه على العلمانية برهنة إيمانها بالديمقراطية، وقيمها، والقبول بنتائج التنافس المدني مع الآخر الفكري والسياسي، بدل كيل التهم للإسلاميين باللاديمقراطية والشمولية والاحتكار. فالأصل في العلمانية الشرقية، ونموذجها المتسلط، خلال القرن الماضي، يحكي عن عدم تعايش العلمانية مع الديمقراطية، بل وتناقضها معها. التجربة المشوهة والتعامل السياسي السيء، في أكثر من وجه، يدلان على إشكالية الفكر، وتشوهه، وأزمة التفسير لديهم.

إن (العلمانية الشرقية) تحاول رفض اللعبة السياسية، وطرد الإسلاميين من الساحة، من خلال اتهامهم باللاديمقراطية، وعدم الإيمان بمدنية الدولة، وذلك كي يتسنى لها التنافس مع نفسها، أو مع خصم يرضى بالمساحة والتأثير اللذين تحددهما له في الحياة والساحة السياسية، وتفرضهما كشرط مسبق عليه.



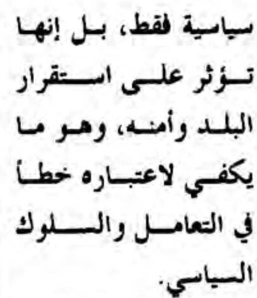
ليسوا قليلين في مصر الآن، من ينادون بانتهاء مرحلة الإخوان، والتيار الإسلامي ككل، ويريدون طردهم من الساحة السياسية، أو على الأقل تقليص حقهم في الحضور السياسي، إلى درجة أن يصبحوا مجرد زينة لواجهة الموديل السياسي، الذي يبغيه التيار العلماني ويؤمن به. ومن هنا نلاحظ وجود حملة إعلامية قاسية ضده، واتهامات لا نهاية لها، ومحاولات لإشراكه بطريقة ما، كل ذلك يجري بأسلوب مخابراتي غير ديمقراطي، من أجل تحجيم ذلك التيار، ومن ثم

تهميشه.

إن سيادة الدعاية والحملة الإعلامية تلك، في القنوات المصرية المؤيدة للعسكر والقوات المدنية، مؤشر على الروحية الفاشية، وهي تذكر بالأسلوب الذي اتبعته القوى القومية واليسارية الدكتاتورية، التي تحكمت في المنطقة سابقاً. هذا الإعلام لم يتوان في اتباع الأساليب الديماغوجية، من أجل إضفاء الشرعية على قمع الخصوم، وتصفيتهم، وتجميل مساوئ الحكام، وصناعة المجد الزائف، والأبطال الوهميين. فالنخبة التي سيطرت على السلطة في المنطقة، وخصوصاً إبان حقبة القومية الانقلابية الدموية، المتشربة باليسارية، بعد النصف الثاني من القرن العشرين، تمثل نموذجاً جلياً وسيئاً للمكافيلية، تتوسل بكل الوسائل من أجل الدفاع عن سلطتها ومصالحها الخاصة، وتقبيح وقمع كل الأشخاص والقوى والنخب، التي تخاصمها، أو لم تشأ أن تكون جزءا من ماكنتها السياسية والإعلامية والعسكرية. وكل ذلك يأتي من منطلق عدم اهتمامها، وورثتِها، وبقاياهم في الزمن الراهن، بالحقيقة والواقعية والعلمية والمهنية، فقد كانوا على الدوام في أزمة مع الشرعية السياسية والأخلاقية، وهدفهم الأسمى هو الحفاظ على سلطتهم، والنأي بها عن التهديد ومخاوف الانهيار. هذا التفكير والفهم اللاأخلاقي للسلطة، يتطلبان-بطبيعة الحال- محاولة لإعادة توصيف الأوضاع السينة، وتشويهها، حتى عن الحقيقة نفسها، وتغييبها عن الواقع، وذلك فضلا عن قمع المدافعين عن الحقائق، والمطالبين بحقوق الناس، إذ إن تجلي وجه الحقيقة، يحتاج إلى الفهم الصحيح للواقع والأوضاع المحيطة. وهذا بحد ذاته كاف لإزاحة كل حاكم وسلطة ونظام لا يستطيع مجابهة حقائق مجتمعه، ويخاف من معرفة الواقع. ولذلك فإن ازدياد وكثافة المساحات المظلمة للمجتمع، وندرة أو انعدام المعلومة، ومحاولة وضع الأراء والتوجهات بديلا عن الحقيقة، وعلى الوجه الذي تتطلبه الدعاية السياسية، سيظل آلية وهدفاً أساسياً ودائمياً لهذا النمط من الحكم.

*** ***

مخاطر هذه الحملة من التشهير والتقبيح والشيطنة والتجريم، ضد (الإخوان)، والتيار الإسلامي بصورة عامة، كخصم سياسي وفكري وأيديولوجي، وإظهارهم بمظهر العدو، والتي يقودها التيار العلماني، لا تكمن في كونها قضية





سياسية فقط، بل إنها تؤثر على استقرار البلد وأمنه، وهو ما يكفي لاعتباره خطأ في التعامل والسلوك السياسي.

الخطورة العميقة والجدية لهذا النمط من التعامل، هو أنه من الناحية السياسية عمل بالمعادلة الصفرية. والمعادلة الصفرية هي محاولة التحطيم الكلي للخصم، وطرحه من الساحة، وإنهاء وجوده، أو القضاء على كل طاقة له للنهوض، والعودة إلى صراع جدي مستقبلاً.

هناك العديد من الكتاب والسياسيين والمراقبين، المصريين وغير المصريين، الذين يقرؤون أحداث البلاد ورؤيتها العلمانية، ويرون أن وجود تفكير كهذا لا ينسجم مع ألفباء الديمقراطية، وأي حديث عن الديمقراطية في ظل هذه الظروف ليس إلا شعاراً سياسياً هزلياً عديم المعنى، فهذا النمط مجرَّب، في بعض دول المنطقة، ومنها تركيا.

لقد رفضَ نمط العلمانية والديمقراطية في تركيا الهويتين الإسلامية والكوردية في البلاد لسنوات عدة، أي أنه كان نمطاً بعيداً عن الإسلام والكورد. وفي ظروف كهذه تضيق دائرة الفكر والتسامح إلى مستوى خطير، حيث تُطرح العديد من الهويات والقوى والتجمعات والمكونات السياسية والقومية والدينية والمعرفية خارج اعتراف شرعية الدولة، والنخبة الحاكمة، ويضيق معنى التعددية إلى مستوى قومية معينة، وتيار معين، كما حصل في النموذج التركي، أي أن على النظام أن ينتج نفسه باستمرار، وتتحول التعددية إلى تبديل المناصب والنفوذ بين مكونات اللون الواحد، وأعضاء التيار السياسي والأيديولوجي المعين، حيث من الطبيعي أن يقوم النظام في هذا الإطار، وهذه الحالة، على نفي الآخر، والآخرين، إن وجودوا. إذ عندما يكون هناك حق وجود لقوة معينة، ويكون لها شرعية المنافسة السياسية، فإنه يجب عليها أن تؤمن بحق المنافسة والمنافسة العادلة للقوى والتيارات والهويات

الأخرى، والتي قد لا تملك – في بعض الأحيان–وجوداً، أو ظهوراً، أو تعبيراً عن الذات.

بالطبع، قد يحدث في بعض الأزمنة والأماكن والحالات، أن يتطلب الأمر، ولضرورة حماية الديمقراطية، وحفظ المجتمع من الكوارث والحروب والدمار، أن يتم اللجوء إلى حظر بعض الأحزاب والتيارات، كما في مثال حظر النازية والفاشية، وأمثالهما، ولكن اذا كانت الفاشية والنازية مقياساً، حيث تقوم أهم عناصرهما على التطرف القومي والشعبوي، لكان من الواجب حظر الكمالية، كأيديولوجيا، في النموذج التركي، وليس الهوية الكوردية والإسلامية، كما كان الحال.

فما من منطق، سوى ضيق الأفق القومي والأيديولوجي، يقبل القول بأن الهويتين الكوردية والإسلامية هما العائق أمام تنمية المجتمع تجاه الدمقرطة. بل على العكس، فإن حظر الهويتين وقمعهما، على امتداد عقود طويلة، كان مؤشراً خطيراً على محدودية التجربة الديمقراطية التركية، وسطحيتها. وكل انفتاح تجاه هاتين الهويتين، هو انفتاح أفق جديد أمام الديمقراطية والتعددية الحقيقية. وهذا ما أثبته الواقع، إذ لم تبدأ الإصلاحات الديمقراطية في تركيا، إلا عندما تراخت الضغوط على هاتين الهويتين، بل إن القوى السياسية ذات الميول الإسلامية، والقوى الممثلة للهوية والإرادة الكورديتين، تعتبران اليوم القوى الأساسية والأصيلة، التي تأخذ على عاتقها التوجه نحو ديمقراطية أكثر تكاملاً.

إن قراءة النموذج التركي، ذو أهمية كبرى لواقع مصر، والمنطقة بأسرها، إذ يمكن بها توفير الوقت والطاقات والعرق والدماء التي قد تهدر من شعوب المنطقة، فما يحصل في مصر، وفي مستوى أدنى في بعض دول المنطقة الأخرى، هو محاولة لتكرار التجربة الكمالية، في سياق زمني وسياسي دولي وعالمي مختلف.. إذا كانت روح الكمالية، من الناحية السياسية، وفيما يتعلق بتكوين القومية والشعب وإدارة السلطة، قد تأسست على قمع الآخر، فإن ما يراد تكراره في مصر اليوم، على مستوى الهوية الأيديولوجية والسياسية، هو ذات التجربة، إذ أن هناك تحالفاً شبه علني بين المؤسسة العسكرية والقوى العلمانية في البلاد. إن العودة إلى النموذج الكمالي، في سياق زمني ودولي مختلف، لن ينتج عنه سوى إطالة الطريق، وتعقيده،

وزرعه بالمصاعب والآلام.

وهنا أحد ميادين اختبار القوى المختلفة، حيث تختبر مصداقيتها، ويظهر مدى بعض القوى التي تدعي الليبرالية والديمقراطية بقيم الليبرالية والديمقراطية. بل إن هذه هي المحطة التاريخية، والإطار الفكري والتنظيمي والسياسي، حيث تقف العلمانيةُ في الخندق المقابل لليبرالية والديمقراطية، وتواجه قيمهما، ويضيق وعاؤها الفكري والسياسي بحيث لا يمكنها استيعاب أطياف واسعة من المجتمع، لأنها تصل إلى حالة تبحث فيها عن الهيمنة، والتعالي، ونفي الآخر، وتصفيته فكرياً وأيديولوجياً، وهي حالة تفقد فيها الإيمان بالشراكة مع الآخر الفكري والسياسي. ومن هنا تصبح قوةً قمعية خطيرة، ومصدراً لشرعية مشوهة لسلطة مجيرة لصالح التمييز، والقمع، والاستبداد السياسي والاقتصادي والاجتماعي. مشكلة هذا النمط هي أن روح الوصاية فيه حاضرة بقوة، وهو يبغي ويحاول توجيه الظروف حسب مشيئته، ولا يدع دوراً للآخرين سوى في توجيه برقيات التهنئة، والانقياد الأعمى، والدعم والتبجيل غير المشروط! لأن من أهم ثمار روح الوصاية تلك، والتي تشكل خاصية استعمارية بالأصل، وتنطوي على النظرة الدونية للآخرين، هو عدم الاستعداد لتقاسم السلطة المعرفية والتفسيرية والتعريفية مع التيار المقابل، والذي هو هنا، في التجربة المصرية، وفي العالم الإسلامي، يتمثل في التيار الإسلامي.



إن النمط العلماني المتعصب، والمجرد من الديمقراطية، ليس مستعداً لسماع فهم الآخرين لمفاهيم الدولة والسياسة والديمقراطية والدستور والحرية، وما شابهها من مفاهيم، إلا قليلاً، وذلك لأنه يرى أن تفسير تلك المفاهيم، وتحديد مضامينها، وانعكاساتها، يدخل ضمن حقوقه وسلطاته الحصرية، ولا يحق الآخرين المشاركة في ذلك! ويرى أن غيره أساساً ليسوا في المستوى والقدرة

اللتين تؤهلانهم لمثل هذه المشاركة، من حيث المرجعية الفكرية والدينية والحضارية. بل إن بعض الأجنحة الأشد تطرفا، ترى أن الإسلاميين هم الأعداء الحقيقيون لتلك المفاهيم، وبالتالي فإنه ليس فقط لا يجب الاستماع لهم وإشراكهم، بل يجب اتباع سياسة الإسكات والإبادة حيالهم!

إن أحد أهداف القوى العلمانية المصرية، في اللجوء إلى المؤسسة العسكرية، لعزل (مرسي)، وحجز قادة التيار الإسلامي، وغلق قنواته، وإسكات إعلامه، وقتل المئات، وجرح الآلاف، واعتقال آلاف آخرين من أتباعه ومؤيديه، هو إخافة ذلك التيار، ومحاولة طرده من المجتمع، وقمعه بشكل لا يتمكن من النهوض لعشرات السنين القادمة! بحيث يبيدوه، ويمنعوا حركاته ونشاطاته إن استطاعوا، وإن فشل هذا الخيار لجؤوا إلى الخيار الآخر، وهو التعامل معهم على أساس منطق التصدق عليهم في ظل نمط مشوه من الديمقراطية المشروطة، على أن يكون حضورهم في ميدان يحددون، وبالمقدار الذي يقدرونه لهم.

*** ***

ما يثير الاستغراب هو أن قسماً من القوى المصرية، التي تدعي الليبرالية، هي التي تقوم بهذا العمل، وهم في الحقيقة بعيدون كل البعد عن قيم الليبرالية، وأكثر آلياتهم التي يتبعونها، هي التي كانت متبعة في المرحلة غير الليبرالية التي سبقت الثورة، وهي من مخلفات عهد مبارك. وربما يكون هذا الفهم والتعامل السياسي، والذي كان سائدا في ماضي المنطقة، من العوامل المهمة في تشويه محتوى مفهوم مهم كالليبرالية، بل وحتى الديمقراطية، التي بدت في السنوات الأخيرة، وما قبلها، مظهرا وآلية لليبرالية السياسية، وحظيت باستعمال وقبول واسع على المستوى الشعبي.

هذه الخيانة تجاه قيم الليبرالية، من قبل القوى العلمانية المصرية، أو على الأقل فيما يخص تعاملها مع الانقلاب العسكري، وما تبعه، نابعة من العديد من العوامل المختلفة، منها: الخلفية الأيديولوجية اليسارية والقومية المتطرفة والقديمة لتلك القوى، فبعضها متأثرة بالأيديولوجيا الماركسية والقومية العربية، بل بنمط منها، وهي الناصرية، وهاتان الأيديولوجيتان، من الناحية التاريخية، تريان جزءاً مهما من شرعيتهما في الانقلاب على التجارب الليبرالية الجزئية، التي شهدتها مصر والعراق

وليبيا ودول أخرى في المنطقة، لذا لا يمكن لها أن تكون حاملاً وفياً وموثوقاً فيه لقيم الليبرالية والديمقراطية.

مشاركة هذه القوى في الانقلاب على تجربة ديمقراطية جديدة، أو - بكلام أدق - دعوة القوات المسلحة للانقلاب على صناديق الاقتراع، هي استمرار لنهجها المقيت عينه، ولكن بصورة أخرى، وفي ثوب مباين! فالانقلاب جرى باسم الديمقراطية، والليبرالية، وليس الاشتراكية، والقومية، كما كان الحال في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، في كل من مصر وليبيا والعراق.. وهذا ما عقّد المشهد، وخلط الأوراق بصورة خطيرة وسيئة.

قد يكون هذا النوع من التعامل، في حد ذاته، مؤشراً على محاولة القومية العربية لاستعادة ما خسرته من خنادق، نتيجة هزائمها المتوالية في كافة الأصعدة. إن إثارة مسألة العدالة الاجتماعية في قضية تعديل الدستور، من قبل بعض القوى اليسارية، تشير بشكل من الأشكال إلى إعادة حضور الاشتراكية في ثوب شعاراتي. المشكلة ليست في وجود هذا السر، وحضوره في الساحة السياسية، بل المشكلة في تعامل القوميين مع أسس الديمقراطية، وقيمها، وتضخيم دور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية، وفي محاولتهم لتقسيم المجتمع إلى معسكرين متحاربين، وشيطنة تيار سياسي واجتماعي كبير، ومحاولة طرحه خارج الساحة، وهو التيار الذي كان قد حصل على الأغلبية في أكثر من انتخاب، وكسب ثقة أغلبية الناخبين.

كما أنه في التعامل مع ذلك التيار بروحية البلاشفة، وكأن الإسلاميين هم مناشفة بلادهم، وأنهم ارتكبوا الخيانة، ويستحقون العقوبة.

إن سلوك العلمانيين في مصر مع المؤسسة العسكرية، بصورة عامة، ودور تلك المؤسسة، ومكانتها في الحياة السياسية، يخالف مبادئ الليبرالية، وقيم الديمقراطية.

إن الدولة في ظل الليبرالية والديمقراطية، يجب أن تكون قبل كل شيء مؤسسة محايدة، ومركزاً ينتمي إليه الكل، ويحتضن الهويات المختلفة للمجتمع. إن حياد الدولة، الذي هو جوهر العلمانية المعتدلة، هو ذلك النموذج الذي يمكنه التعايش مع الديمقراطية، ويحتاج إلى العديد من الضمانات والإجراءات، بعضها يتعلق بدور القوات المسلحة، ومركزها، وعلاقاتها في الحياة السياسية.



لكي تكون السلطة حيادية، يجب أن تكون القوات المسلحة وطنية، ويكون ولاؤها للوطن والدولة فقط، وتتجرد من الولاءات الحزبية والأيديولوجية والدينية والمذهبية والقومية، في البلاد ذات الأديان والمذاهب والقوميات المختلفة. إن دور القوات المسلحة، وعلاقتها بالسلطة المدنية، يجب أن يتجسد في عدم التدخل في الشؤون السياسية الداخلية، وفي أن لا تتجاوز وظيفتها وواجبها في الدفاع عن الحدود من الاعتداء الخارجي، إلى وظائف وأدوار أخرى.

إن فصل القوة العسكرية عن السلطة السياسية، كان -ولا يزال- يشكل أحد أهم مطالب القوى والتيارات المطالبة بالإصلاح السياسي، وبالتغيير لاحقاً، لأن تداخلهما يشكل مصدراً مهماً ومظهراً أساسياً للفساد السياسي. ولا تختلف المسألة ما إن كانت هيمنة السياسيين على الجيش، أم هيمنة القادة العسكريين على السياسة، إذ في ظل القائد التاريخي، والحزب القائد، وحكم العائلة، وتدهور المجتمع المدني، لا يبقى هناك ثمة فصل بين المؤسستين العسكرية والسياسية. وإن وجد فصل، فإنه يكون تكتيكيا، واختصاصيا، وظاهريا، أكثر من كونه سياسياً ودستورياً ومؤسساتياً. فالسياسة، وكافة مؤسسات الدولة، ومتطلبات تجسدها وانعكاساتها، تتعرض -في ظل الاستبداد، وسيادة الظلم- إلى نوع من التشوه والسبات القاتل. وفي ظل ظروف كهذه، من الحكم الفردي والاستبدادي، يتحول الجيش، وجميع المؤسسات الأخرى، بل الدولة ذاتها، إلى مجرد وسيلة لفرض قرارات وإرادة القائد، والحزب، وأزلامهما. ومن هنا يتعرض مفهوم الدولة إلى الانقلاب، ولا

يبقى من هذه المؤسسة السياسية غير الحدود الدولية، والمؤسسات البيروقراطية، والشكلية.

في حين أن الليبرالية السياسية والديمقراطية، في إطار الدولة الحديثة، محاولة لإنقاذ الدولة، وإعادة بنائها، بحيث تتسع لكل المواطنين، ويشعروا في ظلها بالحرية والمساواة، ولا تُهمَّش المجاميع المختلفة، ولا تتعرض للقمع والحرمان، ويتفرغ الجيش لحماية الحدود، ويترك السياسة للسياسيين، ويحترم قوانين التنافس السياسي، وتلك مدعاة لحماية الدولة من الزلزلة والانهيار.

إن مساهمة الجيش في انتصار السياسة في بلاده، هي مشاركته في السياسة، واحترامه للفصل الذي تتطلبه الدولة المعاصرة. وماعدا ذلك، فإن التدخل في الشؤون السياسية يتسبب في الارتباك واختلال الموازين، ويُدخل الدولة في حالة من الطوارئ، قد تكون غير معلنة رسمياً، وبهذا التدخل يكسر الجيش هيبته بنفسه، فهيبة الجيش -كما يقول أحد الكتاب- هي في حماية الوطن، وليس التدخل في المسائل السياسية، والحلول محل الشرطة والقوات الأمنية، أو التحول من مؤسسة مهمتها ضمان السلام، وحماية الحدود، وسيادة الدولة، إلى مصدر لأرهاب المواطنين. يقول (أحمد ماهر)، منسق حركة ٦ ابريل في مصر: إنه يخشى من اعتباره إرهابياً، بسبب تحذيره من تقدم الجيش!

أن يواجه الجيش تياراً سياسياً معينا، أو جزءاً من الشعب، هي حالة الخطيرة في أية دولة، فالجيش يجب أن يكون جيش الكل، وينظرَ إلى الكل بنفس النظرة، بما فيها القوى المتنافسة في العملية السياسية. وعندما يتدخل الجيش في العملية السياسية، ويقوم بانقلابات عسكرية، يتحول إلى قوة منحازة، ويفقد كل خصائصه، وهنا يختلط مفهوما الحكومة والدولة، وانحياز الدولة، وبالتالي يتشوه مشروع الدولة والوطنية، والدولة -في ظل فقدانها الحياد- تتوجه إلى ضرب فئة من الناس، بدل ضم كل أبنائها، وكل التيارات، والقوى، والمكونات، والتجمعات، الموجودة على أرضها، ولكي تبرر تلك الخطوة، وتُعطي صورة مغايرة، ومعنى آخر، للتدخل العسكري، تقوم بتهميش المعارضين، والتشكيك في ولائهم للوطن والدولة والقومية ❑

ظاهرة انحراف الشباب

إعداد/ فاطمة سليم

✍ يؤكد علماء النفس بأن ظاهرة قبول الإحباط، والرضا به، أكثر قوة عند الشباب، وهذا نتيجة لإفرازات الواقع الذي يعيشونه من كبت وعدم اهتمام، والواقع يشهد تعقيدا مركبا في حاجياته وصعوبة تحقيق متطلباته، إذ أنه من المتحتم على الحكومات والمؤسسات القضاء على مسببات هذه الظاهرة، حيث يأتي في مقدمة ذلك ضعف الالتزام الديني، والاستسلام لإملاءات أهل الهوى والزيغ، والبطالة التي تسيطر على واقعهم، والضغط الاجتماعي الذي لا يرحم أخطاءهم، ولا يقف بجانبهم، وغير ذلك من بذور الإحباط التي نبتت بماء الواقع البئيس في حياتهم.

ولا ينكر أحد الانفتاح الذي يتفاعل معه الشباب، من الخطاب العاطفي الموجه له بالصوت والصورة، والتقنيات المؤثرة سلبا على عقولهم ، حيث أنهم يتفاعلون مع معطياتها بشكل كبير، لجاذبيتها وتوافق أهوائهم معها. ومن هنا ينبغي أن ننطلق في بناء الخطاب التربوي وتجديده، من أجل أن يجسد متطلبات الشرع والحياة في حياة الشباب، ومن الضروري أن نبتعد عن الخطاب التقليدي بكل ضروبه، لأن ذلك لا يؤثر كثيرا، في ظل هذا الكم الهائل من الثقافات المتجددة المؤثرة، في حين أن الخطاب التربوي المبدع يمنع شبابنا من أن يكونوا لقمة سائغة لتيارات الفساد والانحراف.

ومن نماذج الانحرافات السلوكية التي يبتلى بها بعض الشباب: المعاكسات ، الإدمان على تعاطي المخدرات، المخالفات المرورية، السرقة، العبث في استخدام الهاتف، والاتصال على خطوط الآخرين بهدف الإزعاج، أو محادثة السيدات ومغازلتهن، وغير ذلك.

والمعاكسات الهاتفية تصدر من الشباب الذكور والإناث، إلا أنها من جانب الذكور أكثر منها من جانب الإناث،

ولعل أهم الأسباب المؤدية لها :

١- انعدام الرقابة من قبل أولياء الأمور، فكثير من الأسر تمنح ابنها الثقة المطلقة في تصرفاته، بل قد يكون له خط هاتفي خاص به في حجرته الخاصة .

٢- وجود المؤثرات الخارجية، مثل: مشاهدة الأفلام، والتأثر بما يشاهدونه من إثارة جنسية .

٣- وجود وقت الفراغ، وعدم إشغاله بالنافع المفيد .

٤- تزيين قرناء السوء لهذا الأمر، واعتباره من الأعمال التي يتباهون بها بين أقرانهم.

٥- حب الشباب للإثارة والمغامرة يدفعهم لولوج هذا الباب على ما فيه من أخطار.

وبالطبع فإن لهذا الأمر انعكاساته الضارة، على الشباب خصوصاً، والمجتمع عموماً، ومن ذلك الظواهر والآثار التالية:

١- تقصير الشباب في التحصيل العلمي، نتيجة لإضاعة الوقت في العبث بجهاز الهاتف، أو مشاهدة الأفلام .

٢- حدوث العديد من الاضطرابات النفسية لدى الشباب المعاكس تفقده هدوءه واتزانه، بل قد تدفع به إلى ارتكاب الفاحشة، والعياذ بالله .

٣- وقوع كثير من الفتيات في الشَرَك الذي ينصبه لهن الشباب المعاكس، وبالتالي قد تقع في ما يفقدها شرفها وكرامتها، والواقع يشهد على ذلك.

إدمان وتعاطي المخدرات

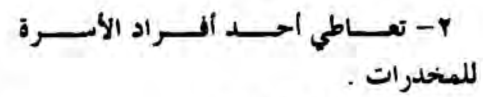
" إن مشكلة تعاطي المخدرات مشكلة دولية تحرص الكثير من الدول والهيئات المختلفة على القضاء عليها، أو الحد منها، حفاظاً على شعوبها وأوطانها من هذا الوباء الخطير .

وقد أظهرت دراسة حديثة العوامل الشخصية المؤدية إلى تعاطي الشباب للمخدرات، والتي من أبرزها: إثبات الرجولة، التقليد والمسايرة، إشاعة جو المرح، نسيان المشكلات والهموم .

- أما العوامل الاجتماعية المساعدة، فكان من أبرزها :

١- عدم وجود رقابة من قبل الوالدين.





٢- تعاطي أحد أفراد الأسرة للمخدرات .

٣- القسوة في المعاملة .

٤- عدم التزام أحد الوالدين بالواجبات الدينية .

٥- انشغال الوالدين في الأعمال الخاصة.

٦- التدليل الزائد في المعاملة .

٧- وجود خلافات بين الوالدين .

٨- انفصال الوالدين بالطلاق .

٩- زواج الوالد بأكثر من واحدة.

١٠- وفاة أحد الوالدين .

- أما عن الآثار الاجتماعية الناجمة عن تعاطي الشباب للمخدرات، فيمكن تصنيفها إلى :

أ - ما يتعلق بالآثار (الأضرار الشخصية) على الشاب، ومن أبرزها: اللامبالاة والسلبية، إهمال الواجبات المدرسية، الاكتئاب، العزلة عن الآخرين، تأنيب الضمير .

ب - ما يخص الآثار الاجتماعية العامة، ومنها : ارتكاب السلوك الانحرافي(كالسرقة والقتل وغيرها)، التأخر الدراسي، الهروب من المنزل، الشجار مع الوالدين والإخوة والأقارب والزملاء والمدرسين، مزاملة رفاق السوء.



أثر وسائل الإعلام

مع خيوط الفجر الأولى، وإشراقته الندية، تبدأ جيوش من وسائل الإعلام نشاطها المحموم، لتغزو عالم الإنسان، وتقتحم عليه عزلته، التي فرضها على نفسه بالنوم .

إن وسائل الإعلام تلعب دوراً خطيراً في قلب مفاهيم الشباب واهتماماتهم، لذا فهي تقف في قفص الاتهام، والأصابع تشير إليها بقضايا عديدة، فهي متهمة بأنها تقصر تقصيراً ذريعاً في القيام بواجبها تجاه دين الأمة وفكر الشباب، وهي متهمة بأنها فتحت كل أبوابها، وأطلقت كل أبواقها، وسخرت كل أقلامها وأدواتها للفكر الغربي، بدلاً من أن تعين على التصدي له ، أو الفكر الشرقي، بدلاً من أن تنبري للوقوف في وجهه .. وهي متهمة بأنها صرفت هم الشباب، وحولت اهتماماتهم، من الالتفاف حول العقيدة، والانتصار

للدين، والاندفاع نحو خدمة الأمة، إلى الاهتمام بالمظاهر، والانغماس في الشهوات، والتعلق بالأضواء والقشور، حتى غدا الشباب - وهو في عمر الورود - يتطلع إلى البطولة، أو إبراز الذات، أو النجاح من خلال مغامرات سخيفة، أملاها عليه فلم سينمائي، أو قصة مكتوبة، أو برنامج مذاع، أو دعايات مكثفة.

ولا شك أن نوعية البرامج التي يشاهدها الفرد لها أثرها الواضح في سلوكه، والعكس صحيح، فمن يشاهد البرامج المثيرة للغرائز، قد تكون دافعة له إلى الجنوح، من خلال ما يكتسبه المشاهد منها من قيم ومواقف تدفعه لتقمصها ومحاولة تقليدها .. وقد أثبتت كثير من الدراسات أثر وسائل الإعلام المرئية على الحدث، ودورها في انحرافه .

ومن ذلك ما أظهرته دراسة من أن نسبة (٣٢٪) من المنحرفين يقلدون بعض المشاهد التي يشاهدونها في الأفلام. وكذلك دراسة (هالوران)(Halloran) التي توصل فيها إلى أن مشاهدة برامج العنف قد تؤدي إلى سلوك عدواني مستقبلاً . وأصدرت منظمة اليونسكو تقريراً عن خطورة برامج الإعلام على الشباب، حيث اعتبرت المنظمة أفلام العصابات تؤدي إلى اضطرابات أخلاقية تكمن وراء الجرائم المختلفة.

ومما سبق ندرك حجم تأثير وسائل الإعلام، بمختلف أنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية، ومقدار ما تبثه من دواعي الشر، وأسبابه، وتقديمه لمن هم سريعو التأثر به والانجذاب إليه، خاصة وأنه يُعرض في صورة تأسر أصحاب النفوس المضطربة .

التدابير الوقائية:

أ- الاهتمام بالأسرة



تعتبر الأسرة هي المحضن الأول للطفل، لذا فإنها ذات أهمية بالغة، لأنه فيها يتم وضع اللبنات الأولى التي تحدد شخصية المولود. يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))، ومن هنا كان اهتمام الإسلام بصحة الكيان الأسري، وترابطه، عظيماً،

فاهتمام الإسلام بالأسرة يبدأ منذ نشأتها الأولى حيث حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على الزواج ودعا إليه بقوله : ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء))، وحث الرجل على اختيار الزوجة الصالحة التي تعينه على تحمل المسؤولية وتربية الأبناء، فقال : (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك). وحذر ولي الفتاة من رد الخاطب، إذا كان صاحب دين، فقال : (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه) .

وما ذلك إلا حرصاً على قوة بناء الأسرة، ولتستطيع النهوض بتربية الأبناء، الذين هم شباب الغد، ورجال المستقبل .

فالمرأة الصالحة تجتهد أن يرضع بنوها منها الصلاح قبل اللبن، وهي كما قال الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

والأب قدوة أبنائه، فهو المربي لهم، كما قال الشاعر :

وينشأ ناشئُ الفتيان فينا
على ما كان عَوَّده أبوهُ
وما دان الفتى بحجىً ولكن
يُعوده التديّن أقربوهُ

كذلك فإن الإسلام جعل مسؤولية التربية على عاتق الأب، وجعله المسؤول عن حماية أبنائه، وتجنيبهم سبل الانحراف . يقول الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ).

ب-الاهتمام بالتعليم

تعد المدرسة هي المحضن الثاني للطفل، بعد أن يبلغ السادسة من عمره، ويستمر بها حتى ينهي دراسته الجامعية، وهي فترة تمتد لأكثر من ستة عشر عاماً. وإذا نظرنا إلى الوقت الذي يمضيه الطالب بين جنبات مدرسته، أدركنا مدى الأهمية والمكانة التربوية التي تحظى بها المدرسة، فالطالب يمكث فيها مع زملائه ومعلميه أكثر مما يمكث مع إخوته ووالديه ، وأنت حينما تذهب بولدك إلى المدرسة وتدفع به إليها، فإنك تدفع إلى القائمين عليها بصفحة بيضاء، هي عقل الابن، ليقوموا بتسطيرها بالعلوم والمعارف والعقائد والأخلاق، ومن هنا لا بد أن تكون المدرسة على مستوى المسؤولية، ومدركة للدور الذي تلعبه في رسم معالم

شخصية الحدث .

ج-الاهتمام بوسائل الإعلام

تعد وسائل الإعلام المختلفة من أهم وسائل الترفيه، التي يقضي عندها الشباب جل أوقات فراغهم، لذا كان من المتحتم توعية الأسرة بضرورة تهيئة وسائل الترفيه المناسبة لأبنائهم، وحسن اختيارها، مع مساعدتهم في اختيار الأشرطة التي يطلعون عليها في الفيديو ، أو الأشرطة التي يستمعون إليها، والمطبوعات التي يقرؤونها، ضماناً لعدم اكتساب الشاب أو الفتاة لبعض الأفكار المنحرفة، أو المواقف والمشاهد التي تشجع على الانحراف بتقليدها.

د- وقت الفراغ

إن الفراغ والشباب والجدة

مفسدة للمرء أي مفسدة

كذلك ينبغي للمربي توجيه الشاب لاختيار الرفقة الصالحة، ممن هم على دين وخلق وصلاح وتقوى، وتحذيره من رفقة السوء، وأن يراقبه في ذلك، ويتحقق ممن يختارهم لصحبته، فالصاحب ساحب، والطباع تسرق من بعضها ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل).

التدابير العلاجية :

أ- التربية الإسلامية لغرس الوازع الديني :

ضرورة تقوية الوازع الديني لدى الشباب، باعتباره خطاً دفاعياً أولياً مهمّاً، يمنع الشباب من الانزلاق في الانحراف غالباً، وذلك بتكثيف الجرعات التوجيهية الإسلامية، من خلال المدارس والمناهج والبرامج الثقافية العامة والمجتمعية، كذلك العمل على تبصير الشباب بخطورة رفاق السوء، وسوء أثرهم على الفرد في حياته، وبعد مماته، ومخاطبة الشباب بحسب مستوياتهم العقلية والاجتماعية والنفسية، مع الاستفادة من جميع الوسائل المتاحة لذلك، كالمساجد، وخطب الجمع والأعياد، ووسائل الإعلام، والمدارس، والمحاضرات والندوات .. الخ .

تعمدني بنصحك في انفرادي

وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع

من التوبيخ لا أرضى استماعه

مقترحات عاجلة لاحتواء الشباب وبناء مستقبلهم وتحقيق آمالهم ..

• تثقيف المجتمع بالتعامل الأمثل مع أخطاء الشباب ..

• ضرورة تفعيل البناء التربوي والبرامج الوقائية، من خلال المدارس في

جميع مراحلها ..

• تفعيل النوادي الثقافية والرياضية داخل الأحياء، والإسهام في إعداد القائمين عليها ..

• تكثيف النوادي الصيفية، ودعمها، ووضع الخطط الإبداعية في ارتقائها ..

• تكثيف المخيمات الشبابية، التي تحتفي وتحمي وتربي وتستثمر الشباب بشكل متواصل ..

• إعداد قنوات فضائية تهتم باهتمامات وهموم وتطلعات الشباب، ومن ذلك :-

- قناة تختص بتعليم القرآن، حيث يتم إظهار برامج وأنشطة جميع حلقات التحفيظ على مستوى العالم ..

- قناة تختص بعلاج مشاكل وهموم الشباب ..

- قناة رياضية، تقوم بتهذيب الوسط الرياضي، وتلبي متطلبات الشباب الرياضية، بعيدا عن الإحتكار الموجود..

- قناة متخصصة في إظهار الإبداع والثقافة والتميز لشباب العالم الإسلامي..

وغير ذلك من القنوات التي تهتم بالشباب، لأننا نعيش في عصر الإعلام الفضائي، وينبغي علينا استغلال هذه المرحلة في صيانة مستقبل الشباب عن طريق ذلك ..

• النظر في إعادة صياغة المناهج الموجودة في مدارسنا ومعاهدنا وجامعتنا، والإهتمام بالكيف والهروب من الكم ..

• ضرورة الإسهام في التخفيف من الصوارف التي تصرف الشباب عن الاهتمام والإبداع..

• القضاء على الموانع التي تمنع الشباب من الزواج المبكر ..

• الوقوف بجانب الشباب المبتعثين، وضرورة استغلال فترة دراستهم فيما يعود بالنفع لهم ولأوطانهم وأمتهم، وحمايتهم من الثقافة التي قد تقود إلى الهدم والانحلال..

• بناء الثروة الاقتصادية عن طريقهم، ويكون ذلك عن طريق توفير الدعم المادي، حيث يكون هناك قرض مادي يساعد على تمكن الشاب من بناء مشروع اقتصادي، ولو كان بسيطا ..

• إنشاء المؤسسات الشبابية الحكومية والخاصة التي تظهر الاهتمام، وتظهر التنافس البنَّاء في خدمة الشباب□


مقالات

ميتافيزيقية الفيزيقي



عبدالكريم يحيى الزيباري

لم يكن (فوكو) أول الذين يزدرون الميتافيزيقا، سبقه (فولتير) و(هيوم) و(نيتشة) و(وليم جيمس) وغيرهم. فلأنَّ الجينالوجيا بحسب (فوكو) "لا تتغذى من الميتافيزيقا، بل تتغذى من التاريخ: عليها أنْ تُظهِرَ الجسم مطبوعاً كله بالتاريخ، والتاريخ يحيلُ الجسم إلى مجموعة آثار... غرض الحفريات ليس شرح الخِطاب أو تأويله، بل وصف ظروف ظهوره، وشروط عملِهِ"(١)، لا ينفك (فوكو) عن محاولاته الانفلات من كلِّ ما قبله، وخاصةً الميتافيزيقا، لاعتقاده أنّها تتنافى مع الصرامة العلمية التي ينتهجها، لكنَّ هروبه لا يتعدَّى مرحلة الظنون. وبحسب (هايدغر) "لا يحق لنا أنْ نظن على أساس تخمين انتهاء الميتافيزيقا، أننا نقيم خارجها، فالميتافيزيقا لا تنمحي عندما يتم تخطيها، إنَّها تعود من جديد، في شكل مغاير، وتبقى في موقع السيطرة، بصفتها الاختلاف الذي لا يزال ساري المفعول بين الكون والكائن"(٢). وباعتبار اليقظة طبيعة، والأحلام ما وراءها، فلماذا انهمك (فوكو) بتحليل كتاب (أرتيميدور): (مفتاح الأحلام)؟، وباعتبار الجسد طبيعة، والروح ماوراء، فلماذا انهمكَ بتحليل كتاب (جالينوس): (انفعالات الروح)؟ أول الفلاسفة الميتافيزيقيين (طاليس/ ٦٥٠ قبل الميلاد) تساءل عن أصل الأشياء، وقال إنَّ الأصل واحد، والكل واحد، وأرجعَ أصل الأشياء إلى الماء. وكتبَ (بارمنيدس) قصيدته (في الطبيعة)، حيث يقول: الكل







واحد، وينبذ المعرفة الحسية لصالح التأمل العقلي. كما وأنَّ المشكلة الميتافيزيقية تنشأ من تناقضات الخبرة اليومية والخبرة العلمية، كحوار (غاليلو) والصبي (أندريا):

(- لكني أرى بوضوح أنَّ الشمس في المساء تتوقف في مكان غير مكانها في الصباح، فليس من الممكنِ أنّها لا تتحرك. يضع غاليلو الحامل الحديدي وسط الغرفة: لنفرض هذا هو الشمس، أينَ الشمس عن يمين أم يسار؟ - على يسار. - وكيف تنتقل إلى اليمين؟ - إذا حركتها إلى اليمين طبعاً. - فقط في هذه الحالة. يرفع غاليلو الصبي مع الكرسي، يحركه نصف دورة: أين الشمس الآن؟ - على اليمين؟ - وهل تحركت؟ - لا طبعاً- ومن الذي تحرك؟ - أنا. - لا يا مغفّل الكرسي، الكرسي هو الأرض، وأنت جالس فوقه)(٣) . حواسنا تخدعنا، كما أخبرنا تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)النمل: ٨٨. وكم من الأشياء تختلف حقيقتها عمّا نحسبه ونظنه، حواسٌ خدّاعات، وعقولٌ تُصَدِّقُ الْكَاذِبَ، وَتُكَذِّبُ الصَّادِقَ، وَتَأْتَمِنُ الْخَائِنَ، وَتُخَوِّنُ الْأَمِينَ، ونرى الخير شراً، والصادق كاذباً، كما في قصة الخضر وموسى عليهما السلام.

للميتافيزيقا نشأة ميتافيزيقية:

انتهى (أرسطو) من المنطق والسياسة والأخلاق وعلم الحيوان والموسيقى والمسرح والشعر والمحسوس والمرئي، انتقلَ إلى غير المحسوس واللامرئي والجوهر والعرض والزمان والنفس والروح.

حين أراد الرئيس الحادي عشر لمدرسة المشّائين (أندرونيقوس الرودسي/ ٦٠ قبل الميلاد) ترتيب كتب (أرسطو) زمنيًا، لم يكن يعلم أنّهُ يضعُ اسماً لفرعٍ جديد من فروع الفلسفة، وجدَ أنَّ (أرسطو) بعدما انتهى من موضوع الطبيعة، كتبَ نصوصاً تركها بلا عنوان، احتارَ (أندرونيقوس) ماذا يسميها، فسمَّاها بحسب تسلسها: ما بعد الطبيعة، وهو لم يقصد أبداً مواضيع هذه الأبحاث، وإنّما جاءت التسمية عَرَضاً، (أرسطو) سَمَّاها: الفلسفة الأولى، أو الحكمة.

إذا كان (أرسطو) قد بدأ بالفيزيقي وانتهى بالميتافيزيقي، فإنَّ الفلسفة على العكس

نشأت ميتافيزيقية، ثمَّ انتقلت إلى الفيزيقية، ولهذا كان تقدمها معكوساً، استناداً إلى مبدأ: اترك ما لا تطيقه، وهكذا (حققت الفلسفة تقدماً من نوع غير معتاد، لأنه لم يتمثل في إجابة الأسئلة، بل في طرح أسئلة أفضل، فحين بدأ فلاسفة اليونان القدماء يتساءلون: ممَ صُنِعَ العالم؟ وكيف جاء إلى الوجود؟ لم يَصِلوا إلى الإجابة الصحيحة، لكنهم اكتشفوا العقل، الذي من خلاله أثبتوا وجود نظام كامن خلف وقائع الحياة اليومية، غير مرئي للعين المجردة. لكن ما المقصود بنظام الطبيعة؟ فكان الجواب الطبيعي: إنَّ نظاماً للطبيعة ثمَّ عن عقل تنظيمي، وهو الله)(٤).

الإنسان يغرق في الميتافيزيقية حال سؤالِهِ: مَنْ أنا؟ لماذا أنا هنا؟ لماذا أنا بهذه الصورة؟ أينَ سأذهب بعد الموت؟ وكذلك (سقراط) بدأ فلسفته بالميتافيزيقي، وظلَّ حذراً خائفاً الاقتراب من الميتافيزيقا. وعن ردَّة فعله عند اقترابه يقول: (ما كنتُ أبلغ هذه النقطة، حتى أحيد عنها بأقصى سرعة، خشية الضياع والسقوط في هاوية من التُّرَّهات). يجيبه (بارمنيدس): (ذلك لأنَّكَ لا زلت صغيراً يا سقراط، ولأنَّ الفلسفة لم تستولِ عليك بعد بالقوة التي أحسبُ أنَّها سوف تَستولي يوماً، وحينئذٍ لن تشعر في نفسك احتقاراً لشيء)(٥).

والتقسيم الشائع للإنتاج الفكري لـ(فوكو): (مرحلة نظرية، هي مرحلة اللغة والخِطاب، ومرحلة عمليَّة، هي مرحلة السلطة والمؤسسات)(٦)، أي مرحلة ميتافيزيقية سبقت الفيزيقية.

ميتافيزيقا الخطاب الأوديبي

حين يبحث (فوكو) علوم: الطب العقلي، والاقتصاد السياسي، والتاريخ الطبيعي، يبحثها كأشكال يحاول تجريدها مِن الذوات، وَمِن كل ما علقَ بها، ويتظاهر كما لو أنَّه قد اكتشفَ ميداناً جديداً للعلم، واستدلَّ على قياسات ومفاهيم لم يُسبق لها، وليس بالإمكان تجاهلها. حين يدعم الجينالوجيا كمنهج لفك عقد حبائل الميتافيزيقا الممتدة، والتي غَيَّبَت العقل احتفاءً بنزعة الأنسنة في عصر النهضة، يتظاهر بحكمةٍ أكبر، اكتسبها من خبرته وجديته وإخلاصهِ لمشروعه الفلسفي- وهو يرفض نسبته إلى الفلسفة خوفاً على صرامة بحثِهِ وعلميته-. كما وأنَّ العصر الكلاسيكي، عصر العقل، لم يستطع الإفلات من قبضة الميتافيزيقا، رغم ظهور علوم اللغة، وتطور علوم الطبيعة، حيث اعتُبِرَ الجنون لا عقلاً، نفياً، إقصاءً، وتهميشاً، وسجناً، وتعذيباً. لم يعد في المجتمع الكلاسيكي مكان لصوت المجنون المُقدَّس، بعدما كان صوته يُعبِّر عن إرادة السماء، أو الشياطين التي اتخذته مأوىً، لهذا يستحق الضرب بالنعل. في رواية (لوقا): "لأنَّ شَياطِينَ كثيرينَ دَخَلوا فيه...وكانَ هُناكَ قَطيعٌ كَبيرٌ مِنَ الخَنازير، يَرْعى في الجَبل، فابْتهلوا إليهِ أنْ يَأذَنَ لهم بالدُّخول في الخنازير، فأَذِنَ لهم. فخرَجَت الشَّياطينُ مِنَ







الرَّجُلِ، ودَخلوا في الخنازير. فَتَواثَبَ القطيعُ عَن الجُرْفِ الى البُحَيرةِ، فاختَنَق". هذا الأثر المقدَّس سيتمركز في العقل الطِّبي طيلة قرون كغذاء ميتافيزيقي. ولأنَّ الجينالوجيا بحسب (فوكو) "لا تتغذى من الميتافيزيقا، بل تتغذى من التاريخ: عليها أنْ تُظهِرَ الجسم مطبوعاً كله بالتاريخ، والتاريخ يحيلُ الجسم إلى مجموعة آثار"(٧). لكن التاريخ في جزئه الجوهري ميتافيزيقي، غير قابل للفهم، والزعم بتجاوز الميتافيزيقا هو السبب الرئيس العائق لتقدم العلوم الإنسانية لمواكبة تقدم العلوم الطبيعية.

كيف نستغني عن الميتافيزيقا، ما دام الجسم ليس إلا ثوباً بالياً للروح الملوثة بنزعة نرسيسية تمنعها الوقوف على النتائج المدمرة للأثر الأوديبي؟ وقد اعترفَ (هايدغر) بعدم استغنائه عن الميتافيزيقا، حتى في محاولاته نقضها: "فكل نطق بنقض الميتافيزيقا هو أصلا جزء منها، ومن هيئتها، ومنطقها الأساس"(٨)، لأنها تتساءل حول الموجود، وتتجاهل الوجود ذاته؟

في لا وعي الإنسان تغلي التنبؤات، تختلط، يطفو أحدها على سطحِ الوعي بصورة أملٍ كاذب، أو تحذير زائف، يدفعه إلى تجنب أو إيقاع الضرر، ويتحدد سلوكه بحسب ثقافتهِ وعزمهِ. وحينَ تنبأ (وليم ليلي) بالطاعون الذي اجتاحَ لندن ١٦٦٥، والحريق الذي دمرها ١٦٦٦، تشكِّلت لجنة برلمانية للتحقيق معه، خشية أنْ تكون نبوءته بالحريق قد دفعت بعض المهووسين إلى تحقيقها، وما يسميه (كارل بوبر) بالأثر الأوديبي (سواء ساعد على وقوع الحدث، أو منع حدوثه). بينما يفرق (أرنست ناجل) بين التنبؤ القاتل لنفسهِ، والتنبؤ المُحقّق لنفسهِ.. فمثلاً تنَّبأ الاقتصاديون بحالة ركود في الأعمال التجارية خلال ١٩٤٧، وبناءً على هذا التحذير العلمي، خفَّضَ رجال الأعمال أسعار عدد من المنتجات الاستراتيجية، فزاد الطلب عليها، ومن ثم لم تحدث حالة الركود المتنبَّأ بها.. بنك الولايات المتحدة لم يكن في ضائقة- لكن زبائنه- حسبوا أنّه قد يفلس سريعاً، فسحبوا ودائعهم، فأفلسَ البنك)(٩).


بورخس

نصف التنبؤات يتأكد بابتكار أسئلة جديدة، ليظلّ النصف الآخر- المتمثّل في محاولات الإجابة المتكررة- ضمن دائرة الاحتمالات وآفاق الممكن، والتي لا يتحقّق شيءٌ منها إلا نادراً. بالمقابل، غير المتوقّع دائم الحدوث. حقل الاحتمالات غير المتحققة، التي ينتجها الخطاب، هي دائرة الأحلام، كما عند (بورخس) في قصة (المعجزة السرية): (جارومير هلاديك) يعتقله الجستابو، يحكمون عليه بالموت، (جارومير) يتخيَّل ميتات لا نهائية، (ثمَّ فكَّر بعد ذلك في أنَّ الواقع لا يتطابق عادةً مع التوقعات المسبقة، واستنتجَ بمنطقٍ خبيث: إنَّ توقع تفصيل من أحد الحوادث، هو منع لحدوثه). (جارومير) بتخيلاته يُشكِّل لنفسهِ خِطاباً مُضاداً لِخطاب السلطة، حيث أنَّ الحكم بالموت هو أقوى ضروب الخِطاب التي قد تلجأ إليه السلطة، و(جارومير) لا يملكُ غير كوابيس رجلٍ محكوم بالإعدام. وهي دائرة تحقيق الذاتِ الفنتازية عند (غونترغراس)، في (الطبل الصفيح)، في اللحظة التي يقوم بها أحد ضيوف الحفلة، التي تقيمها عائلة البطل


غونتر غراس

(أوسكار ماتسرات)، وهو يرتدي الزي العسكري، بتحديد طولهِ، وتوقع طوله في السنة المقبلة، والتي تليها، حتى يصير بطولهِ. في تلك اللحظة من يوم ١٩٢٧/٩/١٢، يقرر (ماتسرات)، وهو في الثالثة من عمرهِ، أنْ يتوقف عن النمو، فيقفز من درج القبو على رأسهِ، ويتوقف نموه، ونومه، ويكتسب خاصيَّة أنَّهُ إذا تعرض لضغط -كأنْ يحاول أحدهم أخذَ طبلتهِ- يصرخ بصوتهِ، يحطِّمُ زجاج النوافذ، أو الساعات، أو الكؤوس الزجاجية، وهي رمز للخطاب المقاوم للسلطة. كذلك (هولدن كولفيلد)، بطل (الحارس في حقل الشوفان)، لا يريد أنْ يكبر، لئلا يصير شخصاً زائفاً، كجميع البالغين الذين يعرفهم، أو يصبحَ قطعةً في متحف، ولا يريد للأطفال أن يكبروا أيضاً، يريد حمايتهم من حالة فقدان البراءة التي يعانيها الآخرون.

ولولا ردُّ (أبي تمام) لما أدركنا مكانة التنجيم في عصر (المعتصم بن هارون الرشيد)، رغم تشديد التحريم في الإسلام: ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ،

فَقَدْ كَفَرَ))، وعقوبات العلماء، وحرقهم فيما لو بحثوا فيها.

وعن البنية الداخلية للميتافيزيقا الحديثة، يقول (هايدغر): "أساس هذه البنية هو الأنطولوجيا، وقمته هي الثيولوجيا"(١٠)، لكن هذه البنية المنحصرة بين علم الوجود واللاهوت، أو علم الكلام، هي عينها بنية الميتافيزيقا القديمة أيضاً. وحين أدركَ (كانط) أنَّ العقل البشري لا يمكنه الانفكاك عن الميتافيزيقي، حاول استعادة الميتافيزيقا في (مقدمة لكلِّ ميتافيزيقا مقبلة، يُمكن أنْ تصير علماً)، ولسان حال (هيوم) يقول: "الرياضة البحتة تتألف من القضايا التحليلية فقط، أما الميتافيزيقا فتتألف من القضايا القبلية وحدها". ويتساءل (كانط) عن "التصورات التي تنتمي إلى الميتافيزيقا كالجوهر، فإنَّ الأحكام التي تنتج عن تحليلها تنتمي إلى الميتافيزيقا أيضاً"(١١)، ويعتبر (كانط) قضية "كلُّ ما هو جوهر في الأشياء: ثابت"، قضية ميتافيزيقية بالمعنى الحقيقي.

العلم الأول ميتافيزيقي

الخطاب الفلسفي ميتافيزيقي، أو ترانسندنتالي، أي ليس من نوع: حين يفقدُ الإنسان كميَّة كبيرة من الدم، يجري تعويضه من خلال الوريد، لا من خلال الفَم، لأنَّ شرب الدَّم ضارٌ جداً. عودة إلى القرآن الذي يُحرِّم شرب الدَّم، وسفر التثنية يبرِّر التحريم: (احترز لا تأكل الدم، لأن الدم هو النفس). والأمثلة من هذا النوع كثيرة، مع المحافظة على خصوصية كل حالة، والحذر الشديد من مخاطر التعميم، الذي أودى بالنظريات الميتافيزيقية، كما أودى بالمنطق، إلى مغالطات مضحكة، من نوع: (استناداً إلى رسم بياني، يُوَضِّح أن درجة حرارة الأرض ترتفع على مدار القرن العشرين، وبنفس الوتيرة ينخفض عدد القراصنة، إذاً: القراصنة يحفظون برودة المناخ، والاحتباس الحراري ما هو إلا خدعة).

في محاولة لاختصار الطريق بين الفيزيقي والميتافيزيقي، المُتربِّص بالبحث العلمي، الذي بمقدوره تناول معدة الإنسان كعضو بيولوجي منفرد، لكنَّ البحث يظلُّ ناقصاً، ما لم ينظر إلى المعدة كجزء من جهاز هضمي متكامل، وللجهاز الهضمي علاقة بالانفعالات النفسيَّة، وبوظيفة القلب وحركة الدم، وفي كلِّ بحثٍ -هكذا دواليك- نجد أنفسنا ننتهي إلى عوالم ميتافيزيقية، تؤكِّد الانسجام الذي يمتاز به الكون، والتقاء الأشياء المختلفة والمتباعدة يؤيد التكامل الذي يمتازُ بهِ الكون: أمَّا ما يقوم به الإنسان من تمييز بين أشياء متَّحِدَة بطبيعتها، من خلال تسميتها بأسماء تخدم توجهاته القائمة بلا أساس علمي. وللآية ٣١ من (سورة البقرة) أسرارٌ عظيمة: (وعلَّم آدم الأسماءَ كلها ثم عرضَهُم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علمَ لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليمُ الحكيم).

كمعرفة أمبيرية مرتبطة بالتجربة، يتكون





بطء، خطوة فخطوة، وفجأةً ينفد الوقت، والعلم في بدايتهِ لا زال، يضطرُ الإنسان أنْ يبحث عن ميتافيزيقا تختار له الجِّهة التي سيتَّخِذها هدفاً، وتنقذه من الحيرة والضياع، لكن أليس في هذا التعريف خلطٌ بين الأيديولوجيا والميتافيزيقا؟ حالما يعتقد الإنسان علمهُ بشيء، يتحوَّل علمه إلى قاعدة سلوك، تدفعه لأنْ يَتَّخِذَ اتِّجاهاً مُحدَّداً، والكارثة تبدأ حين يختار الإنسان لنفسهِ أيديولوجيا فاشيَّة، تقوم على إلغاء الآخر المختلف، كما حَذَّر (فوكو): "الخصم الاستراتيجي هو الفاشية.. الفاشية بداخلنا جميعا، الفاشية في رؤوسنا، وفي سلوكنا اليومي، الفاشية التي تدفعنا إلى حب السلطة، وإلى تمني امتلاك كل شيء يسيطر علينا ويستغلنا"(١٢).

يقول (غاسيت): "التوجُّه ليس علماً، بل العلم على العكس توجُّه. لنعد إلى تعريف الميتافيزيقا: إنَّها ما يقوم بهِ الإنسان، حينما يبحث عن توجه أساس في موقفه"(١٣). العبارة الأولى ملتبسة، وتقع تحت طائلة مبدأ عدم التناقض: (أ) ليس (ب)، بل (ب) هو(أ). لكن التوجه الأول غير علمي، التوجه الثاني توجُّه علمي. الأول: عقل فارغ يبحث عن فكرة، إنسان ساكن يريد أنْ يتحرَّك، يبحث عن توجه، لكن التوجه ليس علماً، فـ(عطيل) لم يتوجَّه إلى قتل (ديدمونة)، إلا بعدما عَلِمَ من (ياغو) أنَّ (ديدمونة) خائنة. و(هاملت) يتوجَّه للانتقام من عمِّهِ ووالدتهِ، بعدَما عَلِمَ باشتراكهما في قتلِ أبيهِ. توجُّه (عطيل) السريع الغاضب، في لحظة نهاية المسرحية، لا يشبه توجُّه (هاملت) البطيء، الذي استغرق المسرحية كلها، فعند معرفة الحقيقة تكون نهاية التراجيديا: (أوديب) الذي حينَ تواصلَ علمه بالحقيقة انتهى ضريراً شريداً، و(أنتيغون/ سوفوكليس) التي علَّمت البشرية أين ينتهي حق الملك ليبدأ حق الشعب، التي ترفض أمرَ الملك القائل بعدم دفن الموتى لأنَّهم خونة، وحين يأمر بقتلها، تجيبه: "ليست هذه هي القوانين التي سنتها الآلهة للناس، ولم أعتقد أنَّ أوامر الحظر التي تصدرها أنت، هي من القوة، بحيث تسمح لكائن فان، بأنْ يتخطَّى قوانين أخرى، غير مكتوبة، لا تتزعزع، قوانين سنتها الآلهة.. إنَّ الموت ليس مؤلماً في نظري"(١٤)، وهو كجواب سحرة فرعون بعدما أمرَ بقتلهم: (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا)طه: ٧٢. وليس ثمَّة اختبار أقوى من مواجهة الموت بدون تردد. وفي الإصحاح ٢٢ من (إنجيل لوقا)، حيث اللحظات الأخيرة من حياة المسيح عليه السلام: (٤٣: وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. ٤٤ وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ. ٤٥ ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ. ٤٦ فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ)، العبد مهما كانَ رسولاً، أو نبيَّاً، أو صالحاً، يظلُّ بأمسِّ الحاجة إلى معونة السَّماء والملائكة، لكن ما حاجةُ الإله إلى ملاكٍ يُقوِّيه؟ هذا السؤال قفزةُ (باسكال)، ونوَّهَ إليه بصورة غير مباشرة في كتابِهِ (أسرار المسيح))، خوفاً من محاكم التفتيش.

إذا انطفأ النور، وأظلمت الغرفة، وأراد أحدهم الخروج، سيعود إلى علمهِ بالباب، ويتَّجِهُ إليه، أما إذا كانت الغرفة كبيرة، ومزدحمة، ولم تسعفه ذاكرته بالجهة التي يوجد فيها باب الغرفة، سيتخبَّط في اتِّجاهات كثيرة، قبل أنْ يصلَ إلى الباب. لكن هذا العلم المكتسب ذاتياً نادر في سلوكنا الاجتماعي، أما البقية فمردها إلى "جملة القناعات التي تمتلكونها، وهي ما يجعلكم تشعرون بأنفسكم موجهين، وليس ضائعين.. يعني أنكم تلقيتموها من المحيط الاجتماعي.. أنتم تستعملونها، ولكنها ليست قناعتكم"(١٥).

الهوامش:

[1]- جان فرانسوا دورتيي، فلسفات عصرنا، ترجمة: إبراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف،٢٠٠٩، بيروت، ص١٣٦.

[2]- هايدغر، كتابات أساسية، ترجمة: إسماعيل المصدق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، ج٢، ص١١٣.

[3]- برشت، حياة جاليلو، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، سلسلة المسرح العالمي، سبتمبر ٢٠٠٩، الكويت، ص١٣٦.

[4]- هكتور هوتون، متعة الفلسفة، ترجمة: يعقوب يوسف، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص٢٨١.

[5]- افلاطون، محاورة بارمنيدس، ترجمة: حبيب الشاروني، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٢، القاهرة، ص١٨.

[6]- د. الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، القاهرة، ص٢١٧.

[7]- جان دورتيي- فلسفات عصرنا، ترجمة: إبراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٩، بيروت، ص١٣٦.

[8]- عمر التاور، الميتافيزيقا بين هيدغر ودريدا، مجلة الرافد، ١٩١، تموز ٢٠١٣.

[9]- د. صلاح قلنصوة، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير، ٢٠٠٧، بيروت، ص٥٤.

[10]- هايدغر، السؤال عن الشيء، ترجمة: د. إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٢، ص١٦٢.

[11]- كانط، مقدمة لكلِّ ميتافيزيقا مقبلة يُمكن أنْ تصير علماً، ترجمة: د نازلي إسماعيل، دار الكتاب العربي، ١٩٦٨، القاهرة، ص٦٣.

وداعـــا
" أبو سجدة" ..
تقبلك الله شهيدا..



هفال عارف برواري

مقال كتبته بدموعي

قبل أيام تلقيت نبأ أبكاني، لما سمعت باستشهاد أخ تعرفت عليه في رحلة الحج، وهو الحاج والشهيد بإذن الله (عبدالناصر من (مصـــر)، ففي العام المنصرم، وأثناء أدائي لفروض الحج، تعرفت عليه، وكما هي عادة الحجاج أن يتعرفوا على من يجلس بالقرب منهم .. ولكن لهذا الشاب شأن عجيب!

وأنـــا في الحـــج، وتحديـــداً في المســـجد النبـــوي في المدينـــة المنـــورة، دار حـــوار بـــيني وبـــين شـــاب وســـيم مـــن (مصـــر)، قصـــير القامة قليلاً، يمتلك ابتسامة جميلـة، لم يكـن ملتحيـاً، كمـا هـو حـال أغلـب الحجـاج، والغريـب فيـه أنـني وجدتـه يمتلـك ثقافـة عاليـة، ورؤيـة قلمـا تجـدها في هـذا الحـين، حيـث يعصـف التشـدد والتزمـت – خاصـة في الرؤيـة الإسـلامية – أغلـب العـوام.. شـاب في أواخـر الثلاثينيـات مـن عمـره، متـزوج، ولـه أربعـة بنـات فقـط.. يعمـل في الإعـلام، وخاصـة الـبرامج الكارتونيـة للأطفـال، وخصوصـاً "قنـاة كـوكي" للأطفال، فهـو متخصـص فيهـا، ولـه موقـع إلكتروني..

يعـني بالمختصـر: شـاب يمتلـك رؤيـة مدنية بحتة، بعيدة كـل البعـد عـن التطـرف، متـأثر بفكـر الإخـوان، وقـد كـان منتميـاً لهذه الجماعة من قبل..

انتبهت لشدة إخلاصه في عمله، كمنتج وإعلامي، مع مستوى إيماني راق، وهمة عالية في حمل أعباء الدعوة، وإخلاصه في هذا المجال، مع رؤية



معاصرة جداً للفكر الإسلامي، وهذه خاصية يمتلكها الإخوان، وبشهادة كثير ممن التقوا بهم، وتعاملوا معهم عن قرب.

حتى لفتني، ونحن في المسجد النبوي، عندما أخبرني أنه سأل أحد شيوخ المدينة المنورة بشأن الحديث القائل: "إن ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"، وفيه يتخاصم الناس لكي يصّلوا صلاة نافلة واحدة، وفي هذا المكان الضيق، الذي لا يسع إلا لبضعة مئات فقط.

قال: سألت العالم إن الحديث يتكلم عن البعد العرضي، ولم يتكلم عن البعد الطولي؟ فلماذا لا تزيدون من البعد الطولي، لكي يستوعب الكل، كي يتمكنوا من الصلاة في هذا المكان؟

قال: فاستغرب الشيخ من سؤالي، وقال: سأسأل شيوخي عن هذا البعد في الحديث!

نعم كانت له رؤية منفتحة عن الدين، رغم اختصاصه في الشركات الإعلامية.

سألته عن وضع الحكومة المصرية، إبان حكم (محمد مرسي)، فكان متفائلاً، رغم المؤامرات الكثيرة التي كانت تحاك ضده، وكان له إلمام بما يجري، وكذلك صعوبه الموقف، وكيف أن العالم كله يقف ضد الإخوان، وقال إنهم يواجهون كل هذه

الصعاب، لكنهم كما أخبرني: إن أمر مصر قد وقع على عاتقنا، وليس لمصر أحد سوانا.. الطريق صعب، لكن المصريين أصبحوا مثل اليتامى، ليس لهم أحد غيرنا، فهل نتركهم؟ وكما قيل: أجبرنا على اختيار أحد سبيلين، أحلاهما مر: إما الركون والانزواء، ثم القضاء علينا لاحقاً، مع لعنة التاريخ، وكل التهم المرتبة، التي ستلفق لنا حتماً، أو الاندفاع للدفاع عن مكتسبات هذه الثورة، والإبحار بتطلعات الشعب المصري إلى بر الأمان، والتضحية في سبيل طموحات هذا الشعب، الذي عانى الأمرين في الحقبات التاريخية السابقة.

سألته: هل هذا أول حج تحجه، فقال: لا لقد حججت قبل ذلك؟

فقلت له: وعن من تحج هذه السنة؟

فقال: لم أر أحداً أحج عنه في هذه السنة، ففكرت في الأمر.. ثم واصل: أتدري من أحج عنه هذه السنة؟

فقلت: عن من؟

فقال: عن (راشيل كوري)! الصحفية الأمريكية، والتي قتلتها جرافات إسرائيل أثناء تضامنها مع عوائل لحماية بيوتهم في (غزة)، فقامت الجرافات بدهسها؟؟ ومن المعلوم أنها الناشطة التي صارت تعرف عبر العالم في الأوساط المؤيدة للفلسطينيين بـ(شهيدة فلسطين)، و(اليهودية التي ماتت من أجل فلسطين). وكانت (راشيل) بدأت نشاطها في المنظمة الدولية للتضامن مع الشعب الفلسطيني في العام ٢٠٠٢، ونشطت كمتطوعة في بلدات وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة. وظهرت في العديد من التلفزيونات، وكانت تنشط لتحسيس الرأي العام بأوضاع الفلسطينيين، ونقل أخبارهم، ووصف حياتهم اليومية. وكانت تراسل والديها من هناك، عبر البريد الإلكتروني، وكتبت لهما في إحدى الرسائل: "لا أجد إلا القليل من الكلمات لوصف ما أرى... لا أعتقد أن الكثير من الأطفال عاشوا دون قذائف الدبابات، والثقوب في جدران منازلهم، وأبراج جيش الاحتلال التي تراقبهم عن قرب من الأفق".

ثم أكمل (عبد الناصر) كلامه، وقال لي: هي فعلت ما لم يفعله أي مسلم؟؟ فقد كانت في ريعان شبابها، وفي دولة كانت تستطيع أن تعيش حياة منعمة

بالرفاهية، لكنها أبت إلا الانضمام إلى معاناة المضطهدين من المسلمين، الذين ليس لهم منافذ إعلامية، لكي يرسلوا مآسيهم إلى العالم، أفلا تستحق أن أحج عنها؟! وأنا أدعوا لها من كل قلبي.. فسكت برهة من الزمن، ثم قلت في نفسي: ما هذه الرؤية التي يمتلكها هذا الشاب، وما هذا المستوى الراقي الذي يتمتع به من وعي، وما هذا الوفاء والإخلاص الذي يشع من أفعاله وأقواله..





وكانت له رؤية واضحة عن قضية الأكراد، ومظلوميتهم، وكان يرغب بشدة أن يزور (كوردستان)، وأعطاني رقم جواله، وافترقنا، ولم نر بعضنا بعدها، وعند العودة خابرته، وهو في مصر، ففرح كثيراً بهذا الاتصال، وكان يقول لي: (كيف حالك يا أبا يوسف)، لكونه لا يستطيع أن يلفظ كلمة (هفال)، كونها كانت صعبة عليه..

عندما اشتدت الأمور في مصر، خابرته سائلاً عن أحواله، فكان رده دائماً متفائلا بالخير..

ولما حصل ما حصل من انقلاب عسكري، وحشد الملايين ضد الانقلاب، وخاصة في (ميدان رابعة العدوية)، ولما اشتد الأمر، وكانت الأخبار في القنوات الفضائية، وخاصة العربية، وتصريحات البعض، تنبأ عن حدوث مجزرة، أو فض الاعتصام بالقوة والنار، لذلك خابرته وسألته عن الوضع، كي أعرف الحقيقة كما هي، وبدون مزايدات.

رد على هاتفي، والغريب أنه كان من المعتصمين، وقال: (أنا في ميدان رابعة العدوية)؟ تعجبت وقلت له: كيف هو الوضع والمعنويات، لأن الأنباء العالمية لا تبشر بخير، ونحن من خبرتنا في السياسة أصبحت لدينا مَلَكة سياسية في مجريات الأحداث؟ لكنه طمئنني، وقال: إن معنوياتنا أعلى بكثير مما تتصور، ونحن بالملايين، وفي كل يوم تتزايد حشود المعتصمين والمعارضين للانقلاب..

قلت: الله يبشر بالخير عليكم.. ثم

سألني الدعاء.. وانتهت المكالمة بيننا..

ثم بعد أسبوعين حدث ماحدث من مجزرة بشعة في ميدان رابعة، راح ضحيتها آلاف القتلى والجرحى والجرحى، ويقال إنه شاركت فرقة كوماندو غربية متخصصة في القنص للنشطاء الموجودين في الحشود الكبيرة.. لذلك كانوا ملثمين، وقنصهم الدقيق في الأعناق، وللآلاف، وفي خضم الحدث، يصدق هذه الرواية. وأظن أن الانقلابيين سارعوا بجريمتهم لعلمهم أن عدم الفض سيؤدي إلى مشاركة شعبية عارمة تفشل كل مخططاتهم، لأن الاعتصامات كانت تتزايد كل يوم، ثم تلاه القبض على كل من له صلة بالإخوان، أو كان من النشطاء..

اتصلت به من باب الوفاء لصداقتنا، التي دامت أقل من ساعة! لكي أستمع إلى حاله، ووضعه، لكنه لم يرد علي.. بعد أيام حاولت الحصول عليه، لكن بدون جدوى، فإما الخط منقطع، أو لا يرد أحد، فقلت في نفسي: أعتقد أنه يخاف من رفع الجوال، أو يكون معتقلاً.. فتركت الاتصال به، لكي لا أحرجه في محنته.. حتى أتى هذا اليوم، وأنا أريد الحصول عليه لمعرفة أحواله عن طريق الجوال، فإذا بأحد ما يرد عليَّ، والصوت صوت امرأة!!

فقلت: من المتكلم.. أليس هذا هو جوال الحاج عبد الناصر؟!

فردت وقالت: أنا (أم سجدة) زوجة عبد الناصر، فقدمت التحية لها، وعرفت نفسي لها، وسألتها عن حال الأخ عبد الناصر، فإذا بها ترد عليّ بصوت حزين قائلة: عبد الناصر لقي الله شهيداً.. في ميدان رابعة..

تلعثمت، وغابت الكلمات من فكري، لم أعرف ما أقول لها.. كان الخبر كالصاعقة عليّ، لم أتوقع استشهاده.. لم أتوقع ذلك مطلقاً.. قلت لها بحياء: كيف قتل؟

قالت: كان هو في الميدان، مع اثنين من بناته، حيث رزقنا الله أربع بنات.. لم يغادر الميدان.. كان يتمنى لقاء ربه شهيداً.. وفي ١٤ أغسطس، في يوم المجزرة، اخترقت رصاصة قناص رقبته، أثناء قيامه بمساعدة الجرحى والمصابين.. وأضافت قائلة: الحمد لله أننا استطعنا أن نحمي جثته، ولم يستطيعو أن يحرقوها، كما فعلوا بالمئات، لكي يمحوا آثار عدوانهم المشين..

قلت لها: رزقكي الله الصبر والسلوان، واحتسبيها عند الله، وهو ارتقى لمقام سنحسده عليه يوماً ما، ولقد مررنا بهذه

التجربة، حيث أباد النظام البعثي قرى بأكملها، وقتلوا بني جلدتنا بالكيماوي، وبالدفن الجماعي، ولكن يأبى الله إلا أن يخزي الظالمين، ولو بعد حين، فلم نتوقع أن النظام البعثي سينهار يوماً، لكننا رأينا بأم أعيننا كيف أعطى كل ذي حق حقه، وكل مظلوم مظلمته، وكل ظالم عقابه!



وهكذا انتهى الحوار والمكالمة..

طأطأت رأسي، وهممت أتفكر في الساعة التي تعارفنا فيها، وكانت كلماته تتردد في مسامعي، وخاصة آخر كلمة، وهو في الميدان.. وكم من الشباب، على شاكلة هذا الشاب المتطلع ليوم أفضل، قتل؟ وكم من الشباب في هذا اليوم تم اغتياله، وكانت له رؤية مثل رؤية هذا الشاب؟ كم قتل في هذا اليوم من عقول مفكرة، ومواهب، كانت ستكون منارة لبلدانها؟

استشعرت بحرارة فراق الأحبة، والخلان، وتركه لبناته وزوجته.. وحرمان البنات من قولهم (بابا)..

وتذكرت كلمات (علي بن أبي طالب)، وهو يردد قولته: (هيه، يا دنيا غُريّ غيري، فإني طلقتك ثلاثاً).. دنيا فانية، ومتاع حياة ليس فيها إلا غرور.. ودعاة خير وصلاح على شفير نار المتربصين والمنتفعين الحاقدين، لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة.. ورب متعال، ينظر بعين لا تنام، والمظلوم منتبه يدعو على الظالم ليل نهار..

والمراقب لأحوال الأمم يعلم تماما: أن دوام الحال من المحال، وأن مصير الظالمين لا مفر إلى زوال، وأن الإيام الحالكة ستكون رمزا وطاقة تشحن أجيالاً وراء أجيال، وأن يتامى الأمس سيكونون بوتقة تنصهر فيها دماء الشهداء، لكي تشع دروب تطلعات الشباب في التقدم والازدهار، ولن يقف الأمر على هذا الحال، وإذا شئتم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، فإني معكم من المتربصين..

رحمك الله يا أبا سجدة، وجعلك في مقعد صدق عند مليك مقتدر.. ❑

وباء المازوخية السياسية



جاسم محمد حسن
shimaxi@yahoo.com

✍ المازوخية أو الماسوشية مصطلح يطلق في الأساس على مرض أو انحراف نفسي واضطراب جنسي، وتعني بإيجاز الخضوع والتلذذ بالإهانة والاضطهاد، وعدم الحصول على المتعة الجنسية كاملة، بغير أن يصاحبها التعذيب النفسي والجسدي من الطرف الآخر، وفي بعض الحالات المرضية لا يستمتع الماسوشي إلا بعد درجة بالغة من الألم قد تسبب الوفاة، وينسب هذا المرض إلى الكاتب الروائي النمساوي (ليبولد فون زاخر مازوخ) (Leopold von Sacher Masoch)، الذي كان هو نفسه يعاني منه، وقد جسّده في كثير من رواياته، لاسيما أشهرها، وهي (فينوس في معطف الفرو)، فقد كان يمنح شخصياته استعذاب القهر والتعذيب.

لكنّ المرض هذا يتعدّى مجال الانحراف الفردي، ويتجاوزه كثيراً، ليصل إلى ما يسمّى بالمازوخية العامة، التي تعرف عند علماء السايكلوجيا بالسلوك الهادم للذات، وهو أن يجد البعض المتعة القوية في قهر الآخرين له، وإذلاله، وإيقاع أشدّ أنواع الإيلام به. وهنا أشرك القارئ الكريم في استذكار قصة ذلك الثري والوجيه المصري، الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد (أخناتون)، والذي استولى فرعون مصر (أمفسيس) على كل ثرواته وأملاكه، و أجبره على أن يتنازل عن زوجاته وجواريه وعبيده، ولم يكتف بذلك بل أقدم على قطع أطرافه من خلاف (يديه وقدميه) وجدع أنفه. وإذا لم تسمع بالقصة، فماذا تظن أنّ يحمل (أخناتون) من مشاعر تجاه (أمفسيس)؟ لا أشك أنك ستقول: هي مشاعر الحقد الدفين والغضب الشديد بأعلى درجاته، لكن حقيقة الأمر ستصدمك كما صدمتني، إذ

ينقل طبيب فرعون (سنوحي) بدهشة: أنّ فرعون لما مات رأيت (أخناتون) يبكي بكاء الثكلى، وقد علا بكاءه بكاء كل المنافقين من الكهنة، فذهبت لأهدأ من روعه، وقد ظننت أنّ بكاءه إنّما هو بهجة وسرور بموت ذلك الطاغية الظالم، الذي أذاقه أفظع أنواع العذاب، لكنّه خيّب آمالي حينما أبدى عن سبب بكائه، بأنّه لم يكن يعلم أنّ فرعون كان عادلاً وبارا بشعبه إلى هذه المرتبة العظيمة، إلا بعدما سمعت ما قاله كهنتنا فيه، وها أنا أبكي، لأنّي كنت أحمل الحقد لهذا الإله العظيم بدلاً من الحب والإجلال..حقّا لقد كنت في ضلال كبير". نعم، هكذا استقبل (أخناتون) موت من أذاقه صنوف العذاب، واغتصب زوجاته، واستباح عرضه !!

وما زال هذا الانحراف النفسي يفسّر كثيراً من سلوكيات الأفراد والشعوب، التي طال عليها أمد العبودية والذل، في ظل حكّام ساديّين، يستعذبون قهر شعوبهم، ويستلذون الظلم والفتك بها. ويوصف هؤلاء الحكام بالسادية، من قبل الكثير من الأخصائيين النفسانيين، وكأنّ كلّ ساديّ من أولئك الحكّام له رغبة شاذّة جامحة في قهر شعبه، الذي يستجيب أبناؤه، فيحققون له تلك الرغبة بماسوشيتهم الجمعية. فالأمر إذن قد تطور ليصل إلى ما يمكن وصفه بالظاهرة المتفشيّة، ومصر التي يومها كتاريخها الموغل في الزمن، من أكثر بلدان العالم الإسلامي ابتلاءً بهذا الانحراف السايكلوجي إلى حدّ خطير، تجلّت أقرف صوره التي أثارت استغراب العالم كلّه، واشمئزاز الأحرار أينما كانوا، بعد أوّل ثورة شعبية عظيمة على صروح الظلم والطغيان والفساد، والتي كادت أن تصبح أعظم أيقونة يستلهم منها الثوار في أرجاء المعمورة، لكنّ قوى متنفّذة في الدولة، في ما يسمّى بالدولة العميقة، كانت لتلك النسمة الرائعة من الحريّة بالمرصاد، وآلمها عودة الشعب إلى الفطرة السليمة في إرادة الاستعلاء على الذل والخنوع، فعملت تلك القوى الفاسدة المفسدة، وبتعاون وتآمر مع قوى الاستكبار العالمي، على استغلال الوباء المتجذّر في نفوس الكثيرين، واستحيائه من جديد، حتى دفعت بالجموع ليستبدلوا الذي هو أدنى، وهو الزعيم القاهر، والفرعون الصنم، "قائد الضرورة"، بالذي هو خير، وهو القائد المنتخب من قبل غالبية الشعب، وليستعيدوا الظلم الذي ثاروا عليه، وليعيدوا حكم البيادة العسكرية، في حالة ماسوشية بامتياز، ويرضوا بأن يكون عبيداً للبيادة، بعد فترة وجيزة جداً من التحرر منها في أعظم ثورة شعبية!.. وإذا كانت المشاهد البائسة

لبعض المصريين في الشوارع مقززة، حينما نقلت الكاميرات صورهم، وهم يضعون تلك الأحذية العسكرية الغليظة، التي تسمى عندنا بالبوستال، وعندهم بالبيادة، على رؤوسهم، وعلى رؤوس أبنائهم وبناتهم، ويطوفون بذلك الحال المقرف في الشوارع. وهذا مثال متكرر من مئات، وربما آلاف، الأمثلة، التي تجسّد الماسوشية الجماعية في مصر. فإنّ هنالك ما هو أسوء، حينما تجد النخبة أيضاً، تستلذّ الخنوع والذلّ، فيأتي بعضهم بحذاء عسكري "بيادة"، وبتراب كذلك، في استوديو بث فضائي مباشر، ويأخذ حفنة من التراب في إحدى يديه، ويقول بصراحة أكثر من وقحة، يعبّر بها عن انحرافه المقزز، وماسوشيته، فيقول: " نحن لا نعبد البيادة فقط، بل نعبد كذلك التراب الذي يُداس بالبيادة"!.

وإذا ما انتقلنا من مصر إلى وطننا، فلا تخطأ أعيننا رؤية مشاهد من مأساة الماسوشية الاجتماعية السياسية، وإن كانت بدرجة أخفّ مما شاهدناه، وما زلنا نشاهده في مصر، فبماذا نفسّر تأييد الجماهير الغفيرة المتواصل والمستمر، في كل عملية انتخابية، للساسة الفاسدين، الذين غرقوا في الفساد المالي والإداري والسياسي، فاستباحوا الوطن، وثروات الشعب، وهم – المواطنون– لا تنفكّ ألسنتهم عن الشكوى من الفساد الحاصل من ذلك الطرف السياسي، الذي سلّموه زمام أمرهم، لكنّهم لا يساهمون في تحقيق التغيير، الذي يفتح لهم باب العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، فيتحررون من الظلم الفئوي، ويكونوا أسياداً على ما يملكون، لا عبيداً عند من يفسدون.. لكنّها الماسوشية، التي تمكّنت من الشعب بفعل الطغيان، على مرّ السنين، وبدلاً من سعي النخب السياسية في بلادنا لعلاجه كمسؤولية وطنية، وواجب محتّم لا يتحمّل التأخير، فإنّ كثيراً من الساسة قاموا باستغلال المرض والانحراف النفسي لصالحهم، كي يأمنوا على أنفسهم، ويطمئنّوا على استمرارية الفساد، من غير خوف من صحوة المرضى الماسوشيين، أو شفائهم بسرعة، وليدفعوا آنذاك عن أنفسهم الحرمان والظلم الاجتماعي والسياسي، فلا يظلون على بؤسهم وشقائهم، الذي عبّر عنه خير تعبير أحد كبار المسؤولين، في مناظرة نقلت عبر الأثير، بعد الانتخابات الأخيرة، بأنّ الشعب هو راضٍ عن حاله، فهو الذي اختار بإرادته من يُتّهمون بالفساد!!

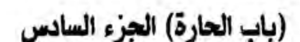
ولكن في ظلّ قتامة المشهد، وسوداويّته، تظلّ هناك بارقة أملٍ بانبلاج بصيص من النور في وسط الظلام، يحمله إلينا شباب الوطن، الذين ربّما لم يتلوّثوا بعد بداء الماسوشية□





(باب الحارة) الجزء السادس

جدل حول سر الإبداع في المنتج الفني



✍ لماذا تربط الذاكرة الجمعية في منطقتنا بين رمضان ومسلسل (باب الحارة)؟ كيف استطاع هذا المنتج الفني أن يخترق موسم التلفزيون في رمضان! حيث تنتج مئات المسلسلات، وتعرض في الموسم، وتصبح عملية المنافسة من أصعب ما يكون؟.

(باب الحارة)، مسلسل سوري أنتج الجزء الأول منه عام ٢٠٠٦، من إخراج (بسام الملا)، كتب الجزء الأول منه (مروان قاووق) و(كمال مرة)، بينما كتب (قاووق) الجزئين الثاني والثالث منفردًا، وعاد (كمال مرة) للعمل، وكتب الجزئين الرابع والخامس منفردًا.

المسلسل عبارة عن دراما اجتماعية شامية، تدور أحداثها في عشرينيات القرن الماضي، ويتكلم الجزء الأول منه عن سرقة الذهب من (أبو إبراهيم)، الذي يبيع القماش، ودخول (صطيف) جاسوس الفرنسيين إلى (حارة الضبع)، ويسلط الضوء على الحياة الدمشقية، والقيم النبيلة، والعادات والتقاليد القديمة، كما أن قصص المسلسل حقيقية، كما ذكر الكاتب (مروان قاووق). وكما كان مقررا، فقد تم عمل جزء ثان، عرض في شهر رمضان بالعام الميلادي ٢٠٠٧، علمًا أن الجزء الثاني كان قد صور بنفس فترة تصوير الجزء الأول، وهي المرة الأولى التي يتم تصوير جزئين بوقت واحد، كما أن نجاح المسلسل أدى إلى عمل جزء ثالث، عرض في شهر رمضان بالعام الميلادي ٢٠٠٨، كما أنه تم الاتفاق بين المخرج والمنتج (بسام الملا) وقناة (إم بي سي)، على عمل جزء رابع وخامس من المسلسل، ليعرضا في شهر رمضان بالعامين الميلاديين ٢٠٠٩ و٢٠١٠، وعرض الجزءان فعلا في الوقت المحدد، كما كان مقررًا.

برأيي أن مكمن الإبداع في العمل والمنتج الإبداعي هو في إثارته للجدل، وقدره على الاستحواذ على سمع ونظر المتلقي، وهو ما ينعكس في الساحة الأدبية والصحافية من خلال مقالات نقدية، ومطارحات ثقافية وفنية،بينما الأعمال التقليدية تسير على نسق روتيني رتيب، قد تضيف للمتلقي، أو للفن، الذي شغلت حيزا فيه، حراكا نقديا يكاد لا يذكر إلا

في كواليس التخصص!.

هذه القاعدة هي سر الإبداع في (باب الحارة). إنه أكثر منتج أثار الجدل في عصر العمل الدرامي الحديث، بين مؤيد ومعارض، ومادح وقادح. ومكمن الإبداع، في تصوري، يعود إلى عدة نقاط:

١- الإبداع في كتابة النص، ثم الإبداع في صياغة السيناريو. فالنص كتب من قلب مشاهد، لا من عقل مؤلف، وهذا سر وصوله لقلوب المتابعين.

٢- الإخراج الفني الراقي، الذي يحاكي المنتج الهوليودي في إبداع زوايا التقاط اللقطة والمشهد والسياق الدرامي، واعتماد المخرج على كامرة واحدة فقط، في التصوير، وهو ما يشكل دورا محوريا مهما في كفاءة اللقطة، ودقة ووضوح المشهد.

٣- ميزانية المسلسل الكبيرة، التي تتيح اعتماد إمكانات فنية هائلة، وصلت إلى بناء حارة كاملة متكاملة لغرض العمل، وهو ما يؤثر في (دقة) المنتج شكلا ومضمونا، خصوصا في مجال المؤثرات البصرية، والحسية، التي يحرم منها أي عمل لا تتاح له مثل هذه الإمكانات.

٤- العزف بذكاء على وتر المشاعر العربية الغاضبة من عصر الانبطاح العربي، وهو ما يجسد الربيع العربي بشكل ثقافي، لا بشكل المظاهرات والثورات، فالإقبال الشعبي على مشاهدته، مرجعه مشاعر الغضب والسخط من هذا الواقع، الذي لا يرضي شعوبا تربت على الثورية الكارتونية..

رغم ذلك، هناك انتقادات كثيرة أثيرت حول المسلسل وسياقه، وأجزائه المتعددة التي تتابعت، وتبث تقليديا في رمضان. فمن المؤاخذات" أن المنتج، بعد جزئه الثالث، اتجه نحو المبالغة في جزئيات تتعلق بالمشاعر، والسياق الدرامي القصصي، ولعل مرجع ذلك يعود إلى غياب نجوم العمل الأساسيين، وتخلفهم، بسبب الخلافات المستحكمة مع فريق الانتاج، فكان الخيار – فيما أتخيل- هو التوجه نحو التلاعب العاطفي بمشاعر المتلقين، للإبقاء على حرارة التواصل والتخاطر مع المسلسل.

الجزء السادس من المسلسل يعرض عبر شاشة (إم بي سي) هذا العام، وإذانجح سيتم إنجاز الجزء السابع. هذان الجزءان سيكونان كتابة كاتبين بالشراكة هما: (سليمان عبد العزيز)، و(عثمان جحا)، وهو ما يعتبر تحديا جديدا يواجه المسلسل. فإذا كان غياب الأبطال الأساسين لم يؤثر في شعبيته وقوته واتقانه، فهل سيؤثر تغيير المؤلف؟ وما هو النفس الجديد الذي سيتركه هذان المؤلفان، لا شك أننا بانتظار هذا المنتج الإبداعي بحلته الجديدة. ☐


رمضانيات

نفحات الشهر الفضيل



عبد الباقي يوسف
كاتب سوري
abdalbakiuosf@gmail.com

كـم شهر يتميّز عن سائر شهور السنة، ولعلّه أكثر شهور السنة شهرة، ذلك أنه أكثر شهور السنة غنى، ومغفرة، ورحمة، من الله (عز وجل)، وهو أكثر شهور السنة سخاء، وصلة للرحم، وتسامحاً بين الناس.

تأتي هنا إلى بيان لشهر رمضان الكريم، فيعرّفك الله على دلالات ومزايا هذا الشهر الفضيل. في البدء تدرك أن الصوم هو لكل إنسان مؤمن، وهو سبيل إلى التقوى، ولكل أمة مؤمنة مواقيت صيامها، وقد تميز شهر رمضان بأنه شهر صوم في الإسلام، إنها عبادة مكتوبة على سائر المؤمنين.

يقول الله في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، خطاب من الله إلى الذين آمنوا بالله وبرسالة خاتم أنبيائه، يخبرهم فيه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، أنه يتوجب عليهم الصيام كأحد أركان الإيمان الأساسية، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، مَثلكم في ذلك كمَثل المؤمنين من قبلكم، وهذا يعني بأن الله قد قَبل دخولهم إلى ملة المؤمنين من خلال إيمانهم بالله ورسوله، وشهادتهم أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، فغدوا يتمتعون بمزايا المؤمنين ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣). بيان من الله بأن الصوم من أسباب التقوى.

الصوم هنا يتخذ خصائص جديدة بالنسبة للمجتمع الإسلامي، وهي تختلف عن شكل الصيام بالنسبة لما سبق.

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، أيام الصيام المعدودة، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾. للصوم في شهر الصوم بركات قد لا تصيب الإنسان في شهر سواه، ومن ذلك أن الإنسان إذا صام في أيام أخرى، فهو لا يدخل تلك الحالة التي يدخلها عندما يحل الغروب، ويستشعر بأن الناس جميعاً الآن يجلسون على مائدة الإفطار، حتى وهو يمضي في الطريق، يرى الناس جميعاً في صوم، بينما في صيامه لوحده، يشعر بغربة، لأنه يرى



نفسه صائماً دون الناس، وكذلك دون أفراد عائلته، الذين يتناولون على مرآة منه الطعام والشراب.

وقد قدّر الله تعالى لي أن أشهد الهجرة من دياري السورية، مع أسرتي، إلى إقليم كوردستان العراق، بسبب الحرب الطاحنة. ومما هو متعارف عليه في تقاليد الإقليم أن الناس يجتمعون قبل الإفطار في المساجد، التي تقدّم الطعام للناس كي يفطروا، ثم يؤدّون صلاة المغرب جماعة، ورغم أنني أميل أن أستفتح الإفطار مع أسرتي، كما كان الأمر في سورية، وأستحسن ذلك، إلاّ أنني أحياناً أذهب إلى المسجد المجاور لبيتي قبل الغروب بدقائق، كي أشارك الناس تناول الطعام لدى الإفطار، ثم أصلي المغرب جماعة، وبعد ذلك أعود إلى البيت كي أكمل فرحة الإفطار.

إن مثل هذه العلاقة من شأنها أن تولّد حميمية لدى الناس، وهي فرصة وحيدة متاحة يتناول فيها الناس جميعاً على مائدة المسجد الواحدة طعام الإفطار، وهم على جوع وظمأ.

من جهة أخرى، يشعر الناس من خلال ذلك بمشاعر محبة تجاه بعضهم البعض، كونهم يصلّون ويتناولون الطعام في مسجد واحد، حتى وإن لم يكن أحدهم على معرفة بالآخر من قبل، حيث ينتاب المرء إحساس بانتمائه إلى روحانية عائلية الإسلام المشتركة، ولم يحرم الله النساء من هذه الطقوس الإنسانية والاجتماعية والإيمانية، فتذهب النسوة كذلك إلى المسجد لتناول الطعام، وصلاة المغرب جماعة، وهذا من شأنه أن يجعل حالة تآلف بين النسوة اللائي يأكلن ويصلين في

مسجد واحد، حتى لو لم تكن المرأة على معرفة بالأخرى من قبل.

على هذا النحو يحقق الصوم أواصر العلاقات الإنسانية والاجتماعية في الناس، ولذلك قال الله: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٤).

إن الصوم في جميع الأحوال هو خير ونفع للإنسان، ذلك أنه شكل من أشكال التقوى، والإنسان الصائم يدرك بأنه في حالة عبادة، وهو يقطف زهور هذه العبادة، حيث يزداد محبة، يزداد كرماً، يزداد تسامحاً.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، من بركات هذا الشهر الفضيل أن القرآن الكريم نزل فيه، فكلما يحل رمضان، تحل ذكرى نزول القرآن معه، ولذلك يتمتع شهر رمضان بأنه شهر قراءة القرآن الكريم بامتياز، ذلك أنه شهر عبادة خالصة، يتفرّغ فيه كثير من الناس للعبادة، وقراءة القرآن، وفعل الخيرات، ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾، بذلك فهو شهر تتحقق فيه الهداية للناس، وهو شهر معلوم ليس كشهور سائر السنة. البيّنة، هي الدلالة الجلية، ﴿مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، فيعدّ الناس عدّتهم له، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾، يُخبر الله عباده بأن شهر رمضان إذا أقبل على أحدهم: فَلْيَصُمْهُ، وهذا أمر ملزم من الله بصيامه، ورأفة منه (جل وعلا)، يستثني مَن لا تكون له طاقة لصيام الشهر، رغم أنه شهده، ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً﴾ ذلك أن المريض يحتاج إلى أدوية، وتغذية بشكل جيّد، كي يقاوم بدنه المرض، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾، لأن المسافر يحتاج إلى بذل طاقة في سفره، وعلى العموم، فإن الإنسان لا يسافر في شهر رمضان، إلاّ إذا وجد نفسه مضطرّاً إلى ذلك، ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، لم يحرمه الله مكرمات الشهر، بل جعل له هذه المكرمات في أيام قادمة يستردّ فيها طاقته، فيصوم رمضان في غير رمضان، وهذا ترخيص ومنّة من رب العزة عليه، ذلك أنه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥).

يتميز شهر رمضان، دون غيره من شهور السنة، بأنه شهر مفعم بنورانية الروحانية، إنه شهر يحقق فيه الإنسان مزايا إنسانيته، في المجتمع الذي يعيش في ظهرانيه، من جهة، ومن جهة أخرى يحقق فيه سلطة قوامته على نفسه، حيث يركن فيه إلى الانضباط والتوازن، أكثر مما يفعل في ما خلا من شهور السنة، ولذلك ترى الكثيرين ينتظرون شهر رمضان ليقوموا بتصفية حساباتهم مع أنفسهم، إذ إن روحانية هذا الشهر تكون فرصة ذهبية ليتحاور في محرابها الإنسان مع ذاته، مع ثورة جنوح طموحاته، حتى يبلغ درجة التصالح مع ذاته، وعقد ميثاق قويم معها، بأن يلبث منضبطاً ملتزماً بمعايير القيم والأخلاق الإنسانية العفيفة.

شهر رمضان يكون بمثابة تربية للنفس، وفرصة ذهبية سانحة، كي ينزع الإنسان عن



ذلك، فإن الله بفضله يحقق له استجابة لخير في أمر آخر، كبديل عن الاستجابة السابقة، التي تضره، ولا تحمل إليه نفعاً، بيد أنه تسرّع في دعائه، وفي سؤاله ربه. ذلك أن الله قال: ﴿أجيب دعوة الداع، إذا دعان﴾.

نفسه ما علق بها من أشواك، خلال شهور السنة المنصرمة، ويضمد جراحه. الصوم هنا إذن، حالة من العلاج الروحي للإنسان، الذي لا يودع شهر رمضان، إلاّ وقد أحس بأن كل ذرة فيه تجدّدت، فلا يلبث حتى يلج أياماً ثلاثة من عيد فطر سعيد، يكافئ فيها نفسه وعياله، بما طاب ولذ من طعام وشراب وثوب حسن.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦).

هذه الآية تجعل الإنسان يمتلئ ثقة باستجابة الله لسؤاله، ومع الاستمرار يكتشف بأن الله لم يستجب له لما سأل فيما مضى، ويشكر الله الذي لم يستجب له، ذلك أنه تسرّع في الدعاء، والآن إن استجابة الله لذاك الدعاء سيلحق به الأذى، لذلك يسأل ربه ألاّ يستجيب لدعائه السابق. لكن رغم

يبيّن الله بأن الرجل هو ستر لزوجته، كما أن زوجته هي ستر له، وكل واحد منهما هو حصن للآخر.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾، قد لا يطيق بعض الناس إمساك أنفسهم عن نسائهم، وأن الرجل إذا نام في فراش منعزل عن امرأته، قد يعتاد إلى ذاك اللون من الهجر، ثم أن الليل هو وقت فرح بالإفطار، والرجل والمرأة يحتاجان إلى التسامر، فهي حليلته، وبذات الوقت محظورة عليه، ثم لعلّه يقع في هذا الإثم، وإن كان الإنسان يبدو واهناً ساعة الجوع والعطش، فإن عوامل القوة تدبُّ في بدنه عند الشبع. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، يعفُّ الرجل بامرأته، وتعفّ امرأته به، يستغني بامرأته عمّا نهى الله، وتستغني به امرأته عمّا نهى الله، وكما أن الثوب يستر عورة الإنسان، فإن الزواج هو ستر لشهوة

الإنسان. الرجل هنا يسكن بامرأته، مثلما تسكن امرأته به. يقول النبي "صلى الله عليه وسلم": "من تزوّج فقد أحرز ثلثي الدين". ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، أي تجامعون النساء بعد العشاء، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾، ثم يرخص الله بذلك بقوله: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. كان الناس قبل ذلك إذا ناموا في ليل رمضان، واستفاقو، امتنعوا عن الطعام والشراب، والجماع، لكن البعض كان يقع في ذلك، ويُروى أن عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" بعدما صلى العشاء وقع على أهله، فلما اغتسل، بات يلوم نفسه ويبكي، ثم أتى النبي "صلى الله عليه وسلم" قائلاً: يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، فجامعتُ أهلي، فهل تجد لي رخصة، فقال النبي "صلى الله عليه وسلم": ما كنت جديراً بذلك يا عمر، فقام رجال واعترفوا بمثله، فنزل ذلك في عمر وأصحابه، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٨٧). هذه آيات الله في الناس لعلّهم يتّقون في تدبّرها وتلقي معانيها.

عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال: خطبنا رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في آخر يوم من شعبان فقال: "يا أيها الناس، إنه قد أظلك شهر عظيم – وفي رواية: قد أظلكم شهر عظيم–، شهر مبارك، شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، مَن تقرّب فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه الرزق، ومن فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا: يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نفطّر به الصائم، قال: يعطي الله هذا الثواب لمن فطّر صائماً على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة من ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه فيه، غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، أمّا الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما، فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار"□

اللهم بلّغنا رمضان



رشاد محمود

✍ بعد ساعات قليلة، ويتم الإعلان عن بدء شهر رمضان المبارك لهذه السنة (١٤٣٥هـ)، أعاده الله علينا وعليكم وعلى الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركة. ولكن حال المسلمين في هذه الأيام في أسوأ حال، وهو لم يصل إلى هذه الدرجة من السوء في أي زمان، فهم في شتات يأكل بعضهم بعضاً، لا يرحم كبيرهم صغيرهم، ولا يُوقر صغيرهم كبيرهم.. تغيَّرت الموازين وانقلبت رأساً على عقب، وصار الأبيض أسوداً، والأسود أبيضاً..

كانت هناك في سالف الزمان دولة مترامية الأطراف، شاسعة، تهابها الأسود والنمور، ولكن لماذا وصلت إلى هذا الدرك الأسفل من الانحطاط؟ كلنا نعرف الجواب، وهو أولاً من أنفسنا الضعيفة، التي لصقت - بشدة - بالدنيا وما فيها، كما يلصق العنكبوت في حوض الصمغ، ولا ينفك عنه. وثانياً: لاحظ الأجنبي ما وصلنا إليه من الوهن والضعف والتردّي، فاستغل هذا الوضع الذي هو في صالحه وصالح جماعته، فانكب علينا، وأخذ يقطعَ أشلاءنا بواسطة أنواع السكاكين

الحـاذة، ولا يـزال هـذا الأجنبي يلعـب بنـا كمـا يلعـب الأطفـال بالـدُمى! رحمـاك يـا رب.. ارحـم هـذه الأمـة برحمتـك الواسـعة، واهـدها إلى طريـق الصـواب، لكـي تـرى طريقها بوضوح..

وصـلنا إلى ضـفاف شـواطئ رمضـان المبـارك لهـذه السـنة، والمسـلمون، في أطـراف هـذه الـدنيا الواسـعة، قـد تركـوا بيـوتهم ومسـاكنهم، وهـم يعيشـون في الخيـام مـع أطفـالهم، ومـدنهم قـد تهـدمت، وانهـارت علـى سـاكنيها، بواسـطة النابـالم والبراميـل المتفجـرة، وأنـواع الأسـلحة الفتاكـة، وكـأن هـذه الأسـلحة قـد صُـنعت لقتل المسـلمين فقـط، أينمـا كـانوا!!.. فـأين الأمـم المتحـدة؟ وأيـن المجتمـع الـدولي المتمـدن؟ وأيـن النظـام العـالمي الجديـد الظـالم؟ وأيـن الإنسـانية جمعـاء؟! وإن المـرء ليسـأل هنـا: هـل إن المجتمـع الـدولي الظـالم هـو مخلـوق مـن البشـر، أم إنهـم حيوانـات كاسـرة لا تعـرف الرحمـة والشـفقة والإنسـانية؟ لا أتـذكر بالضـبط، ولكـن قبل سنوات عديـدة، قُتـل أحـد القساوسـة، مـن الرعايـا الغـربيين، في قـارة أفريقيـا، حينـذاك قامـت الـدنيا ولم تقعُـد مـن أجـل إنسان غربـي قُتـل في غابـات أفريقيـا! فهـل إن الـدم الغربـي يسـاوي الكـثير بالنسـبة لهـم، في حـين إن الـدم المسـلم لا يسـاوي عنـدهم جنـاح بعوضـة؟! في هـذا الزمـان نحن المسـلمون حيـارى وتـائهون في أصـقاع الأرض، لا نعلـم مـاذا نفعـل، وأيـن نذهب، وأين نسـتقرّ، وكلنـا نعلـم أن الحـل بسيط وسـهل، وهـو أن نقـوي علاقتنـا مـع الله الواحـد الأحـد، فهـو الـذي يسـتطيع أن ينصـرنا ويوصـلنا إلى بـر الأمـان، وأن نهنـأ في دنيانـا وآخرتنـا، وأن نتمسـك بـدين الإسـلام الـذي هـو عصـمة أمرنـا، والحبـل الذي يجب أن نتمسك به..

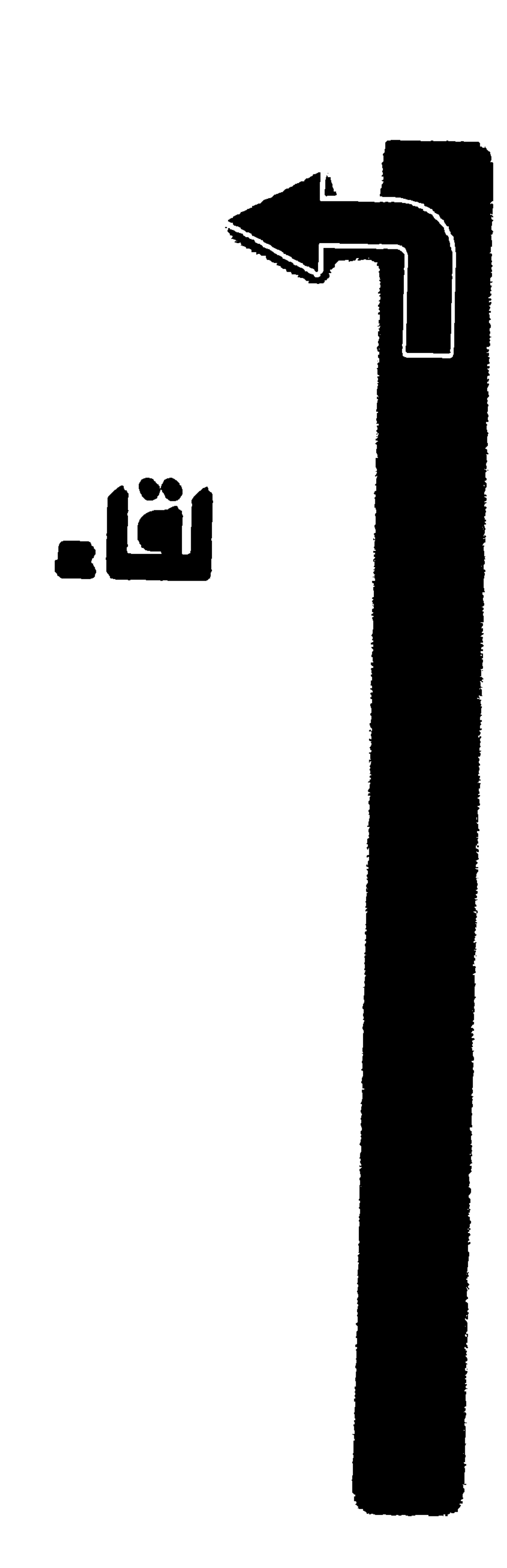
يقـول الغربيـون إن علـى المسـلمين أن لا يخلطـوا السياسـة بالـدين، والـدين بالسياسـة، ولكـنهم يكيلـون بمكيـالين، فهـذه دولـة إسـرائيل، الـتي أوجـدها الغربيـون في أراضـي المسـلمين، هـي دولـة سياسـية دينيـة، والسياسـيون هنـاك يلتقـون جـميعهم في مكـان يُسـمى (الكنيسـت)! فلماذا يجتمعون هـم في معبـد، وهـذا العمـل لـديهم يُعتـبر حـلالاً، بينمـا لـدينا يعتـبر حرامـاً؟! هـذه هـي مـوازين الغـرب، وعدالته الكاذبـة، الـتي يطبقهـا علـى العـالم، فنتيجة لذلك نـرى الظلـم مستشـر في أنحـاء العـالم المختلفـة، فـلا مسـاواة، ولا عـدل، ولا حـق، ولا إنصـاف يطبـق بـين النـاس، وقـد اخـتلط الحابـل بالنابـل، والمسـلمون في الوقـت الحاضـر تغيّـرت أخلاقهـم إلى الأسـوأ، فـأقوالهم أقـوال الأنبيـاء، وأعمـالهم

أعمال الجاهلية! فكيف نرجو منهم أيّ خير، فكلامهم كثير، وعملهم قليل، ولا يظهر في الأفق القريب أيّ فرج يَعُمُّ على هذه الأمة المنكوبة، لكي ينقذها من المآسي التي وقعت فيها، والنكبات التي مرت بها، لكي تعود إلى أوج قوتها وجبروتها ومجدها التليد الذي مضى، وباعتقادي أنه سوف لن يعود، ونحن على هذه الحالة البائسة التي يُرثى لها، وهي من صنع أيدينا وأفكارنا الضعيفة، التي ابتلينا بها في هذا العصر، بحيث لا نعرف عدونا من صديقنا.

وفي هذه الساعات القريبة من حلول رمضان المبارك أدعو الله (عزَّ وجلّ) أن يُبلِّغنا رمضان كما بلّغنا شعبان، ونحن تائبون إلى الله (سبحانه وتعالى)، التوبة النصوحة، عسى أن يقبلها منا، ومن جميع المسلمين المخلصين، وأن يبعدنا عن الفتنة ومسبباتها ونتائجها وسلبياتها.. وبمناسبة حلول رمضان المبارك أهدي إليكم هذه القطعة الشعرية بعنوان "دعاء" للشاعر (محمد رضا آل صادق):

مليك الخلق يا رباه ..
إني عبدك الجاني
دعوتك باسطاً كفي ..
اسأل لطفك الحاني
فكللّني بعافية
وظلّلني برضوان
وسامحني لما أذنبته
يا عالي الشأن!
فقد أسرفت بالآثام
في سرٍ وإعلان
رحت أشقّ درب
التيه، منقاداً لشيطاني
ولم أجمع بتطوافي
سوى ألمي وأشجاني
إلهي ليس لي من
راحمٍ، إلاك يرعاني
لئن لم أستطع بثاً
لمختلجٍ بوجداني
فهذي أدمع القلب ..
بها أفصح تبياني
قصدتك شارياً عفوك
- مولاي - بإيماني
أترجعني..
كسير الطرف في صفقة خسران!

وأنت المبدع المنشئُ
يا رباه "بنياني"
تعاليت أيا أكرم حنّان
ومنّان ☐


لقاء

الدكتور السيد مصطفى أحمد أبو الخير:

إن نحن لم نطالب أو ندافع عن حقوقنا، فماذا يفعل القانون لبشر تنازلوا عن حقوقهم لأعدائهم صراحة وضمنا، سرا وعلانية، هكذا فعل حكامنا والنظام الرسمي العربي، تنازلوا عن كل شيء لألد أعداء الأمة، مقابل الجلوس على العروش..



حاوره : بسام الطعان

bassamaltaan@yahoo.com

- في ظل كل خرابنا وحصارنا ودمنا المسفوك وقتلنا المجاني، ما فائدة الكتابة، ما جدواها، ما فائدة القانون، وما موقع القانون والشرعية والديمقراطية التي ينادي بها الغرب في فعل التغيير؟

*الكتابة والكلمة المكتوبة والمقروءة والمسموعة لها فائدة كبيرة جدا، ولولاها فنيت أمم وماتت شعوب، وهي أخطر من كافة الأسلحة، وهي أحق الجهاد، كما قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم. أما جدواها، فهي تبين الحق من الباطل، العدل من الظلم، وسمح بها للمظلوم، حتى ولو بكلمة نابية، فتقول الآية الكريمة من القرآن الكريم: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، إلا من ظلم).

فائدة القانون كبيرة جدا، ومهمة، فهو الحد الفاصل بين الحق والباطل، والعدل من الظلم.

فالقانون فرض التزامات، وأعطى حقوقا، فلا يعاب على القانون إن نحن لم نطالب أو ندافع عن حقوقنا، فماذا يفعل القانون لبشر تنازلوا عن حقوقهم لأعدائهم صراحة وضمنا، سرا وعلانية، هكذا فعل حكامنا والنظام الرسمي العربي، تنازلوا عن كل شيء لألد أعداء الأمة، مقابل الجلوس على العروش، حتى لو حكموا جماجم. في علاقة الحكام بالغرب لا يوجد قانون، بل توجد أوامر: سادة وعبيد.

- لك كتاب بعنوان(قواعد ومبادئ وأحكام القانون الدولي الإنساني)، كرجل قانوني، هل تعتقد أن هناك في العالم قانون يطبق بعدل؟ وهل هناك مبادئ يلتفت إليها أحد؟ أم أن القانون يطبق على الضعيف فقط، مثلما طبق على أفغانستان والعراق؟

*القانون موجود، والمبادئ حية وموجودة في العالم والمجتمع الدولي.. حقيقي توجد معايير مزدوجة في العالم، والقانون يطبق على الضعيف، ولكن وراء كل حالة من هذه، تجد حاكما أو حكاما عملاء باعوا مصلحة الوطن لأعدائه، مقابل مبالغ مالية، وجلوس على العروش والجيوش، بشرط أن يحكموا البلاد والعباد لمصلحة أعداء الوطن والبشر، وهذا ظاهر جدا في منطقتنا العربية.

- أيضا لك كتاب (الأسلحة النووية بين السياسة والقانون)، وهنا أسألك: لماذا يسمح لبعض الدول كإسرائيل والهند وباكستان، عدا عن الدول الكبرى، بامتلاك الأسلحة النووية، ولا يسمح للدول الأخرى، كإيران مثلا؟.

*تلك ازدواجية في المعايير، ولكن المهم أن هناك أنظمة عميلة تقبل ذلك. ليس هناك ما يمنع العرب من امتلاك التكنولوجية النووية، إلا الأوامر الغربية للنظام الرسمي العربي، وتجربة إيران خير دليل على ذلك.

- أليس من حق العرب أن يمتلكوا الأسلحة النووية، طالما إسرائيل تمتلكها؟

*لا يوجد لدى العرب أي مانع من تملك التكنولوجيا النووية، لا مادي ولا علمي، ويوجد

الدكتور السيد مصطفى أحمد أبو الخير في سطور

كاتب وباحث حقوقي مصري من مواليد ١٩٥٧ليسانس حقوق/كلية الحقوق/جامعة الزقازيق،ماجستير في القانون الدولي كلية الحقوق/جامعة عين شمس، دبلوم القانون الدولي، دكتوراه في القانون الدولي، أستاذ القانون الدولي العام بكلية القانون الدولي بالجامعة الاسكندنافية/النرويج، أستاذ القانون الدولي العام والمنظمات الدولية والعلاقات الدولية في جامعة آل راشد، عضو اللجنة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عضو بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

صدر له:

١- النظرية العامة للأحلاف العسكرية.
٢- تحالفات العولمة العسكرية والقانون الدولي.
٣- وثائق تحالف العولمة العسكرية.
٤- النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.
٥- نصوص المواثيق والإعلانات والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان.
٦- فتوى الجدار العازل والقانون الدولي.
٧- أزمات السودان الداخلية والقانون الدولي المعاصر.
٨- الانسحاب السوري من لبنان .
٩- المبادئ العامة في القانون الدولي المعاصر.
١٠- عقود نقل التكنولوجيا ٢٠٠٧.
١١- الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة دراسة قانونية سياسية التجربة العراقية والتجربة الإفريقية.
١٢- استراتيجية فرض العولمة الآليات ووسائل الحماية.
١٣- الحدود العربية والإسلامية في القانون الدولي العام.
١٤- مستقبل الحروب دراسات ووثائق.
١٥- الدولة في القانون الدولي العام.
١٦- الحرب الأخيرة على غزة في ضوء القانون الدولي العام .
١٧- الطرق القانونية لمحاكمة إسرائيل قادة وأفراد في القانون.

العلماء، سوى أن الأوامر صدرت للنظام العربي الرسمي من الغرب بعدم السعي لامتلاك التكنولوجيا النووية.

- كرجل قانون ألا يجب أن يحاكم جورج بوش، حتى ولو لم يعد رئيسا، بسبب حربه على العراق، وكلنا نعرف أن السبب في الحرب على العراق كان كذبا بكذب، أم أن هذا صعب المنال، لأنه أمريكي؟

*من المفروض محاكمة قادة الولايات المتحدة الأمريكية، والكيان الصهيوني، على جرائمهم، ودائما أكتب اسمها الصحيح: (الولايات المجرمة الأمريكية)، والقانون الدولي وفر وأعطى حق محاكمتهم لأي دولة في العالم، بالاختصاص القضائي العالمي، طبقا لاتفاقيات جنيف الأربعة لعام ١٩٤٩م، والبرتوكولين الإضافيين لعام ١٩٧٧م، وكتبت ذلك في كتابي الأخير: (محاكمة إسرائيل قادة وأفرادا في القانون الدولي بالوثائق، عام ٢٠٠٩م دار ايتراك القاهرة). ولكن من يملك هذا الحق - وهو النظام الرسمي العربي -، لا يستخدم هذا الحق، فلماذا نلوم القانون؟!.

نعيب زماننا، والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

- رأيك بالعولمة، وماذا قدمت للعرب؟

*ليست خيرا كلها، ولا شرا كلها. وقد أوضحت ذلك في كتابي: (استراتيجية فرض العولمة: الآليات ووسائل الحماية/ القاهرة).

(قدمت العولمة للعرب فرصة ذهبية لإظهار وشرح قضيتهم، وبيان الحق من الباطل فيها، ولكنهم استغلوها في إنشاء القنوات الفضائية التي تنشر الرذيلة في العالم. وكما قال نزار قباني: (أخذنا قشرة الحضارة).. كان يمكن للعرب أن يستغلوا القنوات الفضائية في نشر الإسلام، وقيمه، ولكن للأسف حاربوا فيها الإسلام، والبلاد والعباد، وعملوا لصالح أشد أعداء الأمتين العربية والإسلامية). وكما قال الشاعر فاروق جويدة: حكامنا ضيعونا، باعوا الأرض والعرض).

ـ الكاتب والمبدع العربي لا يملك الحرية الكافية، وهو دائما مقيد من قبل الرقيب، ألا يعتبر هذا ظلما بحقه؟

نعم أقسى وأقصى أنواع الظلم، ولا يعادله ظلم، وللأسف هو مقيد لصالح أعداء الأمة من الحكام.

- كيف تنظر إلى دور (اتحاد المحامين العرب)، وهل يخدم قضايا الجماهير العربية بالشكل الصحيح؟

*لا أراه حتى أنظر إليه، ولا يشعر به أي مواطن عربي، وليس له أي دور في القضايا العربية، سوى ما يمن عليه النظام الرسمي العربي، ولست متابع تحركاته.

- رأيك بالزواج العرفي، وهل يؤدي إلى انهيار الأسرة، وهل هو زواج بكل معنى الكلمة؟

*الزواج العرفي اتفاق على الزنا، مكتوب بالأصح عقد زنا، والهدف منه ضرب الترابط الأسري في المجتمعات العربية والإسلامية لتدميرها، وهذا ما يريده الغرب، وينفذه عن طريق الحكام العملاء.

ـ نحن العرب مازلنا نعيش على الماضي الذي خلفه لنا الأجداد، بل نتغنى به دون أن نفعل شيئا جديدا، وكأننا شعب استهلاكي تابع للغرب، ما رأيك؟

*لقد نجح الغرب، قبل الانسحاب من بلادنا، في أن يولي علينا من ينفذ استراتيجيته في تدمير المجتمعات العربية والإسلامية، وهذا ما تنفذه الأنظمة الرسمية.

ـ على الرغم من كل ما فعلته بنا أمريكا من احتلال وخراب ودمار، إلا أن هناك بعض الكتاب العرب يصفقون لها دون خجل، ويتشدقون بديمقراطيتها وحريتها، ماذا تقول لهؤلاء؟.

*هؤلاء الطابور الخامس الذي يعتمد عليه الغرب في قتل المناعة في المجتمعات العربية والإسلامية، ويجب فضحهم حتى يعرفهم الناس.

ـ ما السبب في الفجوة الثقافية الهائلة بيننا نحن العرب وبين الغرب؟.

*الأنظمة الرسمية العربية، التي حولت الشعوب العربية إلى مجرد كيانات تعيش لتأكل فقط، وشددت، وسدت عليهم كل سبل الزرق!.. قال أبو حنيفة: (لا تجادل رجلا ليس في بيته دقيق).

ـ لمن تقرأ من الكتاب العرب، ومن هو الكاتب العربي الذي تنظر إليه بإعجاب؟.

*المرحوم فتحي يكن، والمستشار طارق البشري.

ـ الدكتور السيد مصطفى أبو الخير، شكرا على رحابة صدرك، ما هو السؤال الذي كنت تود أن أطرحه عليك وما هي إجابته؟

– ما العمل، كيفية الخروج؟.

*تأخذ الجماهير العربية والإسلامية زمام المبادرة بالعمل لصالحها خارج إطار الأنظمة الرسمية، عن طريق ترك ما يضرها، والتمسك بما ينفعها، والعمل على تطويره.

ـ ولكن كيف، ما هي الآليات والسبل الكفيلة بتحقيق ذلك؟!

*بعدم التعامل مع الحكومات العربية العميلة، ومقاطعتها حتى تسقط. ويمكن خلق اقتصاد مواز لاقتصاد الحكومات، بالتوسع في المشروعات الاقتصادية الخاصة، ويكون ذلك عن طريق عدم التعامل مع بنوك الدولة، لا سحبا، ولا إيداعا، وعدم التطوع في قواتهم المسلحة، ومقاطعة كل الأفراد والآليات التي تستخدمها الحكومات العربية، مثل: الشرطة، والقضاء، وعمل قضاء مواز، بجلسات القضاء العرفي، وعمل بديل عن الشرطة، باللجان الشعبية، التي تقوم بعمل الشرطة، وعدم اللجوء لشرطة النظام□

أدب وفن

- قصص الأطفال	عبد المجيد
- حوار مع د. جزيل الجومرد حول الموسيقى العربية	نبيل فتحي حسين
- رسالة إلى البيت القديم (شعر)	د. وليد الصراف
- إصدارات حديثة	المحرر

قصص الأطفال عناصرها، أنواعها، وأبرز أعلامها

✍ تمتاز مرحلة الطفولة بتأثيرها العميق في حياة الإنسان، وتعدّ أهم مراحل تشكّل الشخصية الإنسانية وأخصبها، إذ تتبلور ملامحها وصفاتها، وتُكتسب فيها طرائق التفكير، وأنماط السلوك، والكثير من القيم والاتجاهات.. حقائقّ احتاج إثباتها عقوداً طويلةً من الزمن، أوصلت تباعاً إلى معرفة طبيعة الشخصية الطفلية وتكوينها، وإلى ازدياد الاهتمام بتربيتها تربية متكاملة من الجوانب المعرفية والوجدانية والاجتماعية والجمالية، لدرجةٍ بات -هذا الاهتمام- معياراً لوعي الأمم بأهمية مستقبلها ومستوى رقيّها.. وفي إطار التربية الثقافية الموجَّهة للأطفال، تبرز القصة الطفلية كإحدى أهم الأساليب، ذلك لانفرادها بخصائص متميّزة عن الأساليب والأشكال الثقافية الأخرى، ولمقدرتها الكبيرة على التأثير في منظومة أفكار الطفل ومشاعره.



عبد المجيد إبراهيم قاسم
mejeed40@yahoo.com

مفهوم القصة الطفلية:

القصة الطفلية: فنٌّ أدبي راقٍ، يمتلك مقومات فنية خاصة، يقوم على مجموعة

من الحوادث المترابطة، مستوحاة من الواقع أو الخيال، أو كلاهما، تدور في بيئة زمانية ومكانية، وتمثّل قيماً إنسانية شتى، تفضي لنهاية يتوجّب أن تكون خيّرة. وقصة الأطفال وسيلة تربوية تعليمية محببّة، تهدف إلى غرس القيم والاتجاهات الإيجابية في نفوس جمهوره، وإشباع بعض احتياجاتهم النفسية، والإسهام في توسيع مداركهم وإثارة خيالاتهم، والاستجابة لميولهم في المغامرة والاستكشاف. ويُعدُّ هذا الفنّ أبرز فنون أدب الأطفال، وأكثرها انتشاراً.. إذ يستأثر بأعلى نسبة من النتاج الإبداعي الموجّه للأطفال، ويحظى بالمنزلة الأولى لديهم قياساً إلى الفنون الأدبية الطفلية الأخرى. يُعرِّفها الباحث «سمر روحي الفيصل» بأنها(١): (جنسٌ أدبي نثري قصصي، موجّه إلى الطفل، ملائم لعالمه، يضمُّ حكاية شائقة، ليس لها موضوع محدَّد أو طول معيَّن، شخصياتها واضحة الأفعال، لغتها مستمدة من معجم الطفل، تطرح قيمة ضمنية، وتعبِّر عن مغزى ذي أساس تربوي، مستمد من علم نفس الطفل.)

أهمية قصص الأطفال وأهدافها

هي طاقات من الحيوية والحركة، وعالم يضجُّ بالأحلام والخيالات، يملؤه الفضول وحبُّ الاستكشاف والانبهار بالتصوّرات والشخصيات، والوله بالمغامرة وارتياد المجهول.. إنها الطفولة. وللقصة الطفلية خصائصُ وميّزات، نستطيع بواسطتها دخول عالم الطفولة، والاستجابة لطبيعتها، إذ تهيّئ عالماً ساحراً متنوّعاً" سحر الطفولة وتنوّع انفعالاتها، لذا تراهم يشغفون بها، يتوقون لسماعها، يندمجون بأحداثها، ويتفاعلون مع أبطالها، ومن هنا اكتسبت القصة تأثيرها الساحر على الأطفال. يقول الكاتب «نزار نجار»: (القصة وسيلة تربوية ناجحة، وهي فنّ.. فنّ لمّاح ذكي، يعتمد على الترميز والإضاءات الخاطفة وسرعة الالتقاط، ولذلك تفوّقت القصة في أدب الأطفال على غيرها من الأجناس الأدبية.. والأطفال يتمتّعون بميزة تذوّق الجمال، إنّ في داخلهم نداءً عميقاً يجذبهم نحو الجميل، كذلك لديهم





توقٌ للتسامي والبطولة، وإلى المعرفة والمغامرة والانطلاق.. والقصة تُشبع هذا التوق، وتحقّق ذلك الذوق.. القصة تجعل الأطفال قادرين على الاتصال بالفن، بفضل بساطة أسلوبها، وسحر أحداثها)(٢) .

قصة الأطفال أداة تربوية تثقيفية ناجحة، فهي تُثري خبرات الأطفال، وتنمّي مهاراتهم، وتكسبهم الاتجاهات الإيجابية.. وهي تزوِّدهم بالمعارف والمعلومات والحقائق عن الطبيعة والحياة، وتُطلعهم على البيئات الاجتماعية. كما أنها تُثري لغتهم وترقى بأساليبها، وتنمّي قدراتهم التعبيرية عن الأفكار والمشاعر والاحتياجات. وللقصة الطفلية دورٌ فعال في النمو الانفعالي للطفل، من خلال ضبط انفعالاته، وتخفيف التوتر عنه، والتنفيس عن رغباته المكبوتة، ومعالجة بعض المشكلات، والأمراض النفسية، وبعض العيوب اللفظية لديه. وهي أيضاً وسيلة جيدة لتكريس علاقات وأنماط سلوك إيجابية في حياة الطفل، وتعزيز الاتجاهات التي تنمي قدراته على مواجهة المشكلات. كما تهدف إلى تحقيق أهداف ترويحية وترفيهية عدَّة، والاستجابة لميول الطفولة إلى اللعب والحركة، وتوفير قسط من المتعة والترفيه، وتبديد أجواء الروتين والرتابة. يقول د. «هادي نعمان الهيتي»: (يُلاحظ أن الأطفال شديدو التعلّق بالقصص، وهم يستمعون إليها أو يقرؤونها بشغف، ويحلّقون في أجوائها، ويتجاوبون مع أبطالها، ويتشبَّعون بما فيها من أخيلة، ويتخطَّون من خلالها أجوائهم الاعتيادية.. خصوصاً وأنها تقودهم بلطف ورقة وسحر إلى الاتجاه الذي

تحمله. إضافة إلى أنها توفر لهم فرصاً للترفيه في نشاط ترويحي، وتشبع ميولهم إلى اللعب، لذا فهي ترضي مختلف المشاعر والأمزجة والمدارك والأخيلة، باعتبارها عملية مسرحة للحياة والأفكار والقيم.)(٣)

عناصر القصة الطفلية وخصائصها

القصة -عموماً- شكلٌ ومضمون، ومجموعة من العناصر المتآلفة، وقصة الأطفال لا تخرج عن هذا الإطار، إلا أنها تتسم بالخصوصية في الكثير من جوانبها. وتتمثل عناصر قصة الأطفال الأساسية في: الفكرة، الحدث، الحبكة، الشخصية، الحوار، الأسلوب، والبيئة الزمانية، والبيئة المكانية.

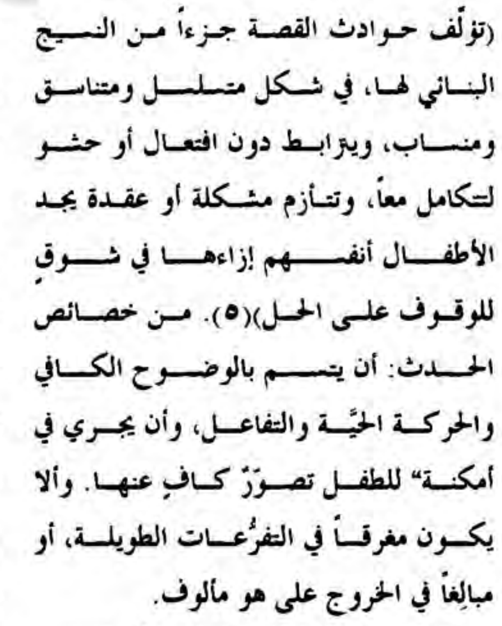
١) الموضوع أو الفكرة الرئيسة: تجري أحداث القصة في إطارها، وتُطرح الموضوعات من خلالها، وتتمثّل في معانيها ومغزاها.. والقصة الجيدة هي التي تحمل الفكرة الإيجابية، وتدعو إلى الحقّ والخير والجمال، عبر إيحاءات تحترم قدرات متلقّيها، وتلائمها كما يجب.

يقول د. «نجيب الكيلاني»(٤): (الحدث لا ينطلق عشوائياً، والشخصيات لا تتصرّف ارتجالاً أو اعتباطاً، إن وراء كل حركة وسكنة في القصة هدفاً، أو تعبيراً عن معنى.. عن فكرة، عن موضوع، والتوازن الفني بين الشكل والموضوع "الفكرة"، هو المعادلة الحسّاسة لكاتب القصة).

أهم خصائص الفكرة: أن تكون مناسبة لمستوى نضج الطفل، ومراعية لمستوياته الثقافية واللغوية والوجدانية والاجتماعية. وأن تتناول مواضيعاً مستمدةً من عالمه، وتعالج أموراً تصبُّ في دائرة اهتماماته. وأن تقدِّم له تصوّراً واقعياً وصحيحاً عن الحياة. وألا تكون الفكرة ساذجة، أو باعثة على خوفٍ أو رعب، أو مُغرقة في تفصيلات فرعية تبعث على الملل.

٢) الحدث: يعدُّ بمثابة الخلفية التي تنبثق عنها الأفكار وتصوُّر الشخصيات.. الحادثة الفنية هي مجموع الوقائع المتسلسلة والمترابطة، التي تدور حول أفكار القصة في إطار فنيّ محكم.





(تؤلّف حوادث القصة جزءاً من النسيج البنائي لها، في شكل متسلسل ومتناسق ومنساب، ويترابط دون افتعال أو حشو لتكامل معاً، وتتأزم مشكلة أو عقدة يجد الأطفال أنفسهم إزاءها في شوقٍ للوقوف على الحل)(٥). من خصائص الحدث: أن يتسم بالوضوح الكافي والحركة الحيَّة والتفاعل، وأن يجري في أمكنة" للطفل تصوّرٌ كافٍ عنها. وألا يكون مغرقاً في التفرُّعات الطويلة، أو مبالِغاً في الخروج على هو مألوف.

٣) البناء والحبكة: فنُّ ترتيب الحوادث وتطويرها، وأسلوب عرض الوقائع والشخصيات في تسلسل طبيعي ومنطقي.. بحيث تكون مترابطة ارتباطاً منطقياً، يجعلها وحدة متماسكة الأجزاء. (تمثل الحبكة في القصة قمّة" تنمو فيها الفكرة والحوادث والوقائع الأخرى، وتتحرَّك الشخصيات، مؤلّفة خيطاً غير منظور، يمسك بنسيج القصة وبنائها، مما يدفع الطفل إلى متابعة قراءتها، أو الاستماع إليها، لأن ذلك الخيط يستلزم تفكيراً أو تخيلاً أو تذكّراً، أو يستلزم هذه كلها)(٦). من شروطها: أن تكون محكمة، وبسيطة وواضحة، وأن تقوم على حوادث ومواقف مترابطة، وشخصيات غير مفتعلة، تجمعها أشياء غير الزمان أو المكان.

٤) الشخصية: عنصر أساسي في بناء القصّة، وشرطٌ رئيسي من شروط نجاحها، إذ تقوم بالأحداث في القصة.. وللشخصية في قصة الطفل مزايا عدّة، أهمها المقدرة الاستثنائية على جذب الطفل، بحكم طبيعته المولعة باستكشاف

الشخصيات وتقليدها، ولما تتيحه من إرضاء لميوله ونوازعه. (تجسِّد الشخصيات في القصة المواقف والأفكار، بشكل تجعل الأطفال يتَّخذون الموقف العاطفي إزاءها، تعلقاً أو نفوراً أو عطفاً، ويصل الأمر بالأطفال إلى التقمُّص الوجداني مع الأبطال، فيحزنون لحزنهم، ويفرحون لفرحهم)(٧). والشخصية في قصة الأطفال قد تكون طفلاً أو رجلاً أو امرأة عجوز، كما ليس بالضرورة أن تكون إنساناً، فقد تكون حيواناً أو طائراً، كأن تكون قطّة أو سلحفاة أو حمامة، أو تكون نباتاً" كأن تكون زهرة أو شجرة، أو إحدى مظاهر الطبيعة" كأن تكون نهراً أو سحابة أو جبلاً. ومن أكثر الشخصيات التي يهواها الطفل، ويحبها، كما يرى «نور الدين الهاشمي»(٨): هي الشخصيات المغامرة الجريئة التي تتحدّى الأخطار، وتتَّسم بالذكاء والشجاعة والمرح والطموح، وحبِّ الحرية والانطلاق. أما أهم خصائص الشخصية في قصة الأطفال: أن تكون مألوفة للطفل، قريبة إلى نفسه، ملائمة لثقافته. وتكون قادرة على الإقناع والتأثير، وأن تكون مشبعة بالقيم الإنسانية العليا، ودالّة على قيم أخلاقية واضحة.. وأن تتصف بالشجاعة والإقدام وحبِّ الخير والإيثار، وبعيدة عن المثالية المطلقة، وغير مبالغ في قدراتها وإمكاناتها. أخيراً: ألا يكون عدد الشخصيات كبيراً إلى حدّ تُشتِّت أفكار الطفل وتُضعف تركيزه.

٥) **الأسلوب:** هو البناء الفني الذي يعبّر عن فكرة القصة وحوادثها وشخصياتها، بكل سلاسة ورصانة وجمال. وأهم ميِّزات الأسلوب على الإطلاق هو التشويق، أو المقدرة على إثارة التفاعل الفكري للطفل، طوال زمن القصة، إذ يعدُّ المحكّ لقدرات الكاتب في هذا المجال.. ويتحقق التشويق من خلال أمور عدّة تطال كلّ عناصر القصة ومقوّماتها، وأهمها: الإحكام والوضوح والجمالية، والتنويع في مشاهد الدهشة، وحسن استخدام اللغة والخيال والصور الفنية.. ولا يتوقف التشويق على ذلك، إنما يمتدُّ إلى النواحي الشكلية في القصة.

يقول الكاتب «نجيب كيالي»(٩): (يلعب التشويق -بمعناه العام- دوراً حاسماً في قراءة الطفل للقصة، وأظنُّه يبدأ بغلاف الكتاب الذي تُشكِّل جماليته إغواءً بصرياً، يدفع الطفل إلى مدِّ يده إليه، بعد ذلك يأتي دور العنوان، ثم جاذبية الأسطر الأولى.. إلى أن نصل إلى التشويق الأعمق النابع من داخل النص).

من أهم خصائص الأسلوب في القصة الطفلية: اللغة البسيطة والمناسبة لمستوى نمو الطفل الذي تُكتب له، والتراكيب السلسلة، والجمل القصيرة، والعبارات الرشيقة، والألفاظ المستقاة من قاموسه اللغوي. ومن سمات الأسلوب أيضاً: أن يكون خالياً من التعقيد والغموض، بعيداً عن السطحية والسذاجة والتكلُّف، وألا يعتمد التوجيه المقصود في الإفصاح عن القيم، واستخدام عنصريّ المفاجأة بهدف الإثارة، والرمزية الشفافة لإثارة الخيال، إلى جانب الصور الفنية المحسوسة والمألوفة. يقول د. «الهيتي»(١٠): (يتمثَّل وضوح الأسلوب في ملائمة الألفاظ والتراكيب لمستوى الطفل اللغوي، وفي التعبير الدقيق عن المعاني. وتتمثَّل القوة في قدرة الأسلوب على إيقاظ حواس الطفل وإثارته وجذبه، كي يندمج بالقصة عن طريق نقل انفعالات الكاتب في ثنايا عمله القصصي، وتكوين الصور الحسِّية والذهنية المناسبة. ويتمثَّل جمال الأسلوب في سريانه في توافق نغمي وتآلف صوتي واستواء موسيقي).

٦) الزمان والمكان: وهما البيئتان اللتان تجري ضمنهما الأحداث، وتتحرَّك الشخوص. ونعني بالبيئة الزمانية: المرحلة أو المراحل التاريخية التي تصوِّرها الأحداث. (القصص بتخطِّيها أبعاد الزمان، تنقل الأطفال عبر الدهور المختلفة، كما تتجاوز بهم الحاضر إلى المستقبل. وبتخطيها أبعاد المكان، تجعل الأطفال أمام حوادث وشخصيات وأجواء، خارج نطاق الخبرة الشخصية للأطفال، وتهيِّئ لهم الطوفان على أجنحة الخيال في عوالم مختلفة)(١١). أما البيئة المكانية، فنقصد بها: المحيط الجغرافي الذي تجري فيها أحداث القصة: منزل، مدرسة، حديقة، أو في الطبيعة. وللطفل،

في سنيّه الأولى، إدراك أوضح للمكان من إدراكه للزمان. والمكان -هنا- لا يمكن تقييده بحدود، أو إلزامه بتفاصيل معيَّنة، كما في قصة الكبار. يقول د. «محمد المنسي قنديل»(١٢): (الحيِّز في قصص الأطفال متَّسع، والأرض بلا حدود، والواقع قابل دوماً للتشكيل، فالمكان في قصص الأطفال لا يعترف بالخرائط المرسومة، ولا يلتزم بتلك التفاصيل المحلية الضيِّقة، والتي تعطي أدب الكبار قيمته الأساسية، والمكان هنا مساحة ما بين الواقع والوهم، والجغرافيا لا تخضع لمنطق التضاريس).

ومن جملة خصائص القصة الطفلية، الخصائص الفنية، ومنها: أن يحتوي العمل القصصي على صور واضحة، أو رسوم تعبيرية جذّابة -لاسيما المرحلة الأولى من الطفولة- إذ تشكّل مع النصّ لوحة تجذب الطفل، وتدعوه لإشغال عقله وخياله. كما أن للصور والرسوم دوراً كبيراً في إثراء القصة وربط أفكارها وترتيب أجزائها. ولا ننسى الإخراج الفنيّ للمطبوع القصصي، الذي يعدُّ أمراً هاماً وضرورياً، يحقّق للطفل الإغراء البصري، ويخلق له جواً من المتعة، من خلال: مراعاة أناقة الغلاف وجاذبيته، ووضوح الحروف، ترتيب الكلمات والأسطر، ووصولاً إلى حجم المطبوع المناسب، ومستوى الطباعة، ونوع التجليد. يقول «نزار نجار»(١٣): (إن القصص الناجحة حقاً، هي التي تتحرَّك في الواقع والخيال معاً، تداعب أحلام الطفولة، وترسم لها الظلال والألوان، تجمع إلى براعة القصص، التلطّف في العبارة، والدقة في الموقف، والجمال في الصورة، والوضوح في الهدف).

القصة وخيال الطفل

يؤدي الخيال دوراً هاماً في تطوير شخصية الطفل فكراً وتعبيراً، وتأهيلاً للقدرات التأملية والإبداعية واللغوية.. بالمقابل تعدُّ المقدرة على التخيُّل من أهم سمات هذه الشخصية، فمن استطاع إثارة خيال الطفل بما يهوى ويحبّ من القص، فإن باستطاعته إشباع الكثير من احتياجاته النفسية، فالخيال في القصة يشدُّه إليها ويحرِّك أحاسيسه، ويتيح له

فضاءات رحبة يحلّق فيها، ويتنقل في عوالمها، وهو جالس في مكانه. من جهة أخرى يعدّ الخيال أهم الفنيات في قصص الأطفال، كما تتعدّد صور توظيفه فيها وتتنوّع، كقصص الخيال العلمي، الذي يُثري المعارف العلمية، وينمّي القدرات العقلية.. وهي نوعٌ يناسب المرحلتين المتوسطة والمتأخرة. إلا أن أكثر ما يتوجب الحذر منه عند استخدام هذا الخيال، كما تقول «عفاف لطف الله»(١٤): (المبالغة الشديدة في الأحداث، أو تضخيم الشخصيات، على نحو يبعد الطفل عن الواقع، فيصبح عاجزاً عن تمييز الحقائق من الخرافة).

أنواع قصص الأطفال

تشمل قصص الأطفال أنواعاً عدة، منها: الحكايات، القصص التراثية، قصص الحيوان، قصص السِير، قصص البطولة والمغامرة، قصص الخيال العلمي، قصص الخيال التاريخي، قصص الفكاهة، القصص الدينية، القصص الاجتماعية، وغيرها.. إلا أن هذا التصنيف ليس معياراً ثابتاً يُعتمد عليه في تقسيم قصص الأطفال. يقول «الهيتي» في مؤلَفه "ثقافة الأطفال": يصعب الاعتماد على معيار واحد في تقسيم قصص الأطفال، لذا نجد تقسيمات حسب الموضوع، أو حسب الشخصيات، أو حسب علاقتها بالواقع أو الخيال.. لكن التفسير الأكثر شيوعاً هو الذي يقسِّمها إلى: حكايات وخرافات، وقصص حيوان، وقصص بطولة ومغامرة، وقصص خيال علمي، وقصص خيال تاريخي، وقصص فكاهة.

والحكايات نوعٌ هام من أنواع قصص الأطفال، يعني: (السرد القصصي الذي يتناقله الناس)، وهي بذلك تختلف عن القصة بمفهومها الحديث، بأنها في الأصل ذات طابع شفهي مرتبط بالأدب الشعبي، في حين أن القصة نتاج لكاتب فرد، وقد تكون مستمدة في بعض أنواعها من الحكاية والأسطورة، كما يرى «أحمد صوان»(١٥).

ومن الحكايات ما هي شعبية، ومنها ما هي خرافية، وهي تمتاز -عموماً- بالبساطة والمضمون الثريّ والعميق في

الوقت نفسه. والحكاية الشعبية هي: (نوع قصصي ليس له مؤلف، لأنه حاصل ضرب عدد كبير من ألوان السرد القصصي الشفهي، الذي يضفي عليه الرواة أو يحوروّن فيه أو يقتطعون منه، وهو يعبِّر عن جوانب من شخصية الجماعة)(١٦)، ويعدُّ هذا النوع أقدم الأنواع الأدبية المقدَّمة للطفل. وعن أهميتها ودورها كمنهل لقصص الأطفال عبر العصور، يقول «الهيتي»(١٧): (أمكن القول إن كثيراً من قصّاصي الأطفال، استمدوا من الحكايات الشعبية أفكار قصصهم، ولاقت تلك القصص هوىً في نفوس الأطفال، وسُعدوا بأبطالها الذين يتحرَّكون دون حواجز أو قيود، وأنسوا بالحيوانات التي تتصرَّف -في الغالب- تصرُّفاً إنسانياً، وبالنباتات التي تتحرَّك وتطير وتضحك، وبالأدوات الجامدة التي تروح وتجيء وتقرع الطبول وتغني.. وأثارت هذه الحكايات مشاعر الأطفال وسط أجواء التضحية أو البطولة أو الصدق أو العدل، حيث ينتصر الخير والأخيار، ويخذل الشر والأشرار). كما أن قصص الحيوان، وأسلوب الأنسنة -حيث تتحرَّك الشخصيات في بيئة حيّة، تفكّر وتتحدَّث كالبشر- تحظى بجاذبية كبيرة، وبإقبال لا يضاهى، من قبل جموع الأطفال، لاسيما في المرحلة المبكرة. كما أنها تعدُّ من أقدم أنواع الحكايات الشعبية، نهل منها كتّاب قصص الأطفال -كمادّة خصبة- الكثير ولا يزالون، ويعدُّ كتاب «كليلة ودمنة» من أهم ما كُتب هذا المجال.

أبرز أعلام قصص الأطفال عالمياً وعربياً

هانز كريستيان أندرسن

يرى كثيرٌ من الباحثين بأنَّ كتاب "الأم الأوزة" للفرنسي «شارل بيرول» ١٦٩٧ كان أول مجموعة قصصية كتبت خصِّيصاً للأطفال، وشكَّلت بداية مرحلة جديدة في تاريخ

تطوّر الكتابة لهم. تضمَّن الكتاب حكايات شعبية من الريف الفرنسي، أشهرها "سندريلا"، "الجمال النائم"، "ذات الرداء الأحمر"، أهم كلاسيكيات أدب الأطفال العالميّة. وفي ألمانيا ظهر «الأخوان غريم» اللذان أصدرا حكايات "الأطفال والبيوت" الجزء الأول عام ١٨١٢، ثم الجزء الثاني ١٨١٤، وضمَّت المجموعتان أكثر من مئتي حكاية، مستمدة من الحكايات الألمانية الفولكلورية القديمة، التي كان يحكيها الآباء للأبناء، بعد أن هذّبها في أسلوبها، ومنها: "ليلى والذئب"، "الساحرة الشريرة"، "الأميرة النائمة". والعلامة الفارقة الثالثة، والأكثر تميُّزاً في تاريخ كتابة قصص الأطفال، كان الدانمركي «هانز كريستيان أندرسن»، الذي عُدَّ رائد أدب الأطفال في أوروبا، والأكثر شهرة في العالم. كتب "فرخ البط القبيح" عام ١٨٤٦، والعشرات من القصص، التي أدخلت أدب الأطفال - هذا النوع الحديث من الأدب- عهداً جديداً. ولا تزال قصصه تتداول بين الأطفال حتى اليوم، بعد أن ترجمت إلى كثيرٍ من لغات العالم، ومنها: "الحوريَّة الصغيرة"، "الحذاء الأحمر"، و"الأميرة وحبَّة الفاصوليا". واشتهر كذلك الروسي «إيفان كريلوف»، الذي نشر مجموعات عديدة من الحكايات، أظهر فيها شخصيات من الحيوانات، وجد فيها الأطفال متعة بالغة. ومن الأسماء التي لمعت في هذا المجال أيضاً: الإنكليزي «لويس كارول»، الذي يعدُّ واحداً من أدباء الأطفال الكبار، لما أنجزه من أعمال مبهرة لهم. من أشهر قصصه "أليس في بلاد العجائب"، التي عُدَّت من أهم آثار أدب الأطفال. والروائي الأمريكي الساخر «مارك توين»، الذي كتب للأطفال عديداً من القصص، أشهرها: "توم سوير". والروائي الفرنسي «جول


جون فيرن

فيرن»، الذي عدَّ من روّاد قصص الخيال العلمي، وبلغ ما صدر له في هذا المجال نحو ثمانين قصة ورواية، مزج فيها بين العلم والخيال، ومنها: "خمسة أيام في منطاد"، "من الأرض إلى القمر"، "حول العالم في ثمانين يوماً".

ومن الكتّاب الذين لمعت أسماؤهم في كتابة قصص وحكايات للأطفال، أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرون، يوردها «هادي نعمان الهيتي» في مؤلَفه «ثقافة الأطفال»: (ظهر في فرنسا «ليونس بور لياغيه»، الذي وضع عديداً من قصص الأطفال منها: "حكايات أبي لوجار"، و"أربعة تلاميذ". و«ورينيه غيو»، الحائز على جوائز عالمية، منها: "جائزة هانز كريستيان اندرسن". و«تومي أوبخيرير»، مؤلّف قصص "اللصوص الثلاثة"، و"الأجير الساحر". و«ايميه مارسيل» الذي وضع حكايات عديدة، تُرجمت إلى العديد من لغات العالم، منها: "حكايات القط". وفي انكلترا" نجد أسماء عديدة، منها: الروائية «أينيد بلايتون»، التي وضعت نحو مئة قصة بوليسية، لاقت إقبال الأطفال والمراهقين. والقاصّ «آرثر لانسوم» الذي وضع عدَّة قصص، منها: "سوالو وأمازون".

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، التمعت أسماء كتّاب أطفال عديدين، منهم: «ماري مابس دودج»، التي أصدرت مجموعات قصصية للأطفال، منها: "الحذاء الفضي". والقاصّ «فرانك. ل. بوم»، الذي ظهرت له مجموعات قصصية بعنوان "بلاد الإوز المدهشة"، التي لا تزال -وغيرها من مجموعاته- تُطبع بصورة مستمرة. وفي الاتحاد السوفييتي «ليف كاسيل»، الذي انتقد كتّاب الأطفال الذين يصوِّرون شخصيات الأطفال في قصصهم في مستوى يفوق الواقع، وقد وضع عدداً من القصص الموجَّهة إلى الأطفال والشباب، منها: قصة "شوام براني" و"الرحلة الخرافية")(١٨) .



أما عربياً، فيرى كثيرٌ من الدارسين في «كامل الكيلاني» الرائد الحقيقي في ميدان النشر القصصي للأطفال، ذلك لكثرة ما ترجم واقتبس وألَّف من قصص. إضافة إلى مسرحيات، ومجموعة من القصائد، نقل بها أدب الأطفال خطوات واسعة إلى الأمام، من النواحي التربوية والفنية. أصدر قصته الأولى للأطفال: "السندباد البحري" عام ١٩٢٧، وظلَّ مواصلاً الكتابة للأطفال طيلة سنوات حياته، التي أصدر خلالها عشرات الكتب، استمدَّ موضوعات أغلبها من التراث العربي والعالمي، وأثرى بها المكتبة العربية أيّما إثراء. ومن السلاسل الشهيرة التي أصدرها للأطفال: قصص رياض الأطفال، حكايات الأطفال، قصص فكاهية، قصص من ألف ليلة وليلة، قصص هندية، قصص علمية، قصص شكسبير، قصص عربية، أشهر القصص، أساطير العالم، من حياة الرسول.. وغيرها. عُرف الكيلاني بأسلوبه القصصي السهل البسيط والأخّاذ الممتع في نفس الوقت، والذي مزج فيه بين التسلية والفائدة. كما وصفت لغته بالسليمة والرشيقة، فكانت جمله قصيرة، وألفاظه مكرَّرة، وكان يدأب على شرح الصعبة منها. كما حرص على ربط محتوى قصصه بالصور المعبِّرة الموضِّحة.

ومن الأسماء العربية التي اشتهرت بكتابة قصص الأطفال، في تاريخه الحديث:

- «محمد عطية الأبراشي»: الذي بلغ مجموع ما نشره بين عامي (١٩٦٠-١٩٧٠) أكثر من مئة كتاب، بين مؤلف ومترجم. وقد نوَّع في مضامين قصصه بين الخيالية والواقعية والاجتماعية والعلمية، وغيرها. ومما أصدره الكاتب (المكتبة الحديثة للأطفال) عن "دار المعارف بمصر"، وهي سلسلة متنوِّعة من


كامل كيلاني

القصص، توجَّهت المجموعة الأولى منها لتلاميذ سنِّ الثامنة فأكثر، من قصصها: (يوم سعيد، الأميرة الحسناء، الحمامة النبيلة). وتناولت المجموعة الثانية تلاميذ سنِّ العاشرة فأكثر، ومن قصصها: (الفارس النبيل، الفيلسوف الزاهد، الفقير النبيل). إلا أن كثيراً منها بدت أقرب إلى نصوص حكمة وإرشاد، منها إلى قصة الأطفال بمفهومها الحديث.

- «يعقوب الشاروني»: الذي بدأ مسيرته الإبداعية للأطفال حوالي ١٩٧٥، وكتب مجموعة كبيرة من المؤلفات القيِّمة التي ضمَّت مئات القصص. إضافة للدراسات والأبحاث حول كتاب الأطفال، والكتابة لهم، وحول موضوعات شتى في ثقافة الطفل. من المشاريع التي قدَّمها الشاروني موسوعة "ألف حكاية وحكاية"، وموسوعة "العالم بين يديك"، و"أجمل الحكايات الشعبية"، وغيرها.

- الكاتب القصصي والباحث «عبد التواب يوسف»، الذي يعدُّ أبرز كتّاب أدب الأطفال العرب المعاصرين، وصاحب الأرقام القياسية في الإنتاج الأدبي، حيث وضع مئات الكتب في أدب الأطفال، تجاوزت عدد نسخها الملايين.

- القاصّ السوري «زكريا تامر» مؤلِّف المجموعتين الشهيرتين: "لماذا سكت النهر" ١٩٧٣، و"قالت الوردة للسنونو" ١٩٧٨، توجَّه بهما للأطفال توجُّهاً جادّاً ومبدعاً.

الهوامش:

١) الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٤١٤، عنوان البحث: "بدايات قصة الأطفال في سورية" محمد قرانيا، ص ٥٦/ عن "سمر روحي الفيصل" الشكل الفني لقصة الطفل في سورية، الموقف الأدبي، العدد ٢٠٨ عام ١٩٨٨

٢) الأسبوع الأدبي، جريدة أسبوعية تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن، تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق. العدد ١١٠٥ تاريخ ٢٠٠٨/٥/٣١ عنوان البحث: "قصة الأطفال في كتب المدرسة الابتدائية السورية"

٣) سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٢٣ مارس/ آذار ١٩٨٨ "ثقافة الأطفال"، تأليف د. هادي نعمان الهيتي، ص ١٧٢
٤) أدب الطفل في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، عام ١٤١٩هـ، تأليف د. نجيب الكيلاني
٥) سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٣، مصدر سابق، ص ١٧٣
٦) المصدر السابق، ص ١٧٣
٧) سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٣، مصدر سابق، ص ١٧٣
٨) الموقف الأدبي، العدد ٤٠٠، آب/ أغسطس ٢٠٠٤، عنوان البحث: "قصة الأطفال في سورية في التسعينيات.. الشخصيّة في القصة الطفليّة" ص ٥١
٩) المصدر السابق، عنوان البحث: "أساليب التشويق في القصة الطفلية السورية في العقد الأخير من القرن العشرين" ص ٤٦
١٠) سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٣، مصدر سابق، ص ١٧٣
١١) المصدر السابق، ص ١٧٢
١٢) كتاب العربي الشهري، الكتاب /٥٠/ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢ "ثقافة الطفل العربي" مجموعة من الكتّاب، عنوان البحث: "مشكلات الكتابة للطفل العربي" ص ٤٧
١٣) في أدب الأطفال.. دراسة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق ١٩٩٤، ص ١٦
١٤) بناة الأجيال، مجلة فصلية تربوية ثقافية، تصدر بإشراف المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين في سوريا. العدد ٥٤ شتاء ٢٠٠٥، عنوان البحث: "قصص الأطفال وأهميتها" ص ٣٧
١٥) مجلة "الجندي المسلم" العدد ١٢٠ عام ٢٠٠٥، عنوان البحث: "مدخل إلى مصطلحات أدب الأطفال وثقافتهم"
١٦) سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٣، مصدر سابق، ص ١٧٥
١٧) المصدر السابق، ص ١٧٧
١٨) المصدر السابق، ص /١٦٣- ١٦٥/

السيرة الذاتية

- عبد المجيد إبراهيم قاسم
- مواليد مدينة الحسكة بسوريا، عام ١٩٧٣
- حاصل على الإجازة في التربية.
- يعمل في التعليم.
- يكتب الشعر منذ عام ١٩٩٢، صدر له مجموعة شعرية بعنوان "حنين في الذاكرة" عام ٢٠٠٣، وله أكثر من مخطوط شعري.
- يكتب المقالة الأدبية، وله دراسات عدّة تتعلّق بثقافة وأدب الأطفال.
- عمل في بعض مجلات الأطفال العربية.
- مدير مكتب مجلة (عالم الصحة) الشهرية" التي تعنى بالثقافة الصحية لعام ٢٠٠٧
- حاصل على بعض الجوائز الأدبية والصحافية.
- ينشرُ في عدد من الدوريّات والمواقع الإلكترونية الثقافية العربية والكورديّة.
- عضو (إتحاد الكتّاب الكُورد).
- عضو مؤسِّس في (تجمع المعلّمين الكورد في سوريا).
- رئيس تحرير مجلة (زانا) للأطفال، التي تصدر عن (تجمع المعلّمين الكُورد في سوريا).



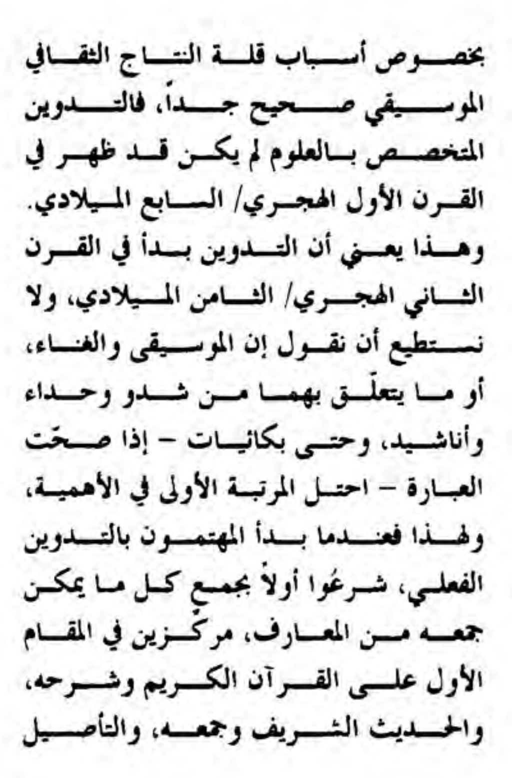
حوار
في الموسيقى العربية

لقاء مع الدكتور
جزيل عبدالجبار الجومرد

أجرى اللقاء: نبيل فتحي حسين

*** بماذا تفسرون عدم وجود مؤلفات موسيقية ترجع إلى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي.. صحيح أن مدرسة شراح الفلسفة الإغريقية بدأ نتاجها في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولكن المدرسة العربية القديمة كانت موجودة منذ القرن الأول.. هل يعود ذلك إلى مسألة أن القرن الأول كان – بوجه عام – يفتقر إلى وجود مؤلفات في مختلف العلوم، وليس في الموسيقى فقط؟ أم أن المدرسة العربية القديمة كانت في مرحلة التشكل، وقد أفرزت نتاجها الثقافي – على ضآلته – في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي؟**

الدكتور جزيل: إن ما تفضلت به



بخصوص أسباب قلة النتاج الثقافي الموسيقي صحيح جداً، فالتدوين المتخصص بالعلوم لم يكن قد ظهر في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. وهذا يعني أن التدوين بدأ في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ولا نستطيع أن نقول إن الموسيقى والغناء، أو ما يتعلّق بهما من شدو وحداء وأناشيد، وحتى بكائيات – إذا صحّت العبارة – احتل المرتبة الأولى في الأهمية، ولهذا فعندما بدأ المهتمون بالتدوين الفعلي، شرعُوا أولاً بجمع كل ما يمكن جمعه من المعارف، مركِّزين في المقام الأول على القرآن الكريم وشرحه، والحديث الشريف وجمعه، والتأصيل

والتجذير لقواعد اللغة العربية، ثم أخذوا - بعد ذلك - ما يتعلق بألفاظ النبات، والحيوان، والخليقة، والإنسان وخُلقه وخَلقه. وهذا جرى بوساطةِ أقلام اللغويين والنحويين المبكرين، كالأصمعي وغيره، ممن عاشوا في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ولم نجد بين هؤلاء اللغويين والنحويين من اهتمَّ بالأغاني، أو الأناشيد، أو أشياء من هذا القبيل، ربما لأنها كانت من "الفولكلور" السائد الرائج بين الناس، وليست موضوعاً للجمع أو التأليف، وهذا ليس غريباً.

ثم إنني لا أرى أن ما ذهب إليه المستشرق (فارمر)، حول وجود مدرسةٍ عربيةٍ مبكرةٍ، ذات امتداداتٍ وتكويناتٍ كبيرة، صحيحاً بالضرورة. فما كان موجوداً هو الغناء والحدو والغناء الشعري، وربما بعض التراتيل، التي نفذت إلى شبه الجزيرة العربية، عن طريق المحيط الديني اليهودي مثلاً. ولقد كان للعرب - دون شك - أهازيج وهلاهل - كما كانت تسمَّى - وهذه جميعاً لم تُصبح موضوعاً للتأليف.

ولكن مع قيام الخلافة الأموية، وبداية النزوع إلى الاستمتاع بالحياة الاجتماعية، وابتعاد الخلفاء الأمويين عن مظاهر الحياة القاسية، التي كان الخلفاء الراشدون قد أخذوها على أنفسهم، وانصراف بعض الخلفاء الأمويين للبحث عن الدعة والسرور، والخروج إلى قصورهم الصحراوية، وإقامة ليالي الأنس والطرب فيها، ظهرت - بدون شك - فكرة جمع الأغاني. ولكن دخول الثقافة الإغريقية حيز الترجمة، ثم حيز التبادل والتداول في المجتمع الثقافي، أدى - دونما شك - إلى ظهور الحاجة إلى ترجمة الموروث النظري الموسيقي اليوناني وغيره، وذلك كرد فعل - كما حصل في العلوم الأخرى - حيث أدى الاهتمام بالعلوم الإغريقية، وترجمتها، إلى ظهور نوع من التوجه نحو تدوين الثقافة الخاصة، ثقافة (الأنا)، سواء أكانت عربية أو فارسية أو تركية. وفي كل المعارف، عندما دخلت الثقافة اليونانية، أو الثقافة الفارسية، وأقصد هنا الثقافة العلمية، وليس فقط الثقافة العامة أو الشفهية، تولّد في المقابل إحساس بالهُوية لدى العرب والمسلمين، وبدأوا بجمع المعارف المختلفة، ليس فقط اللغة والتفسير، وإنما الأناشيد والأغاني أيضاً. ولهذا فإن كتب (إسحاق الموصلي)، أو حتى كتاب "الأغاني" الشهير لأبي الفرج الأصفهاني، احتاجت فعلاً إلى

وقت ليس بالقصير حتى تظهر، وذلك عندما ساد نوع من الترف في الأوساط السياسية العباسية، وازدهرت بلاطات الخلفاء والأمراء، وأصبح هناك ميل إلى الدعة، وهذا ما أدى - بلا ريب - إلى نوع من الاهتمام بالموسيقى، كأيِّ موضوع معرفي.

وأنا لا أعتقد أنه قد بُذل في الموسيقى القَدْر نفسه من الاهتمام الذي بُذل في العلوم الأخرى، ولو استثنينا (الكندي) و(الفارابي)، فربما لا نجد الكثير من النتاج الذي يستحق الوقوف عنده. وهذان العالمان - ونحن نعرف أن أولهما عربي، وثانيهما تركي أو فارسي - لولا اتصالهما الحميم بالثقافة اليونانية، ربما لما كانا قد أبدعا في التأليف الموسيقي، حيث وجدا أن الموسيقى جزءٌ مهم من الثقافة اليونانية، وأنها حَرِيَّةٌ بالالتفات إليها، ولهذا عنوا بها. ولكن - دون شك - حتى مع امتداد العصور اللاحقة، لم نَرَ إطلاقاً عصراً اكتنزت فيه كتب المعرفة الموسيقية بشكل كبير، بل ظلَّتِ الموسيقى مسألةً شعبية، ربّما في الأغلب الأعم، أكثر مِمّا هي مسألة علمية.

الكندي

*** نحن نعلم أن هناك صلاتٍ بين النحو واللغة من جهة، والموسيقى من جهة أخرى، بحكم وجُود موضوعاتٍ مشتركة، كالنغم والإيقاع مثلاً... ولكن عندما يؤلف عالم كـ(الفراهيدي) - على الرغم من أن ما ألَّفه لم يَصِلْنا - كتابين في النغم والإيقاع، فهل يعني هذا أن ما كتبه يدخل ضمن الموسيقى، أم أنه يعالج قضايا في النحو واللغة، تدخل ضمن تخصُّص الموسيقيين أيضاً؟ أنا أرى أن ذلك أمر على قَدْرٍ كبيرٍ من الأهمية،**

لأنه يمكن أن يلغي اسم الفراهيدي كمؤلف في الموسيقى؟

الدكتور جزيل: ما أعتقدهُ هنا - وهذا جواب يمكن أن يكون سريعاً بعض الشيء، وربما يحتاجُ هذا الموضوع إلى بحث وتنقيب وتأكد، قبل أن ندلي برأينا فيه - أن أوجُهَ المعرفة لم تكن في عصر (الفراهيدي)، وفي إطار عمله، متباعدة عن بعضها، بل ربما كانت متداخلة أو متلابسة مع بعضها، وربما تكون هي نفسها في بعض الأحيان، فـ(الفراهيدي)، ومعاصره (ابن يونس)، وتلامذته كـ(سيبويه)، وغيره، اهتموا بعلم الصوت مثلاً، كما اهتموا بجرس اللغة، ولكن هذا لا يعني أن الموسيقى - في ذلك الوقت - كانت قد انفصلت، كمجال معرفيّ له حدوده التي تفصله عن بقيةِ جوانب المعرفة. الصوت - بحسبانه صوتاً - هو عنصر في الموسيقى والغناء والشعر والنثر والنحو والإعراب واللغة والقراءة القرآنية... إلخ، فالصوتُ إذا بدأنا به كموضوع للدرس، سوف ندخل من خلاله إلى جميع هذه المعارف، وسنجدها متلاقيةً مع بعض، أما عندما تطور الأمر باتجاه دراسة الصوت كمكوِّن في إطار الموسيقى، من حيث كونها أنغاماً وتأليفاتٍ ورياضيات، وبالتالي مسافات وقياسات وإيقاعات، فإن ذلك سوف يخرج بالصوت - بطبيعة الحال - من إطاره النحوي والإعرابي والقرائي القرآني إلى مجالات معرفية أخرى. ولهذا فأنا أعتقد أن (الفراهيدي) كان يمثل عالماً في حينه، في عصر لم تكن العلوم فيه قد غادرت بعضها مغادرة شاسعة، لا بل إنها كانت لا زالت

متقاربة من بعضها، بل متآلفة، وأكثر من ذلك، بل ربما هي هي، ولكنها ما لبثت أن انفصلت عن بعضها فيما بعد. وهذا يعني أنه في عصر (الفراهيدي) كانت علوم: الصوت واللحن والموسيقى والقراءات والإعراب والشعر وإيقاع الشعر والقافية، كلها متداخلة مع بعضها، ولذلك فليس غريباً أن يتحدَّث (الفراهيدي) في مسائل الصوت كموسيقى، ويتحدَّث عنها في مسائل الشعر، كإيقاع وقافية وجَرْس موسيقي.

***عندما نقرأ في كتاب "الفِهْرست" للنديم، نجد أنه يذكر لنا عناوين كتب في الفلسفة - ككتب أرسطو مثلاً - ويُقدِّم قوائم بأسماء مترجميها وشراحها ومختصريها، وهذا يعني وجود عدد كبير من العلماء، مِمَّن اهتموا بنتاجات معينة، أو اهتموا أحياناً بنتاجٍ واحدٍ فقط، لكننا لا نجد مثل ذلك الاهتمام في الموسيقى... بماذا تفسرون ذلك؟**

الدكتور جزيل: لا شك أن الموسيقى، كعلم مُنفرد منفصل مدروس، لم يُتداول بكثرة - كما رأينا في الحضارة الإسلامية - سوى من قبل (الكندي) و(السرخسي) و(ثابت بن قرة) و(الفارابي). وكون (الفارابي) قد أنتج هذا الجم الكبير من المعرفة في إطار عمله الرائع "كتاب الموسيقى الكبير"، ربما يكون أيضاً قد سدَّ الأبواب نظرياً على مَنْ تلاه، لأنه استوفى عمله في كتابه، ونحن نعلمُ أنه في التراث العربي الإسلامي عندما يقال إن عالماً ما استوفى عمله في كتابه، فهذا يعني أنه سوف تُغلق الأبواب لمدةٍ من الزمن أمام ذلك الموضوع، فضلاً عن الكتابةِ فيه،

إلى أن تستجدَّ نظرياتٌ أو رُؤى أو طروحات فكرية مُخالفة. فنتاج (الكندي) و(الفارابي)، الذي راج رواجاً كبيراً، ربما أقفل الأبواب أمام بعض التأليفات أو الاهتمامات. ومع ذلك، فقد بقي طرح الموسيقى موجوداً في ثنايا كتب أُخرى، وفي خضمِّ الحديث عن موضوعات أُخرى: ثقافية، أو فنية، أو معرفية. وفعلاً وجدنا الموسيقى كثيراً - بعد عصر الكندي والفارابي - وقد بُحث أمرُها في معيَّةِ علوم أُخرى، أكثر مِمّا هي علم قائم بذاته، كما حدث في "مفاتيح العلوم" للخوارزمي.

وهناك شيء آخر، هو أن الموسيقى كانت - ولا تزال - تمثل مسألة شعبية فلكلورية، وهذا يعني أنها عندما تتحوَّل إلى مسألة معرفية، نجد أن الاهتمام بها - كجانب معرفي - ربما لا يرقى، من حيث الكثرة، إلى مستوى عال، ونحن الآن - على سبيل المثال - نجد أن من كتب في المقامات - مثلاً - قليلٌ جداً، مقارنة بمن كتب في الفلسفة. هكذا الأمر بالنسبة للموسيقى، فعدد من كتب فيها قليل جداً.

*** بماذا تفسرون تراجع المدرسة العربية القديمة عن الكتابة الموسيقية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، في مقابل بروز مدرسة شرّاح الفلسفة الإغريقية؟**

الدكتور جزيل: أنا أعتقد، مرة ثانية، أن الموسيقى هي هم شعبي "فولكلوري"، أكثر مِمّا هي هم علمي معرفي رياضي منطقي... إلخ، وأرى أن ما أنجزه (الفراهيدي)، وأمثاله، لم يزد على هذا العدد، ولم يقل كثيراً، في الأجيال اللاحقة. ولا يعني هذا أن التوجُّه إلى الموسيقى النظرية اليونانية منع، أو كبت، أداء المدرسة العربية القديمة، وأظن أن الباب ظلَّ مفتوحاً أمامها، لو أرادت أن تنجز، أو لو كان هناك من يهتم بهذا الأمر، ضمن ممثليها. ومع هذا فربما سحبت دواوين الشعر المختلفة، وكتب البلاغة - وخروجها إلى مسائل البلاغة المفرطة في التفصيل والتخصيص - عن الموسيقى شيئاً من اهتماماتها، مثل: الصوت، والنغم، والقراءة، واللكنة، وجَرْس اللفظ. ولا أعتقد - مرة أخرى - أن هناك أمور أحبطتها، ولا ننسى أنه ربما في الإسلام أيضاً، وبحكم الوازع الديني، لم تُشجع كثيراً مسألة الاهتمام بالموسيقى - كعلم - فيما حظيت بالاهتمام الأكبر موضوعات أُخرى، كالقرآن والحديث.

*** كيف تقرأون بقاء الاهتمام ببعض الموضوعات التي كانت أول ما طرقه**

مؤلفو الكتب الموسيقية، وتحديداً النغم والإيقاع؟

الدكتور جزيل: إن هذا الاهتمام يعني - بلا شك - أنه قد تأسّس لما هو مهم في مسائل النغمة، أو في مسائل الصوت الموسيقي، أو الصوت الذي ينتظم في إطار عمل فني، وهذا يعني أن الأساسيات بقيت موجودة كأساسيات، ثم حصل تطور في حقول جديدة، هي: الشروح، والترجمات، والتآليف في الموسيقى النظرية، والآلات الموسيقية. وقد دخلت - دون شك - آلاتٌ موسيقية كثيرة على المجتمع المسلم. ولا ننسى أن الكثير من الآلات هي آلات شعبية، فالفُرْس - مثلاً - لهم أدواتٌ كثيرة دخلت إطار الأداء الموسيقي، ولم يكتب لها الكثير من الدوام والاستمرار.

جدير ذكره، أنني أتذكر إلى اليوم مهرجان العالم الإسلامي، الذي عُقد في لندن سنة ١٩٧٤، وكان هذا أعظم مهرجان جمع ما يمكن جمعه من التراث الموسيقي في البلاد الإسلامية، وصدر عنه كتب وأسطوانات عديدة.

وهنالك العديد من الآلات لم نسمع بها في عموم الجغرافية الإسلامية، والكثير منها محلية قديمة، وبقيت محلية، وهناك بعض الآلات راجت رواجاً عاماً، كالعود، والقانون، الذي يقال إن الفارابي كان أول من ابتكره. وهنالك آلات موسيقية لم تغادر إلى اليوم أماكنها الجغرافية الضيِّقة، باتجاه أماكن جغرافية إسلامية أخرى، فـ(البُزُق) شاع في المنطقة الكوردية، نتيجة للتواصُل الكوردي التركي في شمال العراق، ولكن الأوساط العربية لا يروق لها (البُزُق)، وإنما هي تفضل (العود). كما أن (الربابة) لا رواج لها في المناطق الكوردية، رغم أن هذه شعوب تعايشت مع بعضها، ولكنها ظلّت محتفظة بإقليميَّة أو محليَّة بعض الآلات، على ما تصنعه من مُتعة للسَّامع، ونحن مثلاً نستمتع بالموسيقى التركية والفارسية، ولكننا لا نقتنيها بالضرورة.

*** لماذا جاء اهتمام المغاربة والأندلسيين بالكتابة الموسيقية متأخراً، مقارنة بالمشارقة، علماً أن رجلاً كـ(زرياب) - مثلاً - ترك المشرق منذ فترة مبكرة، وعاش في (الأندلس)، وذاع صيته فيها كموسيقار كبير؟**

الدكتور جزيل: أنا لا أعتقد أن الموسيقى لم ترج في (الأندلس)، وإنما هي راجت رواجاً كبيراً، وهناك أدلة كثيرة مادية ونصية على ذلك، وهناك أيضاً إشارات كثيرة إلى النتاج الأدائي

للموسيقى في (الأندلس)، كما أن هناك محاولات من قبل بعض الأساتذة الإسبان لإعادة بناء هيئة الموسيقى الأندلسية. والموسيقى رافقت الشعر مرافقة كبيرة جداً، كما لم ترافقه في أي مكان آخر في العالم الإسلامي، فهي رافقت الموشحات والأناشيد التي تسمى بـ"التروبادورز"، والتي هي في الأساس ربما عربية إسلامية، وربما ذات جذور قوطية إلى حد ما، ولكنها شاعت في الأندلس وانتشرت في أوروبا. ولا ننسى أيضاً دور بعض العناصر التي كانت تنقل الموسيقى هنا وهناك، كالغجر الذين نقلوا حتى الآلات الموسيقية. ولهذا فأنا لا أعتقد أن الموسيقى في الأندلس كانت خافية خابية، ربما التأليف فيها جاء متأخراً، وربما استقطب (زرياب) مُجمل الأضواء، أكثر مِمَّا ينبغي، قياساً إلى غيره، و(زرياب) تحول إلى أُسطورة، كما تحوَّل (عباس بن فرناس) إلى أُسطورة، حيث أن الأندلسيين قدَّموا إلى المجتمعات الإسلامية عموماً أساطير أُحادية، فنحن نعلمُ أنه عندما نتحدَّث عن فلسفة (ابن رشد) يختفي الباقون، وعندما نتحدث عن موسيقى (زرياب) يختفي الآخرون، وعندما نتحدث عن طب (ابن زهر) يختفي غيره. ويبدو لي أن هذه هي طبيعة المشهد الوصفي الأندلسي، وهي أن تبرز قامات كثيرة تظلل ما عداها. نعم ربما تأخر النتاج الثقافي الموسيقي الإندلسي، إلى أن تبلورت أصول ثقافية في مكان أكثر خصوبة وفراغاً مِمّا كان عليه في المشرق، الذي كان أكثر امتلاءً من الناحية الثقافية ❑

زرياب

شعر

رسالة إلى البيت القديم



الدكتور وليد الصراف

✍ يا بيتُ كَمْ قَصَصٍ بالأمسِ فِيكَ جَرَتْ

والَيوْمَ هَا أَنتَ تَغدُو قِصَّةً تُرْوَى

قد أوهَنَ الدَّهرُ مِنكَ العَظْمَ واشتَعَلَتْ

شَيْباً زرُوعُكَ، والغصنّ الألى تهوى

تجعّد الحائِطُ العالي، وشرفته،

غضُونُها، كَمُسِنّ بَاحَ بالشَّكْوَى

والشّمْسُ جَارَتْ عَلَى ظِلٍّ بهِ قِطَطٌ

مِنها استجارَتْ، فكان الأَمْنَ والْمَأْوَى

والعَنكَبوتُ بَنَتْ حَيْثُ الحَمَامُ بَنَى

في كُوّةٍ، لَوْ رَآها قَادِمٌ يُكْوَى

طَارَ الْحَمَامُ لِغُصْنِ الذكْرَيَاتِ، ومَا

يَزالُ يُرْسِلُ – هَلْ تُصغِي لَهُ؟ – الشَّجْوا

هَا أَنتَ مِثلِي مَهْجُورٌ ومُطّرَحٌ

ولا عَزَاءَ سِوَى الْمَاضِي وَلا سَلْوَى

والْحَرْبُ في اللّيْلِ تُزجِي نَارَهَا حِمَماً

فَاذْكُرْ صِبَاكَ، تَكُنْ مِنْ عَصْفِهَا أقوى □

إصدارات حديثة



*صدر عن دار (التوزيع والنشر) في (مصر)، كتاب الدكتور (محسن عبد الحميد): نظرات في آيات القرآن الكريم، وهو في (٢٧٢) صفحة من القطع الكبير.. صدرت الطبعة الأولى منه في٢٠١٣.



*كتاب الأستاذ (سعد سعيد الديوه جي): هل حقا سيعود المسيح؟، صدر حديثا عن (الدار العربية للموسوعات) بـ(لبنان)، في (٢٤٨) صفحة من القطع الكبير.. الطبعة الأولى في ٢٠١٤.



- يهود كوردستان ورؤسائهم القبليون   عرض: د. فرست مرعي

يهود كوردستان ورؤسائهم القبليون (دراسة تحليلية نقدية)

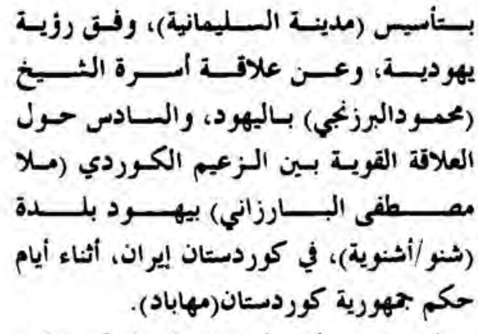
د.فرست مرعي

صدر للباحث الأمريكي اليهودي (مردخاي زاكن) كتاب بعنوان (يهود كوردستان ورؤسائهم القبليون)، ترجمة الدكتورة (سعاد محمد خضر)، ومراجعة الدكتور (عبدالفتاح علي يحيى)، والدكتور (فرست مرعي إسماعيل).

والكتاب يتكون من ٤٩٧ صفحة، من منشورات (مؤسسة زين) في (السليمانية)، لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكوردي.

يتألف الكتاب من مقدمة المترجمة، ومقدمة المؤلف، واستهلال بمثابة تمهيد، يضم بين ثناياه: خلفية تاريخية، الأرض والناس، وضع اليهود في القرون الماضية، فضلاً عن أربعة أجزاء، وملاحظات ختامية، ومقابلات(ميدانية) غير منشورة مع (٦١) شخصية، من يهود كوردستان، الطاعنين في السن، الذين هاجروا من كوردستان إلى فلسطين، ومقابلات شفهية غير منشورة مع الكورد اليهود، محفوظة في قسم التاريخ الشفاهي في (معهد الدراسات العبرية)، في الجامعة العبرية في القدس(=أورشليم).

يتكون الجزء الأول من خمسة فصول، يتعلق الفصل الأول بـ(يهود زاخو)، وعلاقتهم بـ(أسرة شمدين)، وغيرها من أسر أغوات المنطقة. والثاني حول (يهود عقرة)، والثالث حول علاقة (يهود دهوك) بأسر الأغوات والشيوخ، والرابع بعلاقة اليهود بأغوات وموظفي (العمادية)، والخامس



بتأسيس (مدينة السليمانية)، وفق رؤية يهودية، وعن علاقة أسرة الشيخ (محمودالبرزنجي) باليهود، والسادس حول العلاقة القوية بين الزعيم الكوردي (ملا مصطفى البارزاني) بيهود بلدة (شنو/أشنوية)، في كوردستان إيران، أثناء أيام حكم جمهورية كوردستان(مهاباد).

فيما يضم الجزء الثاني فصلين فقط، يتعلق الفصل الأول بتجربة اليهود في ريف كوردستان، من خلال تجربة قرية (صندور) اليهودية، كنموذج للتعايش اليهودي-الكوردي، من خلال مدى حماية الأغوات ليهود قبائلهم، ومدى إخلاص اليهود لرؤسائهم تبعا للحماية، فضلاً عن التطرق إلى التجمعات اليهودية القبلية وغير القبلية.

بينما يؤلف الجزء الثالث: (بعض مظاهر الحياة اليومية والخاصة)، ثلاثة فصول، يتعلق الفصل الأول بأوضاع اليهود في كوردستان، من حيث الأمان، وتداعياته، من حيث الهجرة، ومقتل اليهود في المشهد القبلي، تبعاً للثارات القبلية. وفي الفصل الثاني، توفر على الوضع الاقتصادي لليهود، ما قبل القرن العشرين، بجانب المهن الرئيسية لليهود. أما الفصل الثالث، فخصص لاعتناق اليهود للإسلام، والأسباب الموجبة لذلك، والآليات التي اتخذها اليهود لإفشال التحول إلى عقيدة أخرى غير عقيدة التوراة، فضلا عن بيان دور الشيوخ (شيوخ الطرق الصوفية



القادرية والنقشبندية)، وعلماء الدين الإسلامي(=الملالي)، والأغوات، في تلك العملية.

وفي الجزء الرابع والأخير، المتعلق بـ(آخر الأجيال في كوردستان، ما بين الحرب العالمية الأولى، والهجرة إلى إسرائيل خلال سنوات ١٩٤٨-١٩٥١م)، يتوفر على ثلاثة فصول: الأول يتعلق بالخبرة الحياتية اليومية، في سنوات الحرب العالمية الأولى، من خلال الهروب من الخدمة العسكرية، والهجرة بسبب العمل القسري، والسخرة، وشحة المؤن. والفصل الثاني، يتعلق بسنوات نهاية الحرب، وما تلاها. والثالث يتضمن علاقة اليهود بكل من الكورد والعرب، خلال سنوات ١٩٤١-١٩٥١م، من خلال آثار مذبحة الفرهود، التي لحقت بيهود بغداد، بعيد فشل ثورة (رشيد عالي الكيلاني)، ورفاقه

الضباط الأربعة، في حزيران سنة ١٩٤١م، فضلا عن الآثار المترتبة على إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٥مايس/أيار ١٩٤٨م، وما تلاه من ملاحقة اليهود، وسجنهم، بتهمة العمالة للحركة الصهيونية، ولدولة إسرائيل، بجانب الضغوط الاقتصادية على اليهود، قبل هجرتهم إلى فلسطين، من خلال شراء دورهم ومقتنياتهم بأثمان بخسة.

في استهلال الكتاب، أو التمهيد له، يذكر الكاتب ما نصه: " لم يعد هناك وجود لكوردستان المذكورة في كتابي هذا. هاجر الكورد اليهود إلى إسرائيل، كما هاجر كثيرون من الآثوريين المسيحيين إلى العديد من الدول الغربية، في حين يعيش الكورد المسلمون في خضم الجيشان والثورات والحروب التي غيرت خارطة كوردستان".

في الخلفية التاريخية تطرق الباحث إلى لفظة الكورد وكوردستان، التي وردت في المصادر القديمة من السومرية والآشورية والإغريقية واللاتينية، وفي إشارته إلى المصادر الآرامية على أنها ذكرت (بيت الكورد وكوردستان)، في إشارة إلى (بيث قوردايا)، ولكنه جانب الصواب في تطرق الكتاب المقدس، وبالتحديد(الإنجيل)، إلى (جبال آرارات) على أنها جبال الكورد وكوردستان، والصحيح أن (التوراة) هي التي ذكرت الجبال المذكورة، ولكن تم تعريفها في ترجمة " أونكيلوس" الآرامية، في القرن الرابع


الدكتورة سعاد محمد خضر

الميلادي، على أنها (جبال الكورد وكوردستان)، وعلى الشاكلة نفسها قدم (التلمود)، في القرن السادس الميلادي، إشارات قليلة أخرى للكورد والكورديين.

وبشأن عدد اليهود الكورد، فإن (زاكن) يقدر عددهم، قبيل هجرتهم الجماعية إلى فلسطين (إسرائيل)، في الأعوام (١٩٥١-١٩٥٢م)، بحوالي خمسة وعشرين ألف نسمة، يتوزعون على مائتي قرية، والعديد من المدن والقصبات. وفي الوقت نفسه، كان هناك ما يقارب عشرون ألف نسمة، على الأكثر، من أصل كوردي، يقيمون في إسرائيل (نقلاً عن مارتن بروينسن-١٩٧٨م)، وغالبية هؤلاء اليهود قدموا من كوردستان العراق، وكانوا متواجدين في مناطق: الموصل، زاخو، دهوك، عمادية، زيبار، كما كانوا يقيمون في مناطق: كركوك،

أربيل، السليمانية. ويركز كتابنا الحالي على اليهود الذين عاشوا شمال نهر الزاب الكبير، وشرق نهر دجلة، فضلا عن كورد السليمانية.

موقف اليهود من شيوخ وآغوات كوردستان

في مسحه لخمسة مناطق كوردية، وهي: زاخو، ودهوك، والعمادية، وشنو، والسليمانية، يتطرق (زاكن) - نقلا عن رواته من اليهود- إلى أن هناك بعض الآغوات، وشيوخ الطرق الصوفية، وبعض علماء الدين، كانوا يضطهدون اليهود، ويعتدون عليهم، من ناحية أخذ أموالهم، واتخاذهم عمالاً للسخرة، على أساس أنهم كانوا أشبه بالعبيد لدى آغوات القبائل، ويأتي بأمثلة مباشرة، مع ذكر الأسماء بكل دقة، في الوقت الذي يشيد بآخرين من تلك الطبقات، مع الإشارة إلى الأسماء، وتوقيت الحوادث.

ففي (قضاء زاخو)، التي كانت أولى محطاته، على أساس أن أصوله العرقية ترجع إليها، وينقل عن أحد رواته، وهو المعلم (ليفي)، واستناداً إلى رواية شفوية:" فإن رجال قبيلة سليفاني قد شيدوا مدينة زاخو، وتقع أراضيهم جنوب المدينة، وأقامت أسرة شمدين آغا في زاخو، وتعود أصولها إلى قبيلة سليفاني".

وفي معرض الإشارة إلى شخصيات وأغوات زاخو، نراه يشيد بأسرة (شمدين آغا)، ويكيل المدح إلى غالبية أبناء هذه الأسرة القوية، والغنية، في تلك الحقبة، من منتصف القرن التاسع عشر، لغاية منتصف القرن العشرين، بعيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ووفاة الشخصية المعروفة (حازم بك) عام ١٩٥٤م. "ومع نهايات القرن التاسع عشر فما فوق، سيطرت أسرة شمدين على جميع المسلمين واليهود والمسيحيين في زاخو وضواحيها، وكان (عاصف بك) أول شخصية اشتهرت من الأسرة، وأصبح ابنه (حازم بك) (١٨٩٥-١٩٥٤م) أقوى رجل في زاخو، وكان أكثر الناس ثراءً في المنطقة، كما كان رجل أعمال يمتلك مائة حانوت في زاخو، إلى جانب الأراضي الشاسعة التي يمتلكها خارج المدينة، وكان سياسياً مرموقاً، فكان مندوباً لمرات عديدة، عضواً في البرلمان، وفي مجلس الأعيان(=مجلس الشيوخ العراقي)، كما كان وزيرا بلا وزارة، فترة قصيرة من الزمان في الحكومة العراقية. وكان أعمامه، وأولاد أعمامه، رجالاً متنفذين كذلك. وكان عمه (محمد آغا) عمدة زاخو، وعضواً في البرلمان، حتى وفاته عام ١٩٢٣-١٩٢٤م، في حادث سقوط طائرة، واحتل ابنه (حجي آغا) مكانه عمدة للمدينة. وهناك ابن عم آخر لحازم بك وحاجي آغا وهو: عبدالكريم آغا بن حجي رشيد بك، ولم يكن عبدالكريم آغا يتمتع بنفوذ رسمي، كغيره من أعضاء

الأسرة، ولكنه كان "أفضل آغا" يقدره مجتمع زاخو اليهودي...".

وفي الإشارة إلى احترام آغوات زاخو للشخصيات اليهودية، يقول المؤلف :" فقد كان (حازم بك) يقف احتراما لـ"موشي كاباي"، مختار زاخو الشري، كما كان (عبد الكريم آغا) ينادي "مردداخ ميرو زاكن"(=أحد أفراد أسرة المؤلف) بكلمة "خالو"، لأن خاله في الواقع "جميل آغا" رئيس آغوات السندي، كان يوفر له الحماية والرعاية".

وبخصوص عدد قرى قبائل (السندي) و(الكولي) و(السليفاني)، يقول: بأن قبيلة كولي تمتلك ثماني قرى، وسندي اثنتي عشرة قرية، وسليفاني أربع عشرة قرية، وهذا خطأ، لأن هذه العشائر المذكورة تمتلك أكثر مما ذكر بكثير.

وبشأن آغاوات قبيلة سندي، الذين كانوا يقيمون في منطقة (كلي بس آغاية) :" فقد كانوا الأسياد القبليين لمعظم يهود زاخو، وأكثرهم تجار، أو باعة متجولون، ينتقلون في مناطق سيادتهم. وكان الآغوات خلال الأجيال الأربعة الأخيرة: آقوب (يعقوب آغا)، وولده" عبدي آغا "، وابني عبدي آغا: جميل آغا، وصالح آغا(توفي عام ١٩٤٥م)، وأبناء " جميل آغا ": عبدي آغا ، وبشار آغا. وقد منحت قبيلة سندي حمايتها للكثيرين من اليهود".



وكان مقر (جميل آغا) يقع في قرية (دار هوزان)، شمال غرب (زاخو)، ولكنه كان يقضي الصيف في (صاركى)، أو في قرية (مارسيس)، في الجبال القريبة من الحدود العراقية التركية.

وبشأن العلاقات الاجتماعية، والعلاقات التي تربط بين رئيس قبيلة السندي ويهود زاخو، يقول الآتي: " عندما تزوج (عبدي آغا)، ابن (جميل آغا)، في العام ١٩٤٥م، اعتبر الرواة اليهود ذلك العرس حدثاً هاماً في حياتهم الاجتماعية ، كما اعتبروا دعوتهم لحفل الزفاف هذا، شرفاً كبيراً، كونهم ضيوفاً في حفل عرس ابن الآغا... وحتى في إسرائيل، وبعد أكثر من أربعين عاماً من الهجرة إليها، اعتبر الرواة اليهود دعوة العرس هذه دليل احترام كبير يكنه لهم الآغوات. وكذلك عندما تزوج (بشارآغا)، ابن (صلاح آغا)، زوجته الثانية

من قبيلة (هاجان) من (الكوجر)، أقيمت احتفالات ما قبل العرس(الخطبة والشبكة) في منزل أسرة(مرداخ – مردخاي ميرو بيزاكن) اليهودية في زاخو، وشعر اليهود بالفخر بسبب احتفال الزواج هذا...".

ومع هذا المدح لرؤساء قبائل السليفاني والسندي، فإنه يشير، في موضع آخر، إلى المذابح التي قام بها كورد زاخو ضد اليهود فيها، بقوله: " ... فهناك رسالة تذكر شكوى قدمها قادة يهود زاخو عام ١٨٩٢م، تقول بأن الكورد يقومون بمذابح منظمة ليهود المدن، ويحرقون منازلهم، ومعابدهم. وقتل سبعة من اليهود، وألقي القبض على معظم الناجين، وعرضوهم للتعذيب الشديد. كما ضوعفت الضرائب المفروضة عليهم بشكل كبير جداً، فغرقت المدينة، وتهدم مائة وخمسون منزلاً يهودياً".

وفي السياق نفسه، يشير في هامش الصفحة (٤٥)، إلى مذابح كثيرة وقعت ليهود السليمانية، في عام ١٨٩٥م، وتم الاعتداء فيها على نسائهم، وانتهكت أعراضهم، ونهبت محلاتهم، مع الإشارة إلى مقتل سبعة من يهود (قرية صندور)، الواقعة شمال مدينة (دهوك)، بعد خمسين عاماً، وبالتحديد سنة ١٩٤١م.

ولم ينس الكاتب التطرق إلى الحادثة التي وقعت عام ١٩٢٥، وكيف أن (جميل آغا) أرسل بعض رجاله إلى (قرية بيرسفي) المسيحية، الواقعة شمال شرق زاخو، طالباً بعض الحبوب، مع ستة من البغال، ولكن مختار القرية (ميشو بن زيرو) رفض طلب (جميل آغا)، وكان يأمل أن مطاردة الحكومة ستبعده، وتمنعه بذلك من شن غارة على (بيرسفي)، لأنه قبل ذلك كان قد قتل سنة ١٩٢٥م ستة من رجال الشرطة في كمين نصب لهم قرب (قرية شرانش)، وهرب على إثرها إلى داخل الأراضي التركية، ولكن رجال (جميل آغا) نصبوا كميناً للمسيحيين السائقين للبغال، التي تحمل الأخشاب، قادمين من (بيرسفي) إلى (زاخو)، لمصلحة يهود زاخو، وتم قتل ستة منهم بالفؤوس، وتم سرقة بغالهم. وفي حادثة أخرى يشير إلى أن أحد الأرمن، من سكان (قرية ديهي)، قام بتوجيه السباب إلى (جميل آغا) بصوت عالٍ أمام الناس، وسحب (جميل آغا) خنجرهُ وأراد أن يرديه قتيلاً، ولكنه لم يستطع فعل ذلك أمام الناس، وبالقرب من مركز شرطة زاخو، ولكنه بعد سنة أو سنتين أرسل أحد رجاله (محي مجولي)، بصحبة تاجر يهودي (هارون جودو)، الذي روى الحكاية لمؤلفنا: ذهبنا سوية إلى منزل المسيحي، في (محلة كيسته) في (زاخو)، وطلب مني (محي مجولي) أن أقتل الأرمني المسيحي، بينما هو يمسك به، فرفضت ذلك، وطلب مني أن أمسكه، بينما هو يقتله، ولكني رفضت عرضه الثاني، وأخيرا أمسك به، وقتله، وهو نائم في فراشه،

وأمر زوجته ألا تفتح عيونها، وإلا قتلت هي الأخرى، وأخذ برماله (غطاء فراشه)، وعدنا أدراجنا إلى قرية (دار هوزان) مقر جميل آغا، وعندما بزغ الفجر أنواره، وجدنا الدماء تغطي ملابسنا.

ويناقض الباحث نفسه، عندما يذكر في مكان آخر (ص٧٦)، كيف أن رؤساء (قبيلة سندي)، كانوا حماة (يهود زاخو)، وما يحيط بها، كما كان (آقوب آغا، وولده: عبدي آغا)، ثم ولدي عبدي آغا: (جميل آغا، وصلاح آغا)، الآغاوات الرئيسيين لتلك المنطقة، خلال النصف الأول الثاني من القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وإن هؤلاء الآغوات كانوا أقدر، بل أكثر قدرة، على حماية اليهود من الحكومة نفسها. وينقل عن المنصر الاسكتلندي – البريطاني قوله: " إن رئيس بارزان، وعبدي آغا، من قبيلتي سندي وكولي، من أهم رؤساء القبائل في تلك المنطقة، في بداية القرن العشرين، بمقارنتهم مع مير برواري (حجي رشيد بك)، ومع آغا جالا (=جلى في كوردستان تركيا)، الأقل شأناً وسطوة". ويستطرد (زاكن) نقلا عن (ويكرام) قائلاً:" ربما يكون عبدي آغا من سندي- كولي أفضلهم جميعاً، فإنه كان يمتلك قلعة رائعة التكوين، لم تتمكن أية قوات حكومية من التغلغل فيها، وكانت قيمته تعادل قيمة جاره شيخ بارزان(= الشيخ عبد السلام الثاني)، وتلك القلعة قوية شامخة، في هضبة تانينا(سنديا)، وهي هضبة مسطحة قوية تقع بين الجبال (= شمال مدينة زاخو، على الحدود العراقية التركية)، حيث توجد غابات ومياه تكفي جميع أفراد القبيلة (=السندي).

وعند عرض هذه الواقعة على الدكتور (لزكين عبدي جميل)، حفيد آغا عشيرة السندي (جميل آغا)، أنكر هذه المعلومة بشدة، وقال: هذه من أكاذيب رجال يهود زاخو، وأضاف بأن جده(= جميل آغا) كان حامي حمى يهود زاخو، وأن الذي قتل الشخص الأرمني هو أحد أهالي مدينة زاخو حصرا، ومن جانب آخر فإن مسيحيي (قرية بيرسفي) هم من أتباع وأنصار جده، فكيف يقوم بقتلهم وإيذائهم؟

وفي الفصل الثاني، تطرق الباحث إلى قضاء عقرة (ئاكرى)، وذكر معلومة مهمة، وهي أن يهود عقرة تركوها بشكل جماعي، بسبب حاكمها، الذي كان يخلق لهم المشاكل حسب تعبيره. وينقل عن الرحالة اليهودي (بنيامين الثاني)، عن عدة غارات قام بها مسلمون كورد، ضد النساء اليهوديات، اللاتي كن يأخذن حمام التطهير الطقسي، بالقرب من الكنيس، خارج المدينة.

ويسرد الباحث إحصاءات بعدد اليهود، اعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر، حتى منتصف القرن العشرين، حيث زاد عدد يهود عقرة زيادة طفيفة، بدون ذكر السبب.

ويبدو أن قيام حركات بارزان ضد الحكومة الملكية العراقية، في سنوات ١٩٣١-١٩٣٢م، وسنوات ١٩٤٣-١٩٤٥م، بقيادة الشيخ (أحمد بارزاني) و(ملا مصطفى البارزاني)، جعلت الكثير من يهود بارزان، وقرى عشيرة الزيبار، يلتجئون إلى مدينة عقرة.

بعدها يتطرق إلى ذكر أسرة يهودية مشهورة، خلال الثلاثة أجيال الماضية، وهي أسرة (الخواجه خينو)، التي كانت تترأس المجتمع اليهودي في (عقرة)، وكانت تقيم علاقات واسعة مع الآغوات والموظفين الرسميين، الذين اعتادوا على زيارة هذه الأسرة، وقضاء أوقات ممتعة معهم، لتناول الطعام والشراب، والاستماع إلى الموسيقى، مع توفير مساعدات مادية ومالية لرؤساء القبائل المحتاجين، في أوقات الشدة. وينقل عن مصدر ميداني، وهو(درويش ناحوم)، الذي كان يعمل كاتباً لدى (خوا جه خينو)، قوله: " اعتاد ضباط الشرطة والجيش زيارته، وكانوا يجلسون ويتناولون الطعام والشراب، ويستمعون إلى بعض الأغاني، التي تُشيع لديهم البهجة، ثم يغادرون ".

وبشأن العلاقة بين اليهود وشيوخ بارزان النقشبنديون، فإنه يشير إلى أن شيوخ بارزان يحظون باحترام فائق لدى الناس في كوردستان، وينقل عن المنصر(المبشر) البريطاني الاسكتلندي (ويكرام)، في كتابه (الحياة في شرق كوردستان)، قوله:" إن شيخ بارزان كان واحداً من أقوى الشخصيات القبلية في كوردستان، وتحدث عن زيارة قام بها لبارزان، حيث قام حراسه بمرافقته، ورجاله، إلى قرية (بيره كه برا) الزيبارية، حتى وصلنا إلى شواطي النهر(=الزاب)، وعندما ركبنا العبارة انتهت مهمتهم إلى هذا الحد. إنهم لن يرافقوننا عبر النهر، لأنه يعود إلى أراضي شيخ بارزان، وأحست الحكومة(=العثمانية) ببعض الزهو، لتلك اللياقة التي أبداها بمرافقتهم عبر أراضيهم...".

ومن جانب آخر، أكد (ويكرام) على تواضع شيخ بارزان (عبدالسلام الثاني)، عندما قارنه بغيره من رؤساء القبائل، حتى الأقل قوة، قائلاً: " إن أولئك الرؤساء، حتى الأقل سطوة، يعيشون في القصور"، في حين كانت منازله بين رجاله، ولا يتعدى مكان إقامته عدة منازل متجاورة، وكانت القرى في منطقة بارزان مزدهرة، والشيخ نفسه كان حكيماً، رحيماً، معروفاً بعدالته في التعامل مع أتباعه. وعندما نشب النزاع بينه وبين الحكومة، وأصبح فاراً في الجبال، قطف ثمار معاملته الطيبة لفلاحيه، لأنه لم يوجد إنسان واحد، مسلم أو مسيحي، يقوم بخيانته، ويسلمه لأعدائه".

ويواصل (ويكرام) إبداء تعاطفه مع شيخ بارزان، من خلال كرم الشيخ، وحبه للخير،



الإجابة قائلاً:" لأن مختلف التقارير، الصادرة من مصادر متنوعة، حول المعاملة الكريمة التي يبديها البارزانيون تجاه اليهود".

وهذا ما يتناقض إلى حد كبير مع أساس العلاقات الجيدة بين اليهود وشيوخ بارزان، حيث يشير الكاتب بوضوح إلى ذلك من خلال قوله": يبدو أن شيوخ النقشبندية، خاصة الشيخ أحمد، والملا مصطفى البارزاني، يرتبطون بعلاقة حسنة خاصة مع اليهود الكورد الذين يتمتعون برعايتهم... وزيادة على ذلك يتحدث الرواة من يهود مناطق: شنو، ميركه سور، سركاني، وديانا، يتحدثون عن المواقف الإيجابية للبارزانيين تجاه اليهود".

وكان لشيوخ بارزان علاقات وطيدة مع أسرة (خواجه خينو)، أهم وأشهر أسرة يهودية في مدينة (عقرة)، خلال الأجيال الثلاثة الماضية، يشهد بذلك طلب السلطات العثمانية (=حكومة الاتحاد والترقي) في العراق، من (خواجه خينو) التوسط بينها وبين الشيخ عبدالسلام الثاني البارزاني، أثناء حركته في بداية القرن العشرين. ففي حين يؤكد الباحث أنه لا يوجد مصدر آخر يؤكد ليس فقط تجاه أتباعه المسلمين، بل تجاه من لم يكن مسلما.

بعدها يغير الباحث مجرى الحديث، فينقل عن تقرير خاص بأخبار منطقة (العمادية)، صادر في كانون الأول عام ١٩١٣م، واستناداً إلى أقوال أحد المبشرين المحليين: " قام الشيخ البارزاني (= عبدالسلام الثاني) بشن غارة على بضع قرى (=عشيرة نيروه)، ثلاث منها آشورية(=نسطورية)، وست كوردية. وأعملوا فيها النهب والسلب، وقتل ستة من اليهود. وكانت تلك الغارة رداً على رفض رجال قبائل(نيروه- ريكان) مساعدته في هجوم تم التخطيط له على قبيلتي (جال) و(تخوما) الآثوريتين".

ويطرح الباحث تساؤلاً:" ولكن لماذا قتل هؤلاء اليهود المساكين"، وينقل عن المبشر ناقل الخبر: "إنه شيء غير مفهوم". بعدها يحاول الباحث تحليل هذا الخبر المفاجئ، لأن ذلك التقرير يثير الشكوك والمواقف الصادقة لشيوخ بارزان تجاه الكورد اليهود، ويحاول

هـذه الرواية، سـوى تـراث أسـرة (خواجـه خينـو)، وينقـل الباحـث روايـة عـن (آريـل كاباي)، أحد أفراد أسـرة (خينـو)، مفادهـا: "عنـدما وصـل جـدي إلى بـارزان... حضـر الجميع للترحيب به: الشيخ عبد السلام (ولد عام ١٨٨٢م)، محمد صادق، والشـيخ أحمـد (ولد عام ١٨٨٤م)، الملا مصطفى البـارزاني (ولـد عـام ١٩٠٣م)، مـع جميـع أبنـائهم. أخبرهم أنه قد حضر إليهم للتوسـط في تلـك القضية، وقالوا له: لن يحدث أي سـوء لـك. وكل ما تقرره سنقبل بـه، ولكـن لـو حضـر شخص آخر، ما كـان قـادراً أن يصـل هنـا، لأننا نراك إنساناً محترماً... لقد حـدثت تلـك الزيارة أثناء احتفال اليهـود بعيـد الهيكـل... وكان من المستحيل أن يغـادر قريـة بـارزان، وقالوا لـه: سـوف نـبني لـك الهيكـل هنـا... وبالفعـل أقـاموا خيمـة كـبيرة لـه، وولمـوا الوليمـة، وجـاء جميـع يهـود قريـة بـارزان ليتنـاولوا الطعـام، الـذي تم إعـداده وفقـاً للشعائر اليهودية في الهيكل".

ويستطرد الباحث الحـديث حـول العلاقـة المتينة بين أسـرة شـيوخ بـارزان، مـن خـلال كـلام للـزعيم الكـوردي (المـلا مصـطفى البارزاني)، أثناء حضوره حفـل تعزيـة وكيـل (خواجـه خينـو)عـام ١٩٤٤م، واسـتلام (البـارزاني) لهديـة مـن زعـيم يهـود عقـرة (الخواجه خينو) بمناسبة حضوره، عبـارة عـن خنجر ذهبي مرصـع بثلاثـة فصـوص ذهبيـة، حيث قال بالنص، أمـام العديـد مـن رؤسـاء القبائل الكوردية في مدينة عقـرة، مـا نصـه:" تعرفـون جيـداً أن تلـك الأسـرة(=الخواجـة خينو) عزيزة علـى قلـبي... وينظـر الجميـع إلينا وكأننا أسرة واحدة، رغم اختلاف ديننا، أنـا لا أريـد أن يصـيبهم أي أذى". وينقـل (زاكن) عن الكاتب اليهـودي الآخـر (أميـل مراد)، بخصوص الخطاب الهادف الـذي ألقـاه (الملا مصـطفى البـارزاني) في تلـك المناسـبة، وقد أنهى خطابه بقوله: " أحب كثيراً اليهود، ومن يفكر في إيذائهم فالويل له مني".

ويواصل الباحـث الحـديث عـن الأصـول التاريخيـة لأسـرة شـيوخ بـارزان، بقولـه: " تاريخيـاً يوجـد شـيخان يحمـلان اسـم عبـد السـلام: أولهمـا (عبدالسـلام إسـحق)، جـد (المـلا مصـطفى البـارزاني)، الـذي أعدمـه الأتراك شنقاً في (الموصل)، عندما وصل إليها للتفـاوض حـول تسـوية لتمـرده في النصـف الثاني من القرن التاسع عشـر. أمـا ثانيهمـا، (عبـد السـلام) المرشـح المفضـل ليسـتقر في الصورة... وعبد السـلام هـذا، هـو الشـقيق الأكبر للملا مصطفى البارزاني، وتم شـنقه في الموصل عام ١٩١٤م..." .

بينما يشير مصدر آخـر (حسـن أرفـع) في كتابه: الشـعب الكـوردي- دراسـة تاريخيـة وسياسية، إلى أن اسم جـد الشـيخ أحمـد هـو (إسحق بن يعقوب)، وجده الأكبر(=يعقوب) كان قد جاء إلى (بارزان) من قرية (بحركـى)،

التي تقع على بعد عشرة أميال شمال مدينة (أربيل)، ونزل في أطراف (زيبار)، مع عائلته وأفراد قبيلته، على الضفة الشمالية المقابلة من نهر الزاب الأعلى (=الزاب الكبير)، وقد أطلق على المكان اسم (بار- زان)، والذي يعني في اللغة الكوردية: (مكان الهجرة)".

هناك اختلاف في اسم الجد الثالث للملا مصطفى البارزاني بين المرجع اليهودي والمرجع الإيراني، والاثنان يحاولان إرجاع نسب أسرة شيوخ بارزان إلى اليهودية، من خلال تسمية إسحاق ويعقوب.

ولحل هذا الإشكال لا بد من القول إن المعلومات المتعلقة بشيوخ بارزان الأوائل غالباً ما تكون مليئة بالتناقضات، فاستناداً إلى مصادر أخرى، فإن شيخ بارزان (تاج الدين)، كان خليفة لـ(مولانا خالد) الميكائيلي الجاف، واستناداً إلى أخرى، فإنه كان خليفة للشيخ السيد (طه النهري).

أما المصدر الأوسع تفصيلاً، فإنه لا يسمى أول الشيوخ البارزانيين، بل -عبدالرحمن- واستناداً إلى المصدر نفسه، فإن (عبدالسلام الأول) لم يكن ابن (عبدالرحمن)، بل أخاه الأصغر.

والإشكالية التي وقع فيها العديد من المؤرخين والباحثين، أنهم ربطوا لقب (تاج الدين) بـ(الملا محمد)، ولكن الحقيقة أن (الملا محمد) هو والد (الملا عبد الله)، الذي منحه العلامة (الملا يحيى بن خالد المزوري العمادي)، المتوفى سنة ١٨٤٣م)، الإجازة العلمية، وتاريخ منح الإجازة غير مؤرخ، ولكن يبدو -والله أعلم- أنها منحت لملا عبدالله البارزاني قبيل انتقال الملا يحيى المزوري إلى (بغداد) قادما من (العمادية)، عاصمة إمارة بهدينان، بعد سنة ١٨٢٥، حيث كان الأخير موضع ترحيب من قبل أمير العمادية (= بهدينان): (زبير بن إسماعيل باشا)، التي دامت أمارته من ١٨٠٨ إلى ١٨٢٥م، بعدها أسيئت معاملته، حيث قتل ابنه (ملا عبد الرحمن) على يد أحد أزلام (سعيد باشا) أمير العمادية، كما قتل عمه (علي آغا المزوري)، وابن (حسن جان آغا)، على يد (علي بك اليزيدي)، أمير الطائفة اليزيدية، بتواطؤ أميري العمادية وعقرة: (سعيد باشا) و(إسماعيل باشا). لذا فإن كلمة (تاج الدين) لقب أضيف إلى اسم الشيخ (عبدالرحمن بن ملا عبدالله)، صاحب الإجازة. لأن هذا اللقب شاع استخدامه لشيوخ الطرق الصوفية في تلك الآونة، فالشيخ (حسن شمس الدين أبو محمد) الذي تلقى علومه الدينية من المتصوف المشهور (محي الدين بن عربي) المتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، والشيخ (عدي بن مسافر) الأموي الهكاري، المتوفى سنة ٤٥٧ هـ/ ١١٦٢ م، والمدفون في جبل لالش الواقع شمال شرق مدينة الشيخان (=عين سفني) في كوردستان العراق، عرف بلقب

(تاج العارفين)، وعرف مولانا الشيخ خالد البغدادي النقشبندي بلقب (تاج الدين).

ولم يقتصر استخدام كلمة (تاج) في الألقاب المفخمة للأفراد، وإنما تعداه إلى الاستخدام في عناوين كتب السادة الصوفية كجزء من متطلبات التفخيم، كما هو مدرج في عنوان كتاب (تاج الرسل) لابن عربي.

مما تقدم يثبت بجلاء أن لقب (تاج الدين) اقترن باسم الشيخ (عبد الرحمن بن ملا عبد الله بن ملا محمد) الشافعي الكوردي البارزاني، بعد إجازته للطريقة النقشبندية من قبل الشيخ (السيد طه النهري) الأول.

ومن الجدير بالملاحظة أن بعض الباحثين يعتبرون الشيخ (عبد الرحمن البارزاني) والداً للشيخ (عبد السلام) الأول البارزاني، والصحيح أن الأخير هو الأخ الأصغر للشيخ (عبدالرحمن)، حيث ترك (الملا عبد الله) ثلاثة أبناء، وهم: تاج الدين عبد الرحمن، وعبد الرحيم، وعبد السلام، الذي توفى سنة ١٨٧٣م في رواية، أو في سنة ١٨٨٤م في رواية أخرى، وهو موضوع بحثنا.

واستناداً إلى حوليات الرهبنة الهرمزدية الكلدانية، فإن (الشيخ عبد السلام) الأول البارزاني، ابن (الملا عبد الله) كان لا يزال حياً يرزق في سنة ١٨٧٣م.

وفي الفصل الثالث، يسرد الباحث قصة (مدينة دهوك)، المقر الرئيسي لـ(قبيلة الدوسكي)، مع ثمانين قرية أخرى (=الصحيح أن قبيلة دوسكي كانت تضم حوالي ١٢٥ قرية).

ويتطرق في البداية إلى وجود جالية يهودية ومسيحية مع المسلمين، يقيمون في مائة منزل، بعدها يذكر أن الكورد يشكلون غالبية سكان المدينة، من خلال سكنهم في خمسمائة وخمسين منزلاً، يشغل المسيحيون خمسة وستين منزلاً، واليهود ثلاثين، إلى جانب عدد كبير من النسطوريين (=الآثوريين)، وعدد أقل من المسيحيين الكلدان، هاجروا من من مناطق (جزيرة بوتان) و(هكاري)، بعد الحرب العالمية الأولى، وهذا ما زاد من نسبة سكان (دهوك)، حيث وصل تعدادهم في سنة ١٩٢٩ إلى (٢٩٨٥٨) تسعة وعشرين ألفا وثمانمائة وثمانية وخمسين نسمة، أغلبهم من الكورد المسلمين، وتعدادهم (١٨٣٠٧) نسمة، والمسيحيون وتعدادهم (٥٧٨٤)، والعرب المسلمون وتعدادهم (٢٠٦٨)، واليزيديون وتعدادهم (٢٨٧٠)، واليهود وتعدادهم (٨٢٩) نسمة.

وبمقارنته بالمدن الكوردية الأخرى، فإن (دهوك) كانت تستوعب أكبر عدد من اليزيديين، ويبدو أن الباحث يقصد باليزيديين المتواجدين في القرى القريبة والتابعة لقضاء دهوك، وإلا فلا وجود لليزيديين في مركز مدينة دهوك حصراً، ويعزو الباحث سبب ذلك بقوله:" ... فإن اسمها القديم هو

دهوكي داسنيا، أي: دهوك اليزيديين، ولكنها أقفرت بعد المجازر التي خضع لها اليزيديون. وبعد ذلك جاءها المسيحيون واليهود ليقيموا فيها".

وبخصوص آغوات وشيوخ منطقة دهوك، فإن الباحث يخصص عدة صفحات من الفصل للحديث عن (سعيد آغا دوسكي) وأولاده، بعدها يحاول التعريف بسلفه (حسن آغا)، من خلال ذكريات (ساسون ناحوم)، من يهود دهوك: " حسن آغا كبير آغاوات دهوك في بدايات القرن العشرين، والذي وقف إلى جانب روسيا ضد تركيا (= الدولة العثمانية)، أثناء الحرب العالمية الأولى. هرب (حسن آغا) مع قواته القبلية إلى روسيا، ولم يعد بعد ذلك مطلقاً، وحل مكانه (سعيد آغا) ابن عمه، وكان (سعيد آغا) أكبر حاكم قبلي في (دوسكي) (بالآرامية الحديثة: دوستيكنايه)، وتمتد منطقة نفوذه من محيط (دهوك)، صعوداً إلى شواطيء نهر الخابور، ويعود أصله إلى (قرية كرمافا)، وتصف التقارير الحربية البريطانية (سعيد بك ١٨٩٠-١٩٤٧م، القادم من (كرماوا- كرمافا) بالقرب من دهوك: الرجل القوي الوحيد في قبيلته، ويتمتع بنفوذ كبير، ولكن الآخرين أقل قوة، وأدنى منزلة، أقل كثيراً من مجرد مخاتير القرى، ويراه البريطانيون رجلا حساساً، وليست شخصيته قوية بشكل خاص. ويقدرون مساندته للحكومة أثناء عملية (١٩٢٢م) في وادي زيبار، وصموده المتواصل أثناء الاضطرابات في منطقة دهوك، عام (١٩٢٥م)، أثناء زيارة لجنة الحدود، في الوقت الذي تبنى فيه معظم آغوات دوسكي موقفاً معادياً للحكومة. وبعد استقلال العراق انتخب مندوباً، أو عضواً برلمانياً، عام ١٩٣٨م، ومرتين آخرين في عام ١٩٤٤م وعام ١٩٤٧م".

لقد كانت ذكريات اليهودي الدهوكي (ساسون ناحوم) يشوبها الغموض، لأن (حسن آغا) الدوسكي ذهب مع مقاتلي قبيلته الدوسكي إلى إيران للقتال إلى جانب الدولة العثمانية، أثناء الغزو الروسي لشمال إيران، وتوفي فيما بعد في مدينة (مهاباد) إثر مرض ألم به، ودفن هناك.

أما بخصوص التقرير العسكري البريطاني، فقد كان دقيقاً إلى حد كبير، فقد انضم (سعيد آغا) إلى جانب الحكومة البريطانية، فيما انضم (سفر آغا ابن عمر آغا)، أحد زعماء قبيلة الدوسكي، إلى جانب الحكومة العثمانية، ضد المحتل البريطاني، ويبدو أن موقفه هذا كان أحد أسباب اغتياله عام ١٩٢٤م، أثناء تواجده في قرية (بيرافات)، التابعة لعشيرة الدوسكي، والواقعة في السفح الغربي لـ(جبل كمكا).

ويمضي التقرير العسكري البريطاني في التحدث عن أبناء (سعيد آغا) الثلاثة بالقول: " انتحر ابنه إسماعيل، ويقال إن السبب هو

نصرته للقضية القومية الكوردية (=عضويته في حزب هيوا) بقيادة البارزاني، متخذاً بذلك موقفاً مناهضاً لوالده، المعروف بميوله الإنكليزية، وتأييده لسياسة الحكومة... والابن الآخر (ديوالي)، الذي خلف والده (سعيد آغا) في زعامة العشيرة. ويستطرد قائلاً " يتفق الرواة اليهود على أن (ديوالي)، ووالده، انتهجا سياسة الابتزاز، وجمع استحقاقاتهم التقليدية. ويقدمه الرواة اليهود آغاً قبلياً، أقل لباقة وتهذيباً من والده سعيد آغا...". وهذا لعمر الحق تجاوز على (ديوالي آغا)، فالجميع يتفقون على أنه كان شخصية جذابة، متوازنة، خدم اليهود والنصارى واليزيديين، قبل أن يخدم أبناء قومه المسلمين، وروايات معتنقي الأديان المارة الذكر، فضلاً عن سيرة حياته لدى أهل منطقة بهدينان عامة، ودهوك خاصة، شاهدة على ذلك، إلى ساعة اغتياله غدراً، بسبب مواقفه الوطنية والإنسانية.

من خلال ما تقدم، يبدو أن بعض الحوادث الخاصة ببعض اليهود، أثرت على طريقة تعامل الرواة اليهود مع (ديوالي آغا) الدوسكي، فإن أغلب الاتهامات جاءت من المدعو (سعيد جمليلي)، ابن حاخام باشي دهوك في تلك الحقبة، لأنه كانت لديه مشاكل مالية واجتماعية مع بعض يهود دهوك، وعندما كان (ديوالي آغا) يحاول إيجاد الحلول لها، التي تتفق مع الأعراف القبلية آنذاك، فإنها لم تتفق مع ما يرغب فيه (سعيد جمليلي).

ومن جانب آخر، فإن القضية التي أثارت ردود فعل (ديوالي آغا) حول اليهود، هو أن (حزكو إيللو) قد أثار حفيظة (ديوالي) ضد اليهود، عندما أخبره أنه في يوم الغفران " لعن اليهود ديوالي في الكنيس"، وكان الحاخام الذي بدأ بلعن (ديوالي) هو (بنيامين جمليلي) والد يوسف جمليلي، والقصة تبدأ من هنا، ولمن أراد المزيد فعليه بمراجعة الكتاب نفسه (الصفحات ١٢٤-١٣١).

بعدها يتطرق الباحث إلى موضوع آخر، وهو علاقة (الشيخ عبيدالله بن الشيخ نور محمد البريفكاني) بيهود دهوك، حيث يعرفه بالشكل الآتي: " كان الشيخ (عبيدالله البريفكاني) أحد الرؤساء الدينيين في منطقة دهوك، الذي يرتبط بعلاقات خاصة مميزة باليهود، ويقال إنه اهتم بمعرفة التوراة، حيث قام أحد الأحبار المحليين بترجمة جزء منها، خلال منتصف ١٩٢٠، وبدايات ١٩٣٠م".

وفي اعتقادي أن (الشيخ عبيدالله البريفكاني) كان يحاول الاطلاع عن كثب على الكتاب المقدس لليهود (التوراة)، حيث لم يتسن له الحصول على الطبعة العربية للكتاب المقدس، التي كانت متوفرة آنذاك في مطابع بيروت، أو على أقل تقدير لم يكن على علم بوجود طبعة عربية خاصة بالتوراة. لذلك من الأهمية بمكان تقدير الحبر اليهودي

(شالوم شيمون)، كبير حاخامات دهوك، الذي أخذ على عاتقه ترجمة بعض أسفار التوراة، وتدريسها للشيخ، ابتداء من ١٩٢٠ لغاية ١٩٣٦م عندما هاجر إلى فلسطين، وهذا ما بدا واضحاً في قول الباحث:" كان الشيخ محبا لليهود، وقد شعر بحزن عميق بسبب سفر الحاخام إلى إسرائيل(= فلسطين)، ولأنه لم يستطع مواصلة دراسته".

بعدها يشير الباحث إلى حادثتين، كانتا لها تأثير كبير في مشاعر الشيخ تجاه يهود، ففي الرواية الأولى، التي جاءت بصيغة التمريض:" يقال إن ابن الشيخ عبيدالله المريض (= نور محمد)، أراد الصلح مع أعمامه، الذين ابتعد عنهم بسبب بعض المنازعات، وفي ذات الوقت طلب الشيخ عبيدالله من الجالية اليهودية، وعبر خادمه (شابو شيمون)، أن يقيموا الصلوات عسى الله أن يمن على ولده بالصحة، وبعد ذلك بشهرين تم الصلح بمشاركة العديدين من الأعمام: الشيخ نوري (= ابن الشيخ عبدالجبار)، والشيخ عبد الرحمن الأتروشي، والشيخ محمد المماني، وإحدى العمات (مريم خاتون)، وشارك في ذلك أيضاً الكاهن: يوسف البهرو(= خوري كنيسة الانتقال الكلدانية في دهوك)، وإمام دهوك: (= الملا سعيد ياسين، إمام جامع دهوك الكبير)".

ويبدو من خلال النص، أن الراوي اليهودي قد وضع إمام جامع دهوك الكبير في المرتبة الأخيرة، وهذا يتأتى من خلال تكملة الرواية، والإيحاء للقارئ بأن العلاقة بين الشيخ عبيدالله وكبير علماء الإسلام في دهوك ليست على ما يرام: " إن الشيخ عبيدالله قد تجادل مع إمام دهوك، قبل شهرين من ذلك الحدث، حول قيام الإمام بإثارة الناس ضد اليهود. ويعرض الحوار التالي كيف أن الشيخ عبيدالله قد دخل في جدال عنيف مع إمام دهوك حول (أركان الإسلام)، وأن الشيخ قد وعد بأن يدفع الإمام مبلغ مائة دينار إذا ما أعد الإجابات خلال شهر واحد، ولكنه لم يستطع!، فيجب عليه آنذاك أن يتوقف عن إثارة الناس ضد اليهود، ولا يتهمني إذا ما أمرت بإعدامه".

ويحاول الباحث تنبيه القارئ على مبلغ إيمان الشيخ بأن (التوراة)، وما فيها، دليل على تفوق الشعب اليهودي! من خلال القول بأن الحبرين اليهوديين (شالوم) و(موشي مانواح)، قد تمكنوا عن طريق الصلاة والتضرع إلى الله والتطهير، مع استخدام الأحجية والتعاويذ (= القبالا – التصوف اليهودي)، من إنزال المطر في فترة الجفاف، ومنع ضبعين من افتراس الجثث في مقبرة المسلمين، وهذا أكبر دليل على الدعاية لليهود ولليهودية، من خلال روايات لا يمكن التكهن بمدى صحتها، لأنها جاءت من مصدر واحد يهودي! □



من ثمار الإقصاء والتهميش



صلاح سعيد امين

Selah1434@gmail.com

لم يقصر النظام البائد في قمع تطلعات الشعب العراقي ومكوناته المختلفة، ولم يقلق لحظة لخنق الآخر المختلف فكرياً وقومياً وإنسانياً، هذا النظام الذي كان يسيطر على مقدرات الشعب، ويتلاعب بمصير أبنائه ظلماً وجوراً، النظام الذي ادعى أنه يمتلك الملايين من الجنود المدربة، والجيش القوي المجهز "رابعاً" عالمياً.. لكننا أخيراً رأينا النقطة التي وصل إليها الأمر، ورأينا ربما ما لم يكن يتخيله أحد من قبل! والسؤال المطروح هنا هو: لماذا يكرر النظام المبني والمدعوم من قبل الأمريكان، ما فعله النظام البعثي، بوجه آخر؟ هل لم يخلف النظام المباد درساً، بما فعله أثناء حكمه الطويل في هذا البلد، للذين يجلسون على عرش السلطنة بعده ببغداد؟

إن السلطات والأنظمة الفاشية عندما تريد أن تفعل ما يدور في أذهانها، تمهد الطريق بالقانون وتغطي نفسها بالشرعية، وتشغل ماكنتها الإعلامية الضخمة لشيطنة الآخر وتقبيحه أمام الرأي العام، كي يسهل لها دحره وطحنه ومسحه من على خارطة الوجود!

إن المحافظات المنتفضة الستة، وأهل السنة في العراق، والكورد، وحتى كثير من الإخوان المنصفين من الشيعة، لم يخفوا خوفهم من النهج الذي مارسه السيد المالكي أثناء حكمه لولايتين متتاليتين في أصعب الظروف التي تسلم فيها رئاسة الوزراء في العراق.. وباختصار فلقد فعل المالكي ما أدى إلى ما وصل إليه الأمر اليوم، فلم يقصر في تهميش وإقصاء أهل السنة في البلد، ولم يحل المشكلات العالقة مع إقليم كوردستان، بل لجأ إلى الحل الأمني، وارتكب مجازر كبيرة بحق المتظاهرين المسالمين المنكوبين في المحافظات المنتفضة، وقطع ميزانية الإقليم ورواتب الموظفين في إقليم كوردستان، وهمش أيضاً من لم يتحالف معه من الشيعة الذين أيدوه أثناء توليه ولايته الأولى، وحتى الثانية، بجد وإخلاص، والنتيجة هي أنه جمع حوله أشخاصاً طامعين في السلطة، يقدمون مصالحهم الشخصية على كل شيء، وصاروا يرددون ما مفاده أن المالكي قائد لا يتكرر في العراق، ولا بديل عنه! وبهذا الشكل أصبح المالكي صنماً! وكلنا نعلم حجم كارثة ثقافة صنع الأصنام، في أي مجتمع.

والدرس الوحيد الذي يجب أن يؤخذ من تجارب الأنظمة القمعية في المنطقة، والعالم عموماً، هو: الابتعاد عن التهميش والإقصاء، والإدراك التام بأن ليس بمقدور أحد، أياً كانت سلطته المادية والمعنوية، أن يهمش أحداً آخر غيره، بل ينبغي السير على طريق الوئام، والإقرار بحق الآخر المختلف... حفظ الله العراق وشعبه من كل شر ودنس، وأنعم عليه بكل الخير والبركة□

أخبار وتقارير

- أخبار

- تقرير/ كوردستان تعلن تشكيلة حكومتها الموسعة

- تقرير/ أحداث العاشر من حزيران

- تقرير/ مؤتمر دولي حول الخطاب الديني: إشكالياته، وتحديات التجديد

أخبار

متابعة وإعداد: محرر الصفحة

الأمين العام يعزي بوفاة الشيخ محمد البرزنجي

✍ وجه الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني تعازيه بوفاة المرشد العام للجماعة الإسلامية الكوردستانية.

ونعى الأستاذ (محمد فرج) في برقية تعزية وفاة الشيخ (محمد البرزنجي)، الذي وافته المنية يوم الجمعة ٢٠١٤/٦/١٣ بمدينة (السليمانية).

وأشاد (محمد فرج) بالدور الذي اضطلع به الفقيد في تعزيز الأخوة الإيمانية واللحمة الوطنية بكوردستان.

وكان الشيخ (البرزنجي) يتمتع بحضوة كبيرة بين الأوساط الإسلامية والسياسية والاجتماعية في أجزاء كوردستان الأربعة.

ووري جثمان الفقيد الثرى في مسقط رأسه بقرية "سركت"، التابعة لمحافظة السليمانية، بحضور جموع غفيرة من مواطني كوردستان، في مقدمتهم رؤساء وممثلو أحزاب سياسية وجهات حكومية.

نائبان عن "يككرتوو" يطلعان على الوضع الأمني في منطقة الخازر

زار نائبان عن كتلة "يككرتوو"، ضمن وفد من برلمان كوردستان، منطقة "الخازر" الواقعة بين أربيل والموصل، للاطلاع على الوضع الأمني هناك، وتدفق النازحين من مدينة الموصل باتجاه مدن إقليم كوردستان.

ووقف كل من النائبين (بهار عبد الرحمن) و(سهراب ميكائيل) على الوضع الأمني والإنساني للنازحين في منطقة "الخازر"، التي شهدت تواجد آلاف الفارين من الموصل وأطرافها نتيجة الأوضاع الأمنية المضطربة بعموم محافظة نينوى.

وتألف الوفد البرلماني، بالاضافة إلى نائبي "يككرتوو"، من عدد من نواب الكتل السياسية، ضمن لجان حقوق الإنسان وشؤون البيشمركة ولجنة الداخلية في برلمان كوردستان.

إجلاء طلاب كورد بجهود قيادي في "يككرتوو"

وتكللت جهود القيادي السياسي الكوردي (عادل نوري) بالنجاح في نقل طلاب كورد جامعيين (بلغ عددهم حوالي ١٥٠ طالبا) من (بغداد)، حيث كانوا محاصرين، وإيصالهم إلى مناطق سكناهم

الأصلية في (السليمانية).

واستغرقت العملية ما يقارب الأسبوع، وسط قلق كبير على مصير الطلاب، الذين نجحوا بالكامل في الوصول إلى (السليمانية) بطائرة مدنية أقلتهم من العاصمة العراقية (بغداد). ووجه الطلاب الناجون شكرهم للاتحاد الإسلامي الكوردستاني، وللجهات الرسمية ذات العلاقة في إقليم كوردستان.

وحذر القيادي (عادل نوري) من توجه أي مواطن كوردي إلى العاصمة العراقية (بغداد)، إلا إذا كان مضطراً جداً، بسبب استهدافهم من قبل عناصر مسلحة.

وقال (عادل نوري)، الذي يشغل في ذات الوقت عضوية البرلمان العراقي عن كتلة الاتحاد الإسلامي الكوردستاني: إن هناك المزيد من الطلاب والعائلات الكوردية تنتظر ترحيلهم من (بغداد)، بعد أن أصبح الوضع الأمني خطيراً، وليس في مقدورهم الرحيل بالسيارات، بسبب استيلاء المسلحين على العديد من الطرق الرئيسة المؤدية إلى إقليم كوردستان، مشيراً إلى أن الكثير من الكورد تم اختطافهم من أمام سيطرات الحكومة العراقية.

اتفاق على توحيد كتلتيهما في مجلسي محافظتي أربيل والسليمانية

اتفق (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) مع (الجماعة الإسلامية الكوردستانية) على دمج كتلتيهما في مجلسي محافظتي (أربيل) و(السليمانية) بإقليم كوردستان.

جاء الاتفاق بعد مشاورات واجتماعات عديدة بين الكتلتين على صعيد محافظتي أربيل والسليمانية، من ثم الاتفاق على تسمية مشتركة للكتلتين، لم تكشف بعد.

وأضافت الكتلتان في بلاغ ختامي عقب اجتماعهما في مدينة السليمانية، على أن عملية الدمج جاءت لصالح الشعب، متعهدين بالسير نحو إيجاد الدعم الإيجابي لقضايا الشعب من خلال مجلس محافظتي أربيل والسليمانية.

شيركو جودت رئيس لجنة الطاقة البرلمانية: نتابع عن كثب أزمة الوقود الخانقة

قال (شيركو جودت) رئيس لجنة الطاقة والموارد الطبيعية في البرلمان الكوردستاني: إن المتابعة التي أجروها كشفت أن أسباب الأزمة هو تهريب بنزين الإقليم إلى خارجه، دون الاشارة إلى المناطق التي يجري التهريب إليها.

وأضاف (شيركو جودت) النائب عن كتلة الاتحاد الإسلامي الكوردستاني ورئيس لجنة الطاقة النيابية: إن البرلمان الكوردستاني سيتخذ إجراءات مشددة لمنع ذلك.

واضطر إقليم كوردستان مرة أخرى إلى تقنين توزيع البنزين، والعمل بنظام التوزيع على أساس (الكوبون)، بعد حصول شحة في محطات التوزيع□

تقرير

كوردستان تعلن تشكيلة حكومتها الموسعة،

و(الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) يتولى أربعة مناصب وزارية فيها

عَقَد برلمان كوردستان يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٤/٦/١٨ جلسة اعتيادية لمنح الثقة لوزراء التشكيلة الجديدة الثامنة لحكومة إقليم كوردستان، وعددهم ٢٢ وزيراً، بالإضافة إلى رئيس الحكومة ونائبه، وأدى وزراء الحكومة الجديدة اليمين القانونية أمام برلمان كوردستان بحضور رئيس الحكومة ونائبه.

ويشارك (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) بأربع مناصب وزارية في الحكومة الجديدة الموسعة، ويتولاها: (صلاح الدين بابكر) لمنصب وزير الكهرباء، ومحمد هاودياني/ وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وفاتح سنكاوي/ رئيس هيئة المناطق الكوردستانية خارج الإقليم، ومولود مراد محي الدين، وزير الإقليم لشؤون البرلمان.

هذا وعقدت التشكيلة الجديدة لحكومة إقليم كوردستان العراق، يوم الثالث والعشرين من حزيران، أول اجتماعاتها في مبنى مجلس الوزراء بأربيل.

وناقش الوزراء تقريراً عن أوضاع البيشمركة، وقرروا تشكيل لجنة لمتابعة دعم قوات البيشمركة، وتأمين احتياجاتها، وسط أعمال عنف واسعة النطاق في أطراف حدود إقليم كوردستان.

وتضم التشكيلة الحالية لحكومة الإقليم جميع القوى الكوردستانية الفائزة في انتخابات برلمان كوردستان، والتي جرت في أيلول الماضي، ومن ضمنها القوى التي كانت في المعارضة، كالتغيير، والاتحاد الإسلامي، والجماعة الإسلامية.

من جانبه وصف الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني (محمد فرج)، منح البرلمان الثقة للحكومة الجديدة، بأنه إثبات لوحدة الصف الكوردستاني.

ووجه الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني (محمد فرج)، خلال تغريدة على صفحته الشخصية على فيس بوك، تهانيه إلى رئيس مجلس الوزراء، ونائبه، والوزراء، بمناسبة الإعلان عن التشكيلة الحكومية الجديدة، لافتاً في الوقت نفسه إلى ضرورة العمل على الإصلاحات الإدارية، ومكافحة الفساد، وعدم تكرار الأخطاء الإدارية الماضية، مشدداً على أن الحكومة الموسعة تعد ضرورة مرحلية في هذا الظرف الذي يمر به إقليم كوردستان □

تقرير

أحداث العاشر من حزيران

العراق على مفترق طرق

*المحرر السياسي

دخل العراق يوم العاشر من حزيران ٢٠١٤ مرحلة جديدة من الاضطراب الأمني، وعدم الاستقرار المجتمعي، حيث شن مسلحون تحت مسميات عدة هجمات سيطروا خلالها على مناطق واسعة في شمال العراق وغربه وشرقه، بينها مدن رئيسة، مثل: (الموصل) و(تكريت)، وأجزاء من (كركوك) و(ديالى).

ونالت (الموصل) - تحديداً - القسط الأكبر من الهجمات المتوالية، ومع مغيب شمس يوم العاشر من حزيران أصبحت المدينة تحت سيطرة المسلحين بالكامل، عقب الانهيار العسكري للجيش العراقي.

وساد الاعتقاد بأن الهزيمة التي لحقت بالقوات الأمنية والعسكرية العراقية كانت نتيجة تواطؤ بعض القيادات مع المسلحين لتسليم المدينة دون قتال، وبهذا الصدد نفى مصدر صحفي مطلع، في اتصال مع (الحوار)، أن يكون هناك تنسيق مسبق بين قيادات في الجيش وبين التنظيمات المسلحة، مؤكداً أن ماحدث هو "انهيار عسكري مفاجئ"، أثار دهشة الجميع.

وقال (زيد الهاشمي) في معرض حديثه لـ(الحوار) عن مجريات الأحداث بالموصل: "كان للإشاعات دور كبير في إشاعة الخوف بين صفوف أفراد الجيش، وزعزعة معنوياتهم، وانهيارها، ما أدى

إلى فرارهم في مواجهة العناصر المسلحة".

وأضاف الهاشمي: "أهالي الموصل ما كانوا يعيرون أهمية للجيش، ولم يعتبروه جيشهم، ولم يتعامل معه أحد بأريحية، لما صدر عنه من إساءات بحقهم"، مبيناً أن قنوات التواصل الاجتماعي لعبت، هي الأخرى، دوراً في تهيئة أجواء الحسم الميداني لصالح المسلحين.

ولفت (الهاشمي) إلى أن الأوضاع المستجدة لا تعني اقتناع مواطني المدينة بالتنظيمات المسلحة، وانهيار مؤسسات الدولة البتة، كما أن الجيش الحكومي ليس مرحباً به إطلاقاً.

وفي السياق ذاته، أكد الباحث السياسي (أحمد يونس) لـ(الحوار) بأن تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" والمعروف اختصاراً بـ(داعش)، يظهر قوة، ويشدد على أنه صاحب القرار حالياً، وبأيديه زمام المبادرة الأمنية، والسيطرة الإدارية، ومسك الأرض عسكرياً في الموصل، ولا يسمح في الوقت الراهن لأية فصائل أخرى – سواء أكانت مسلحة أو سياسية– بأن تشاركه السلطة، وهذا ما أشار إليه التنظيم في بيان سماه "وثيقة المدينة"، بأن لا راية ترفع سوى رايته فقط، رغم محاولات التنظيمات المسلحة الأخرى إيجاد موطئ قدم لها في الساحة الموصلية.

وحول أعداد عناصر تنظيم (داعش)، وقدرة بسط السيطرة على مدينة الموصل، المترامية الأطراف، قال (أحمد يونس): "لم تتجاوز أعداد مسلحي داعش الألف عنصر، بينما تعداد القوات الحكومية بكل صنوفها العسكرية والشرطية والأمنية تجاوز الـ ٦٠ ألف عنصر، لكن العبرة ليست بالكثرة، رغم أنها تغلب الشجاعة، فهنا بدت المعادلة معكوسة شيئاً ما، لأسباب عدة، منها: العقيدة القتالية لكلا الطرفين، فالقوات الحكومية تفتقد العقيدة العسكرية، بالمقارنة مع تنظيم داعش، الذي يؤمن بفكرة معينة تجعل روحه القتالية عالية، رغم قلة عدده. والسبب الثاني: السمعة المتمثلة بإشاعة الرعب في صفوف الخصم، وهذه ميزة داعش. والسبب الثالث: ضعف تدريبات القوات الحكومية، وصعوبة تحركاتها الميدانية، في أغلب المواقف.

وأردف: "التهميش المتعمد من قبل الحكومة لمحافظة نينوى، وبالأخص مدينة الموصل، طيلة الأعوام العشرة الماضية،

أضف إلى ذلك: تعامل القوات الأمنية والعسكرية بقسوة مع الأهالي، أدى إلى نشوء أرضية خصبة لظهور جماعات مسلحة داخلية، وتسلل تنظيمات مسلحة أخرى إلى المدينة، من خارج الحدود، وهذا لا يعني أن الموصليين يشكلون حاضنة لتلك الحركات، فالمعروف عن الموصل طابعها السلمي، ونبذها العنف على مدار التاريخ".

وبشأن قدرة المسلحين على إدارة المدينة، أشار الباحث السياسي (أحمد يونس) بالقول: "لا رؤية استراتيجية مطروحة لتنظيم (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، فهو لم يعلن عن أي شيء حتى الآن، سوى بيانات تحث الموظفين على الدوام، وغير ذلك من الأمور الحياتية اليومية".

وفي شأن أحداث العاشر من حزيران، عبر أحد علماء الدين، عن اعتقاده بأن سياسات حكومة المالكي، هي التي جرت العراق إلى هذا المنزلق الخطير.

وقال (الشيخ محمود العاني)، عضو المجمع الفقهي العراقي، في تصريح لـ(الحوار): إن تجاهل المالكي لنصح الناصحين، من ساسة وعلماء، أوصل البلاد إلى "شفا جرف هار". مبيناً أن العراق بعد العاشر من حزيران، بات على مفترق طرق صعبة للغاية.

وأبدى الشيخ (العاني) امتعاضه من فتاوى بعض المرجعيات إلى الحشد في وسط وجنوب العراق، بدلاً من حث الحكومة على مواجهة ما يحدث بالسبل السياسية.

وختم الشيخ (العاني) تصريحه بالقول: "العراق بعد الأحداث الأخيرة يتجه نحو التقسيم، الذي لا يرغبه أحد، لكن إذا كان لا مفر من ذلك، فليصار إلى تشكيل الأقاليم المنصوص عليها في الدستور العراقي الحالي".

هذا، وتولت قوات البيشمركة الكوردية مسؤوليات أمنية إضافية، في ظل انسحاب الجيش العراقي من عدة مواقع، في شمال العراق وشرقه، حيث بسطت سيطرتها على مناطق متنازع عليها مع الحكومة الاتحادية (مناطق مستقطعة من كوردستان)، على رأسها مدينة (كركوك).

وبهذا الخصوص، شدد القيادي السياسي الكوردي (عادل نوري) لـ(الحوار) على أن: البيشمركة هي الآن تفرض سيطرتها على مناطق كوردستانية

في الأصل، ولم تتجاوز تلك الحدود، موضحاً وجود ظهير نخبوي وشعبي لتحركات قوات البيشمركة، لاسترجاع المناطق المستقطعة إلى أحضان إقليم كوردستان.

وتوالت ردود الأفعال الدولية إزاء ما يحدث في (العراق)، فقد عبرت (واشنطن) عن خشيتها من تدهور الأوضاع الأمنية في العراق، مع دراستها كافة الخيارات لمواجهة ما يجري، فالبيت الأبيض بدا متريثاً بعض الشيء حتى تتضح الصورة تماماً، واستبق ذلك بارسال وزير خارجيته (جون كيري) للقاء القادة العراقيين، وحثهم على اتخاذ خطوات سياسية لتجاوز الأزمة، التي تبدو ذات نطاق أوسع، ودائرة أكبر من قدرة الحكومة الحالية، برئاسة (نوري المالكي)، على التحمل، فالأخير يواجه ضغوطات بالتنحي، وتشكيل "حكومة انقاذ وطني"، الأمر الذي عده (المالكي) في خطاب متلفز انقلاباً على الدستور، وإرادة الشعب العراقي، حسب تصوره.

من جانبها، رفضت (لندن) الدخول في حرب جديدة في (العراق)، موجهة اللوم إلى حكومة (المالكي)، ومحملة إياها مسؤولية ما يحدث. هذا الموقف جاء متطابقاً إلى حد كبير مع الموقف الألماني، حيث قالت المستشارة (انجيلا ميركل): إن تغافل الحكومة العراقية عن دمج الجماعات المختلفة، في إطار عملية سياسية شاملة، هو أحد أسباب اتساع نطاق دائرة العنف في البلاد.

وأبدت دول أوروبية أخرى، مواقف موحدة، اتسمت بالقلق، إزاء سيطرة جماعات مسلحة على مناطق عراقية، واسقاط مؤسسات الدولة، مع توجيه انتقادات لاذعة لحكومة المالكي المنتهية ولايتها. فيما أبدت (طهران) استعداداً للتعاون مع (واشنطن)، بشأن منع تدهور الوضع في العراق. هذا الموقف اعتبره بعض الساسة العراقيين تدخلاً في الشأن العراقي، ربما يرسم وضعاً شبيهاً بالوضع السوري.

من جانبها، أبدت (منظمة الأمم المتحدة)، على لسان أمينها العام (بان كي مون)، قلقها البالغ إزاء الوضع السياسي والأمني العراقي المضطرب، ورصدت موجات نزوح جماعي جديدة، نتيجة الاقتتال الدائر في الموصل وصلاح الدين وأطراف كركوك والأنبار ☐

تقرير

مؤتمر دولي حول:

الخطاب الديني: إشكالياته، وتحديات التجديد

خاص بالحوار: عمر محمد علوط* / مراكش
amimar08@yahoo.fr

عقدت مؤسسة "مؤمنون بلا حدود" مؤتمرها السنوي الثاني خلال يومي ١٧و١٨ مايو/ آيار الماضي، بمدينة (مراكش) المغربية، وجاءت الجلسة الافتتاحية مخصصة للتعريف بالمؤسسة التي رعت المؤتمر، وهي مؤسسة "مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث"، من خلال إلقاء الأستاذ (محمد العاني)، مدير عام المؤسسة، كلمة أكد فيها عنى أن المؤسسة تسعى لتكون بيئة حاضنة للأفكار التجديدية المتنوعة، وخلق فضاء معرفي لمناقشة مختلف القضايا ذات الصلة بالإنسان.

وبخصوص موضوع المؤتمر "الخطاب الديني: الإشكاليات وتحديات التجديد"، ذكر أنه يدخل في إطار استراتيجية المؤسسة، التي تسعى لتفعيل النقاش والسؤال بشأن هذا الموضوع القديم المتجدد، الذي كان محصوراً في إطار النخب الدينية والفكرية، لتبرزه الأحداث الأخيرة التي مر بها العالم العربي، وتضعه في قلب اهتمامات الإنسان العربي العادي وأسئلته الملحة، وذلك نظراً لتأثيره الجلي في تحديد خياراته السياسية، وأمنه واستقراره، وحاجاته المادية والروحية.

وجاءت الجلسة الأولى مخصصة لأبحاث بعض المفكرين المشاركين في المؤتمر، وكالتالي:

الدكتور حسن حنفي - مصر/ **تجديد الخطاب الديني.**

الدكتور رضوان السيد - لبنان/ **الجماعة والتقليد والإصلاح: سياسات الدين في أزمنة التغيير.**

الدكتور عبد الجبار الرفاعي - العراق/ **ما تعد به فلسفة الدين.**



الأستاذ عصام فوزي – مصر/ تقرير عن حالة التدين في مصر.

وخصصت أولى أبحاث الجلسة الأولى لموضوع "تجديد الخطاب الديني"، حيث حاضر فيها المفكر المصري (حسن حنفي)، مؤسساً مداخلته على حتمية إعادة النظر في ثنائية اللفظ والمعنى عند المسلمين عامة، ومتوقفاً عند لائحة عريضة من النظريات اللغوية التي ارتحلت في هذه الثنائية، منذ القدم حتى اليوم، ومؤكداً أنه لا معنى لتجديد الخطاب الديني عند مسلمي اليوم، دون الحسم في هذه الثنائية التي أسالت الكثير من الحبر.

واعتبر (حنفي) أن تجديد الخطاب الديني يصطدم بعارضين رئيسين، أولهما: استمرار اللغة القديمة خوفاً من متابعة كل عصر، ومن هنا نشأت الحركة السلفية، التي لا شأن لها بالواقع، ولا علاقة لها بلغة العصر، وثانيهما: الإصرار على استعارة التجديد من الغرب، وخاصة في حقول الترجمة.

من جهته، تحدث المفكر اللبناني (رضوان السيد) حول "الجماعة والتقليد والإصلاح. سياسات الدين في أزمنة التغيير"، وتميز خطابه بنبرة نقدية ضد المشاريع الإصلاحية السائدة في المنطقة العربية والإسلامية، وخص بالذكر ما وصفها بـ"الجهاديات العنيفة"، و"حركات الإسلام السياسي"، وتيار (محمد أركون)، الذي تعرض له بنقد شديد، ولو أنه استثنى منه حالة خاصة أشاد بها، وهي حالة (عبد الله العروي)، قائلاً في هذا الصدد: "إن عبد الله العروي الذي أصدر كتاب "السنة والإصلاح" سنة ٢٠٠٨، ليس هو عبد الله العروي الذي أصدر "الأيديولوجيا العربية المعاصرة" سنة ١٩٦٠". واختتم (رضوان السيد) ورقته بطرح ما وصفه بمخارج ثلاثة، قد تفيد المسلمين بالخروج من هذا النفق الإصلاحي، وهذه الأزمة الساحقة والماحقة، كما سماها:

أولاً: إعادة النظر في أداء المؤسسات الدينية التقليدية.

ثانياً: إعادة النظر في عملية تغيير المفاهيم، التي قام بها "السلفيون" و"جماعات الإسلام السياسي" و"الشيعة" وغيرهم.



ثالثاً: مساعدة الأحزاب السياسية الجديدة، التي أثبتت فشلها في تدبير أوضاع بعض الدول العربية بعد أحداث الربيع العربي.

أما المفكر العراقي (عبد الجبار الرفاعي)، فقد حاضر في موضوع "ما تعد به فلسفة الدين"، وعرض لقراءات بعض المفكرين الغربيين وتعاملهم مع مفاهيم الإلهيات، الدين، الرياضيات والطبيعيات.

من ناحيته سلط (عصام فوزي)، من (مصر)، الضوء على الخطوط العريضة من مشروع بحثي ضخم، يعالج كيفية تحول حالة التدين إلى ظواهر وسلوكات متشددة، معتبراً أن الوطن العربي قدّس التدين ومظاهره، وترك الدين الحقيقي. ومن هنا صدور هذا التقرير حول "أحوال التدين في مصر، للفترة ما بين ٢٠١١ - ٢٠١٣"، وتميزت المحاضرة بالقاء مقتطفات من أشرطة وثائقية جاءت في التقرير الذي صدر مؤخرا.

عرفت الجلسة الثانية، التي أدار مضامينها الدكتور (الحاج دواق) من (الجزائر)، أبحاث كلٍ من:

سماحة السيد هاني فحص - لبنان/ **الآخر في الخطاب الفقهي.**

الدكتور شريف يونس - مصر/ **معوقات تجديد الخطاب الديني.**

الدكتور محمد البشاري - المغرب/ **أي خطاب إسلامي في الغرب؟**

ودعا سماحة السيد (هاني فحص)، في ورقته التي كانت بعنوان "الآخر في الخطاب الفقهي"، إلى ضرورة مراجعة اعتبار الآخر في الخطاب الفقهي السائد الآن، في جميع الأوساط الدينية: السنية منها والشيعية.

وأضاف السيد (فحص): إن تحريك الساكن في الفقه الإسلامي يعتبر نوعاً من المصارحة من أجل التوجه نحو تحرير أشكال

الدولة المتواجدة الآن، والتي لا تخدم بالأساس نقاط التلاقي بين الشعوب، بقدر ما تجمع بين الأطياف الضيقة فقط، مشيراً في ذات الوقت إلى ضرورة التوجه نحو الدولة المدنية، التي تعتبر تحدياً لدى الشعوب الإسلامية، لأن ما يميزها هو كونها لا تعتمد على تأصيل الشريعة، ليس إقصاءً لها، ولكن لأن كشف العمق فيها، هو علم حقيقي يحتاج لانخراط



الجميع فيه، ضاربا المثال بخصوصية الفقه الشيعي نموذجاً، وحالة الانغلاق التي توجد فيه، من خلال مقاصده البعيدة عن الواقع.

أما الدكتور (شريف يونس)، من (مصر)، فقد أبرز في ورقته التي حملت عنوان "خطاب التجديد الديني"، أن مشكلة الخطاب الديني الحالي تتجلى في العنف، أو "الحركية" و"العصبية"، والخطاب الأصولي، واختصاره في الشريعة، الذي بات معكوساً في صورة الإسلام عبر العالم.

أما الدكتور (محمد البشاري) من (المغرب)، فقد تساءل في طرحه حول "نوعية الخطاب الإسلامي الحالي في الغرب"، بين طريقته التي تميز بين ذاك الخطاب الموجه "للداخل الإسلامي"، وذاك الموجه للمصنفين في إطار "خارج العالم الإسلامي"، وهو ما اعتبره الدكتور ازدواجية في الخطاب لا يمكنها أن تُقبل، وهو ما دفعه أيضاً للتساؤل عن إمكانية تواجد خطاب إنساني وسط الخطابين الإسلامي وغير الإسلامي على حد سواء.

وختم (محمد البشاري) ورقته بمجموعة من التوصيات، قد تساهم في إنجاح مشروع تجديد الخطاب الإسلامي الموجه للغرب، مشيراً إلى ضرورة الإيمان بالمواطنة الصالحة، وإنهاء إشكالية الانتماء، وموضوع التقسيم الجغرافي الديني، بالإضافة كذلك لإنهاء الندية

في التعامل مع الآخر، والحد من الكيانات المتصارعة، وفتح المجال أمام المشاركة السياسية، لتوسيع دائرة التواصل بالغرب، على أساس قضايا التجديد، وتحقيق الشهود الحضاري. وهي الأمور التي لا يمكنها أن تتحقق من دون توسيط الخطاب الإسلامي، والوقوف بصراحة في وجه الإشكاليات التي تواجهه، والتي تعيق تطوره.

وقد بدأت فعاليات اليوم الثاني للمؤتمر بالجلسة العلمية الثالثة، والتي كانت برئاسة الدكتورة (ناجية الوريمي) من (تونس)، وجاء المشاركون كالتالي:

الدكتورة هالة فؤاد – مصر/ **رؤيا العالم في الخطاب الصوفي ما بين التراثي والمعاصر.**

الدكتور احميدة النيفر – تونس/ **من التقليدين التحديثي والتراثي إلى خطاب التجديد الإسلامي.**

الدكتور حافظ قويعة – تونس/ **مشاريع التجديد الديني في الثقافة العربية المعاصرة: نحو قراءة متفهمة.**

أكدت الباحثة المصرية الدكتورة (هالة فؤاد) أن "الكيفية المثلى التي يمكن أن نحمي بها تراثنا، هي أن نعرضه للنقد والهدم من أجل بنائه من جديد، وأن نعيد النظر في التراث العربي الإسلامي، ولا ننظر إليه نظرة قداسة وتحنيط، أو نطرحه كبديل حالي في مقابل التيارات الإسلامية المتشددة، أو المؤسسات الرسمية". كما دعت في ورقتها إلى إعادة طرح الأسئلة، ومن ثم التفكير بصوت عال في التصوف العربي الإسلامي، من دون التفكير في أي حل، لأن التكور التاريخي الحتمي سيفرز حلوله بكل تأكيد.

وأشارت (هالة فؤاد) إلى أن "المتصوفة طرحوا مفهوماً آخر للعقل، غير العقل الأرسطي، أكثر انفتاحاً وأقل سلطوية"، وهو المفهوم الذي لا يوجد له أثر في الطرق الصوفية، على الأقل في بلدها مصر، لأن الطرق الصوفية فيه هي إعادة مشوهة للتصوف، استبدل فيه العقل بالخرافة.

ومن جهته أيضاً، تساءل المفكر التونسي الدكتور (احميدة النيفر)، عن إمكانية الضبط الزمني والإشكالي لظهور الخطاب التجديدي في الفكر العربي الإسلامي، مشيراً إلى أنه المدخل الأساسي لفهم هذا الفكر والخطاب، وكذا تتبع مساره وتحولاته في الفكر العربي الإسلامي.

وأشار (النيفر) إلى أن العالم العربي الإسلامي عرف التجديد عبر ثلاثة مراحل أثر فيها الاتجاه: التراثي، والماركسي، والإصلاحي، وتوقف عند اسمين من أعلام التجديد هما: (أمين الخولي) و(محمد إقبال)، الذي رأى فيه أول لبنة من الجيل الثاني من التجديديين، الذي طرح هذا المفهوم من داخل الثقافة العربية الإسلامية.

وأوضح (النيفر) أن الجيل الثالث هو



عرفتها.

أما الجلسة العلمية الرابعة، التي أدارها الباحث المغربي الدكتور (الطيب بوعزة)، فشملت البحوث التالية:

الدكتور سعيد شبار - المغرب/ **الخطاب الديني وضرورة التجديد المنظومي.**

الأستاذ يونس قنديل - الأردن/ **محددات الخطاب المقاصدي وحدوده.**

شدد الباحث المغربي (سعيد شبار) على أن واقع مسلمي اليوم يعيش على إيقاع الخلط الكبير بين الخطاب المُنزل والخطاب المُنجز، وأن فداحة هذا الخلط تأتي في سياق يتميز بثقل دورات تاريخية كبرى في مجالات الحضارة والفكر والمعرفة لا ترحم، وبالتالي فالمطلوب من مسلمي اليوم الحسم في هذا الخلط حتى لا نتيه أكثر.

وأضاف (شبار) أن الحسم في هذه الجدلية يتطلب التوقف عند خصائص ومحددات كل خطاب، والتي لا يمكن أن الذي سيتبنى فكرة وحدة التاريخ ورؤية العالم، التي رأى فيها اختباراً للتجديد في الوقت الراهن، مشيراً إلى أن التجديد للأسف ظل منحسراً في رؤية الذات المسلمة، وعاجزاً عن تجاوز المرجعية التقليدية.

أما الباحث التونسي الدكتور (حافظ قويعة)، فأشار في ورقته إلى العديد من الشواهد المستمدة من بعض أعلام الثقافة والفكر، في العالم العربي، وخارجه، ودعا إلى قراءتها من جديد، لأن بها العديد من المفاتيح لفهم ما يجري اليوم في العالم العربي المعاصر. وذكر بأن الأزمة التي نعرفها اليوم أعقد بكثير من تلك التي كانت في القرن التاسع عشر، رغم بعض المنجزات التحديثية التي





تتطابق بالضرورة، أو تختلف فيما بينها بالضرورة أيضاً، وليس واقع المسلمين اليوم سوى نتيجة حتمية لتفاعل هذا الخلط الكبير والتاريخي.

ومن المعلوم حسب (شبار) أنه في المرحلة التأسيسية الأولى، في حقبة الصدر الإسلامي الأول، كان الخطاب المُنزل متحققاً على أرض الواقع، ولكن بسبب مقتضيات التداول التاريخي، وقعت انقلابات حيث نشأت العلوم والمذاهب والطوائف والفرق، لتخضع الوحدة الفكرية للمسلمين إلى جزئية صغيرة، وأصبح كل جزء من هذه الأجزاء يعتقد ويؤمن في قرارة نفسه بأنه الفرقة الناجية، ويروج بأنه المحدد النهائي والكلي للمرجعية الإسلامية. وبالنتيجة تحول جزء من التراث داخل سقف معرفي معين، إلى الناطق الوحيد باسم الحقيقة الدينية الكلية، وأصبح الخطاب المنجز يحل رويداً رويداً محل الخطاب المنزل، مع أن الأمر ليس كذلك، ولا يمكن أن يكون كذلك.

أما الباحث (يونس قنديل)، فقد أكد من جهته أنه من المهم جداً تسليط الضوء البحثي على الخطاب الديني، وتجديد هذا الخطاب، وعلوم المقاصد، في سياق واقعنا المفعم بالتحولات المضطربة والمضادة. وعندما نتحدث عن تجديد الخطاب الديني، فعلى المفكرين والباحثين والعلماء أن يستحضروا مقاصد الناس التي خرجت للشارع في الحراك العربي، بما يتطلب استحضار (براديغم) جديد في مشاريع تجديد الخطاب الديني عند مسلمي اليوم.

وأضاف (قنديل) أن الخطاب المقاصدي لم يلد أصلاً من فراغ، وإنما كان عملية عقلية وذهنية حاولت التوفيق بين معطيات النص وبين الواقع واحتياجات الناس، آخذاً على العديد من المشاريع الإصلاحية المعاصرة كونها قامت باختزال التفسير في نموذج معين، موازاة مع إقصائها لباقي التفاسير

والاجتهادات، بخلاف مقتضيات الخطاب المقاصدي، الذي عاش التنوع الهائل الذي مرت منه التجربة التاريخية الإسلامية في النظر إلى طبيعة الدين.

جاءت الجلسة العلمية الخامسة برئاسة الدكتور (خميس العدوي) من سلطنة عمان، وتم فيها عرض أوراق كلٍ من:

الدكتور مسفر القحطاني - السعودية/ **إشكالية الأنسنة في الخطاب الديني المعاصر.**

الدكتور ناجية الوريمي - تونس/ **خطاب التجديد الديني وأزمة المنهج.**

الدكتور يحيى اليحياوي - المغرب/ **الخطاب الديني في الفضائيات: الدعاة الجدد أنموذجاً.**

الدكتور علي مبروك - مصر/ **ملاحظات أولية حول الخطاب الديني وتجديده.**

أوضح الدكتور (مسفر بن علي القحطاني) أن مصطلح (الأنسنة) في الفكر المعاصر، يختلف في مضمونه بين علماء الفكر الغربيين، وعلماء الفكر عند المسلمين والعرب، مثله مثل عديد من المصطلحات الفكرية الجديدة التي دخلت الفكر العربي الإسلامي.

ويرى الدكتور (مسفر) أن الثقافة الإسلامية والعربية في هذا المجال، ما زالت تغوص في القديم، وتحاول أن تستوعب أو تبتلع الجديد، حيث يلاحظ أن الكثير من المصطلحات الفكرية القديمة ما زال مستعصياً - بشكل أو بآخر- على الفهم العربي الإسلامي، إما لأنها لا تستطيع أن تتجاوزه إلى أخذ مواقع واضحة، وإما لأن الجدال الفكري ينطلق لحدود اللانهاية. ومصطلح (الأنسنة) من بين هذه المصطلحات التي يسري عليها ما يسري على الآخر.

وقال إن مصطلح (الأنسنة) في التراث الإسلامي، لم يستخدم كما كان في الفكر الغربي، إذ أن الغرب كان يريد جعل الإنسان آلهته التي لم يؤمن بها خلال مسيحيته، بينما الإسلام كان يرى الإنسان كقيمة عليا، جاء مع الوحي الإلهي، وليس متعارضاً معه، بالإضافة إلى أنه ليس مصدراً للوحي، كما يعتبر في الفكر الغربي.

أما الباحثة التونسية الدكتورة (ناجية الوريمي)، فقد تطرقت لتوضيح أن تحديد الخطاب الديني في العالم العربي والإسلامي لا يمكن أن يتم في ظل تغييب منهج أو مناهج واضحة تساعدنا على ضرورة تجديد هذا الخطاب، وذلك من خلال طرحها مقاربة للتجديد الديني في الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي، وهي المقارنة التي تظهر حسب (الدكتورة ناجية) أن الفكر الغربي كان يعتمد بالأساس على فصل المناهج، وهو ما ساهم في إعادة قراءة النص الديني الغربي بشكل أعمق.

أما في الجانب العربي، فقد كان الأمر بعيداً شيئا ما عن النقاش العميق، وهو ما أنتج اصطدامات بين علماء الفقه وعلماء

الكلام وصل لحد "تفسيق، وتكفير" الفريق الأول للفريق الثاني، واستباحة دمائه في كثير من المواقف التاريخية.

أما الدكتور المغربي المتخصص في الإعلام (يحيى اليحياوي)، فقد فضل الحديث من زاويته الإعلامية، وطرح إشكالية غزو القنوات الفضائية، وبالأخص منها تلك التي أصبحت تعرف "بالقنوات الدينية"، مبرزاً مجموعة من الإشكاليات التي بدأت تطرح نفسها في الميدان الإعلامي العربي، الذي بات يتوفر على أكثر من ١٢٠٠ قناة عربية، تأخذ فيها مجموعة ١٠٤ قناة "دينية" مكانها، يحمل هدف ما أسماه "متوسطة المكنون الديني على مستوى الصورة"، وهو الأمر الذي يطرح مجموعة من التساؤلات الجدية حول من يمول هذه القنوات؟ ومن يروج لها؟ وما يتم الترويج له فيها؟ وما هي نتائج ذلك في أرض الواقع المعاش؟

وأضاف (اليحياوي) أن الأمر الأكثر خطورة في هذا الأمر، هو كون ما يقارب ٩٦ قناة من هذه القنوات يخضع في انتاجيته وتسييره للقطاع الخاص، بينما لا يبقى للإعلام الرسمي سوى ٨ قنوات عبر العالم العربي بأكمله، الأمر الذي يجعل المتلقي أمام صنفين حقيقيين من الإعلام العربي بين "إعلام ديني"، وآخر "غير ديني"، مبدياً في ذات الوقت تحفظه على مصطلح "الإعلام الديني"، بقوله: إن "مصطلح الديني لا يمكن أن يطبق على هذا النوع من الإعلام، ما دامت الرسالة الإعلامية، والوسيط الإعلامي، والمستقبل، واحداً"..

وقد كانت المحاضرة الأخيرة للدكتور (علي مبروك)، تطرق فيها لتوضيح العلاقة المعرفية للمفاهيم الجديدة في عدة مجالات، من بينها: "نوع الدولة"، و"الحمولات الأيديولوجية" التي تحاصرها، أو مصطلح التجديد، وما يترتب عنه من فهم قد يأخذ إلى إشكاليات، من قبيل: هل نحن بصدد تجديد الخطاب، أي طلاء الخطاب القديم فقط، أم نحن بصدد البحث عن خطاب جديد يعوض القديم؟

وأضاف الدكتور (علي مبروك) أننا اليوم بصدد وضع مفهوم حقيقي لروابط المصطلحات والمفاهيم المنضبطة في مناهجنا، وهو التحدي الذي يجب التعامل معه بحزم كبير، بالاعتماد على نقد حقيقي وفعال.

واختتم المؤتمر الثاني لمؤسسة "مؤمنون بلا حدود" المخصص لموضوع "الخطاب الديني: إشكالياته وتحديات التجديد"، أعماله، مساء يوم الأحد ١٨ مايو/ آيار، بتوزيع الشهادات على المحاضرين الذين أثروا المؤتمر بمداخلاتهم، ونقاشاتهم، وملاحظاتهم، حول القضايا المطروحة والمثارة في المؤتمر، من خلال الانفتاح على رموز الفكر العربي المعاصر والباحثين الشباب الجدين.

*طالب دراسات عليا في جامعة الجزائر، ومهتم بقضايا الإسلام والسياسة



المؤسساتية تصنع الحضارة



محمد واني

✍ التطور الحاصل عند المجتمعات المتقدمة لم يأت عن فراغ، بل جاء من خلال الجهد المنظم والتفاني والعزم والإصرار والإخلاص والعمل الدؤوب وإنكار الذات وغيرها من الصفات والمفاهيم الحضارية السامية، التي لم نجربها، ولم نعمل بها، كحالة مجتمعية مؤسساتية منظمة، ربما جربناها كحالات فردية، أو جماعية ضيقة غير منظمة، ولكن من المستحيل أن يحدث تقدم، ما لم تتحول هذه المفاهيم من حالة شخصية، إلى حالة مجتمعية منظمة ومؤسسة ..

لم تتقدم (اليابان) مثلا، إلا عندما استثمرت جهدها وحماسها الشديد إلى التحديث، وجعلته حالة مشاعة في المجتمع، وضمن أطر مؤسساتية، وتحت شعار"دع آسيا، وادخل أوروبا"، الذي رفعه أحد مفكريها العظام، الذين أسهموا في صنع اليابان الحديث، وهو (يوكيتشي فوكوزاوا ١٨٣٥ ــ ١٩٠١). وفعلا انطلقت بكل ثقلها إلى الغرب لتنهل منه التطور، وبدأته بالتعليم، وراحت تغير من مناهجه، وتدخل نظام التعليم الأمريكي إلى مناهجها التعليمية، وبمرور الوقت أصبحت من أرقى الدول العالم تعليميا.. وإن كنا قد اخترنا (اليابان)، كنموذج للدولة التي استطاعت تطويع العلوم الغربية لصالحها، والاستفادة منها، وتطويرها، فلكونها فعلت كل ذلك من دون أن تتخلى عن عاداتها وتقاليدها الدينية والاجتماعية. ورغم وصول اليابانيين إلى أرقى درجات العلوم والرقي الحضاري، فإنهم مازالوا يواظبون على ممارسة طقوسهم الدينية بصورة متواصلة، وبشكل يومي، دون انقطاع: الأكل والمطابخ لها عبادة، ولها إله يجب أن تقدم له فروض الطاعة. والسفر له "إله"، أو "آلهة"، وتسمى "ناريتا". ومن يبحث عن السلامة والأمن أثناء السفر، عليه أن يردد صلوات أمامها، ومن يريد أن يحضر امتحانات القبول في الجامعات من الطلبة، عليه أن يزور معابد "تاثمانغو" طلبا للنجاح. وهكذا توجد لكل شيء إله أو آلهة يجب أن تعبد، حتى وصل عددها إلى ثمانية ملايين آلهة!! وبحسب الكاتب الياباني (أكيراتاتكا) فإن ما يقارب الثمانين بالمئة من اليابانيين يمارسون الطقوس الدينية.. ورغم وجود كل هذه الآلهة فإننا لم نر اليابانيين يختلفون عليها، أو يتقاتلون من أجلها، أو بسببها، كما نحن نختلف على إله واحد، ونتحارب بسببه !! ❑